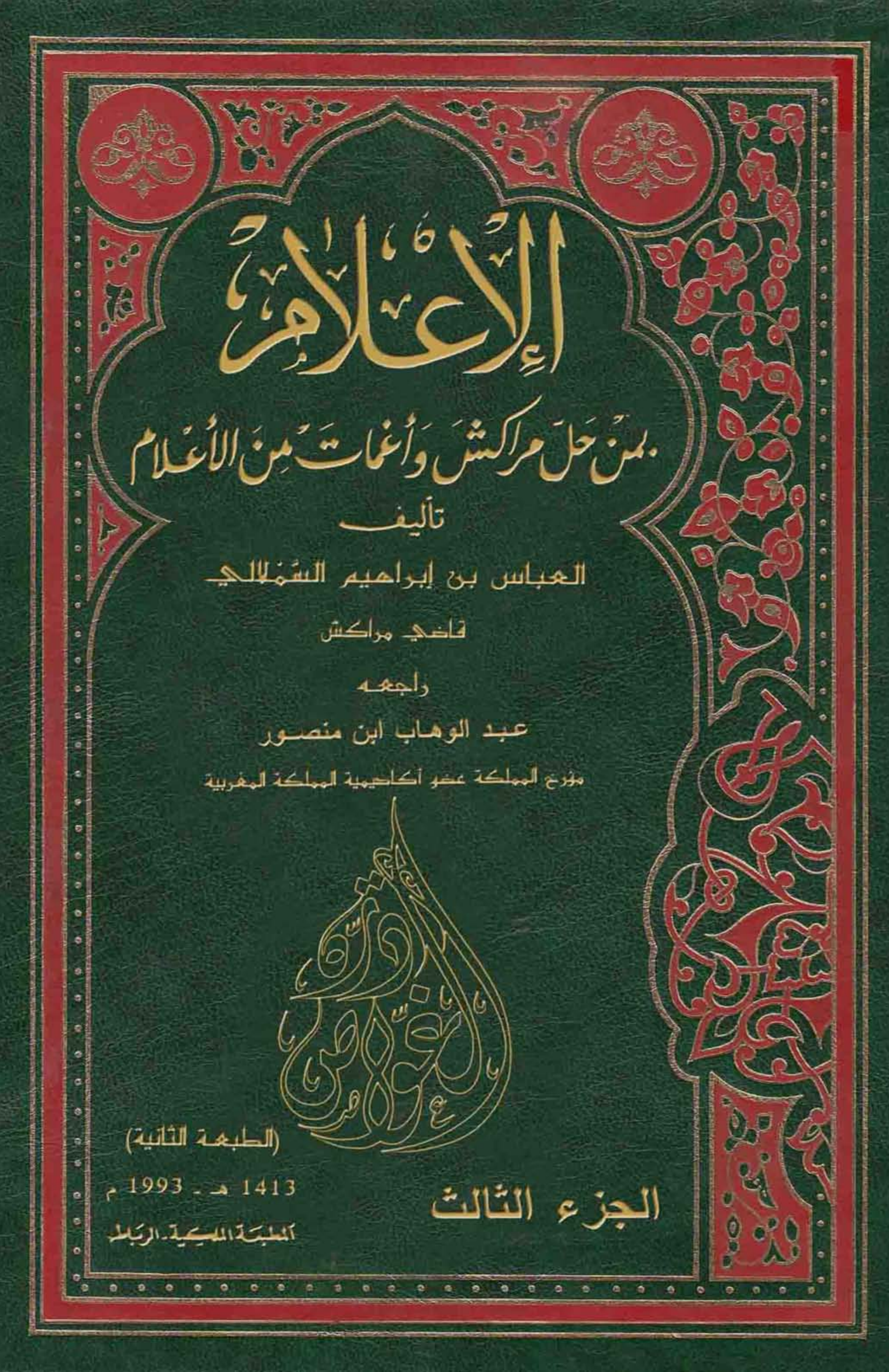

الإعلام
بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام
تأليف
العباس بن إبراهيم السملالي
قاضي مراكش
راجعه
عبد الوهاب ابن منصور
مؤرخ المملكة عضو أكاديمية المملكة المغربية
(الطبعة الثانية)
1413 هـ - 1993 م
المطبعة الملكية - الرباط
الجزء الثالث





تأليف

العباس بن إبراهيم السملالي

قاضي مراكش

راجعه

عبد الوهاب ابن منصور

مؤرخ المملكة عضو أكاديمية المملكة المغربية

الجزء الثالث

الطبعة الثانية

1418 هـ - 1997 م



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

من اسمه إدريس

331) ادريس (المامون) بن يعقوب (المنصور) الكومي الموحدي

إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المومن بن علي أمير المومنين الملقب بالمامون ، مامون الموحدين ، بويع باشبيلية في أوائل شوال (1) سنة 624 وبايعه أهل الأندلس والموحدون بمراكش ، ثم لما انفصل البريد ببيعته من الحضرة مراكش ندم الموحدود على ذلك لما يعلمون من شهامته وصرامته وتخلقه بأخلاق الحجاج بن يوسف ، وتخوفوا أن يأخذهم بدم ابن عمه عبد الواحد المخلوع ثم أخيه عبد الله العادل ، فاتفق رأيهم على مبايعة يحيى بن محمد الناصر بن يعقوب المنصور ، وهو شاب غر كما بقل عذاره ، وإنما وقع اختيارهم عليه ليكون أطوع لهم ، فان سنه' كانت يومئذ ست عشرة سنة ، فبايعوه بجامع المنصور من قصبة مراكش بعد صلاة العصر من يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شوال سنة أربع وعشرين وستمئة ، وامتنع عرب الخلط وقبائل هسكورة من بيعته وقالوا قد بايعنا المأمون فلا ننكث بيعته ، وتأخر قدوم المأمون الى مراكش ، وبقي بالأندلس لأسباب يأتى شرحها ، وأقام يحيى بمراكش واستتب أمره بها بعضَ الشيء ، وجهز جيشاً من الموحدين والجند الى قتال الخلط وهسكورة وهم يومئذ فى طاعة المأمون ، فهزم جيش

---

1) يوم الخميس 2 شوال (16 شتنبر سنة 1227 م) .

يحيى وقُتل منه خلق كثير وعاد مفلولا الى مراكش ، ثم اطلع يحيى على مداخلة أبي زيد بن يرجان للعرب وهسكورة فى الغارة على مراكش ، واطلع على ذلك أبو زكرياء يحيى بن الشهيد فقتل أبا زيد بن يرجان وابنه عبد الله ونصب رأسيْهما على باب الكحل وطوّف جسميْهما بأسواق المدينة ، ثم اضطربت الأحوال على يحيى وانتقضت البلاد وغلت الأسعار وعم الخراب والفساد بلاد المغرب ، واستولى بنو مرين على ضواحيه وضايقوا الموحدين في كثير من أمصاره، واقتضوا جبايته ونبغت الثوار فى الأقطار على ما نذكره .

ثورة محمد ابن أبي الطواجين الكتامي بجبال غمارة

ولما كانت سنة خمس وعشرين وستمئة ثار بجبال غمارة محمد ابن أبى الطواجين الكتامى المتنبى ، وكان أبوه من قصر كتامة منقبضاً عن الناس ، وكان ينتحل صناعةالكيمياء ، فكان يلقب بأبي الطواجين لكثرة الظروف التى يستعملها فى ذلك بزعمه ، وتلقّن ذلك عنه ابنه محمد هذا ، ثم ارتحل إلى سبتة ونزل على بنى سعيد بأحوازها ، وادعى صناعة الكيمياء ، فتبعه الغوغاء ثم ادعى النبوءة وشرع الشرائع وأظهر أنواعاً من الشعبذة ، فكثر تابعوه ، ثم اطلعوا على خبيثته فنبذوا إليه عهده ، وزحفت إليه عساكر سبتة ففر عنهم ، ثم قتله بعض البرابرة غلية بوادى لاو من بنى سعيد وبلاد بنى زيات ، وابن أبي الطواجين هذا هو الذى تسبب فى قتل الشيخ عبد السلام ابن مشيش رضي الله عنه على ما نذكره بعد إن شاء الله .

اخبار الثوار بالأندلس وما آل إليه أمر الموحدين بها

لما ضعف أمر الموحدين بالمغرب وكثرت الفتن فى أقطاره ونواحيه وانتزى السادة منهم بنواحي الأندلس كلٌّ في عمله ، واستظهر كل واحد منهم على أمره بالطاغية ونزلوا له عن كثير من الحصون — فَسَدَتْ من أجل ذلك ضمائر أهل الأندلس عليهم ، وتصدى للثورة على الموحدين محمد بن يوسف ابن هود من أعقاب بنى هود الجُذاميين ملوك الطوائف بسرقسطة ، وكان يؤمل لها وربما امتحنه الموحدون لذلك مرات ، فخرج فى نفر من

الأجناد سنة خمس وعشرين وستمئة ، وجهز اليه والي مرسية يومئذ السيد أبو العباس بن موسى بن يوسف بن عبد المومن عسكراً ، فهزمهم وزحف إلى مرسية فدخلها واعتقل السيد بها وخطب للخليفة المستنصر العباسي صاحب بغداد ، وفى ذلك يقول ابن الخطيب فى (رقم الحلل) عند ذكره لبنى هود هؤلاء :

وكان من أعقابه الأمير محمد بن يوسف الأخير
وكان باسلا شديد البأس وبايع المستنصر العباسي

ثم زحف اليه السيد أبو زيد بن محمد بن عمر بن عبد المومن وهو أخو البياسى المتقدم الذكر من شاطبة ، وكان والياً بها كما مر ، فهزمه ابن هود ورجع الى شاطبة واستجاش بالمامون وهو يومئذ باشبيلية ، فخرج فى العساكر ولقيه ابن هود فانهزم ، واتبعه المامون الى مرسية فحاصره مدة وامتنعت عليه ، فأقلع عنه ورجع الى اشبيلية ، ثم انتقض على السيد أبى زيد ببلنسية زيان ابن أبي الحملات مدافع بن يوسف بن سعد ابن مردنيش وخرج عنه الى أبذة ، وذلك سنة ست وعشرين وستمئة ، وكان بنو مَرْدِنيش هؤلاء أهل عصبية وأولي بأس وقوة ، فتوقع أبو زيد اختلال أمره وبعث إليه ولاطفه فى الرجوع فأبى ، فخرج أبو زيد من بلنسية ولحق بطاغية برشلونة ودخل فى دين النصرانية والعياذ بالله ، وبايع أهل شاطبة ابن هود ، ثم تتابعت بلاد الأندلس على بيعته ودخل فى طاعته أهل قرطبة واشبيلية بعد رحيل المأمون عنهم إلى مراكش ، ولم يبق للموحدين بالأندلس سلطان .

ثم فى سنة تسع وعشرين وستمئة ثار محمد بن يوسف ابن نصر المعروف بابن الأحمر بحصن أرجونة من أعمال قرطبة ودعا لأبى زكرياء الحفصى صاحب أفريقية ، ثم دخل في طاعته أهل قرطبة ، وتنازع ابن الأحمر وابن هود رياسة الأندلس وتجاذبا حبل الملك بها ، وكانت خطوب استولى الطاغية فيها على كثير من حصون الأندلس ثم استقر قدم ابن الأحمر فى الملك وأورثه بنيه من بعده ، والله غالب على أمره .

قدوم إدريس بن المنصور من الأندلس إلى مراكش
وما اتفق لـه في ذلـك

قد تقدم لنا أن الموحدين بمراكش خنقو العادل وبايعوا أخاه المامون ، وبعد انفصال البريد بالبيعة ندموا وبايعوا ابنَ أخيه يحيى بن محمد الناصر ، فوصلت بيعة الموحدين الى المامون وهو يومئذ باشبيلية ، فسُر بها وأمر باقرائها على منابر الأندلس ، ثم أخذ في التجهيز والحركة الى مراكش دار ملكه ، فسار حتى اذا وصل الى الجزيرة الخضراء اتصل به الخبرُ أن الموحدين قد نكثوا بيعته وبايعوا ابن أخيه يحيى ، فوجم لذلك وأطرق ملياً ، ثم أنشد متمثلا بقول سيدنا حسان رضي الله عنه .

لتسمعنّ وشيكاً في ديارهـــــم الله أكبر ياثارات عثمانـــــــا

ثم كتب من حينه إلى ملك قشتالة يستنصره على الموحدين ويسأله أن يبعث له جيشاً من الفرنج يجور بهم الى العدوة لقتال يحيى ومَن معـه من الموحدين ، فشرط عليه صاحب قشتالة عشرةَ حصون مما يلي بلاده يختارها هو ، وأن يبني بمراكش إذا دخلها بجيش النصارى الذين معه كنيسة يظهرون بها دينهم ويضربون فيها نواقيسهم لصلواتهم ، وأن مَن أسلم منهم لا يقبل اسلامه ويُردُ الى إخوانه فيحكمون عليه بأحكامهم الى غير ذلك ، فأسعفه المأمون في جميع ما طلب منه .

وكان يحيى بن محمد الناصر صاحب مراكش لما رأى اختلال أحواله بها كما قلنا ومبايعة أكثر أهل المغرب لعمه المأمون خرج فاراً بنفسه إلى تينملل، وكان ذلك فى جمادى الأخرى سنة ست وعشرين وستمئة، ولما فرَّ يحيى عن الحضرة قدم أشياخ الموحدين الذين بها واليـًا يضبطها للمامون ريثما يقدم عليهم وجددوا له البيعة وكتبوا له يخبرونه بفرار يحيى إلى الجبل ويرغبون إليه فى القدوم عليهم ، وكتب إليه أيضاً هلال بن حميدان أمير الخلط ، واستمر يحيى معتصمـاً بالجبل أربعة أشهر ، ثم بدا له فعاد الى مراكش وقتل عامل المامون الذى قدمه الموحدون بها ، واستمرَّ بها نحو سبعة أيام ، ثم خرج الى جبل گليز وعسكر به ، وأقام منتظراً قدوم المامون ودفاعه عن مراكش ، ثم بعث صاحب

قشتالة الى المامون جيشا من اثنيْ عشر ألفاً برسم الخدمة معه والمقاتلة دونه على الشروط المتقدمة ، وكان وصولهم اليه فى رمضان سنة ست وعشرين وستمئة ، ثم عبر بهم من الجزيرة الخضراء إلى سبتة فى ذى القعدة من السنة المذكورة ، وهو أول مَن أدخل عسكر الفرنج أرض المغرب واستخدمهم بها ، فأراح بسبتة أياماً ثم نهض الى مراكش ، حتى اذا دنا منها لقيه يحيى بجيوش الموحدين ، وذلك عشي يوم الخامس والعشرين من ربيع الأول من السنة الداخلة فانهزم يحيى وفرّ إلى الجبل وقُتل كثير من جيشه ، ودخل المامون حضرة مراكش وبايعه الموحدون وصعد المنبر بجامع المنصور، وكان علامة أديباً بليغاً ، فخطب الناس ولعن المهدي على المنبر ، وقال لا تدعوه بالمعصوم وادعوه بالغوي المذموم ، ألا لا مهدي الا عيسى ، وانا قد نبذنا أمره النحس ، ولما انتهى إلى آخر خطبته قال : معشر الموحدين لا تظنوا أني أنا ادريس الذي تندرس دولتكم على يده ، كلا إنه سياتي بعدي إن شاء الله ، ثم نزل وأمر بالكتب الى جميع البلاد بمحْو اسم المهدي من السكة والخطبة وتغيير سننه التى ابتدعها للموحدين وجرى عليها سلفهم ، ونعى عليه النداء للصلاة باللغة البربرية وزيادته في أذان الصبح (أصبح ولله الحمد) وغير ذلك من السنن التي اختص بها المهدي ، وأمر بتدوير الدراهم التى ضربها المهدي مربعة ، وقال : كل ما فعله المهدي وتبعه عليه أسلافنا فهو بدعة ولا سبيل إلى إبقائه ، وأبدأ في ذلك وأعاد ، ثم دخل قصره فاحتجب عن الناس ثلاثاً ، ثم خرج في اليوم الرابع فأمر بأشياخ الموحدين وأعيانهم فحضروا بين يديه ، فقال لهم : يامعشر الموحدين انكم قد أظهرتم علينا العناد ، وأكثرتم في الأرض الفساد ، ونقضتم العهود ، وبذلتم في حربنا المجهود ، وقتلتم الاخوان والأعمام ، ولم ترقبوا فيهم إلاً ولا ذمام ، ثم أخرج كتاب بيعتهم الذى بعثوا به اليه ، واحتج عليهم بنكثهم الذي نكثوا بعده ، فقامت الحجة عليهم ، فبُهتوا وسُقط فى أيديهم ، والتفت إلى قاضيه المكيدي وكان بازائه قد قدم معه من اشبيلية ، فقال له ما ترى أيها القاضي في أمر هؤلاء الناكثين ؟ فقال : ياأمير المومنين ان الله تعالى يقول : (ومَن نكث فانما ينكثُ على نفسه) الآية ، فقال المامون صدق الله العظيم فانا نحكم فيهم

بحكم الله ، (ومَن لم يحكم بما أنزل الله فأولائك هم الظالمون) ، ثم أمر بجميع أشياخ الموحدين وأشرافهم فسحبوا الى مصارعهم وقتلوا عن آخرهم ، ولم يبق على كبيرهم ولا صغيرهم ، حتى أنه أتي بابن أخت له صغير يقال إن سنه كان ثلاث عشرة سنة ، وقد حفِظ القرآن ، فلما تقدم للقتْل قال له : ياأمير المومنين اعفُ عني لثلاث ، فقال ما هي ؟ قال : صغر سني ، وقرب رحمي ، وحفظي للكتاب العزيز ، فيقال ان المامون نظر إلى القاضِي كمستشير له ، وقال له : كيف ترى قوة جأش هذا الغلام واقدامه على الكلام فى هذا المقام ؟ فقال القاضي : ياأمير المومنين (إنك إن تذرهم يُضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً) ، فأمر به فقتل رحمه الله ثم أمر بالرؤوس فعلقت بدائر سور المدينة ، ذكر ابن أبي زرع أنها كانت تنيف على أربعة آلاف رأس ، وكان الزمان زمن قيظ ، فنتنت بها المدينة وتأذّى الناس بريحها ، فرفع إليه ذلك فقال إن هاهنا مجانين ، وإن تلك الرؤوس حروز لهم لا يصلح حالهم إلا بها ، وإنها لعطرةٌ عند المحبين ، ونتنةٌ عند المبغضين ، ثم أنشد :

اهل الحرابة والفساد من الـــورى ... يعزون فى التشبيه للذكـــــــار

ففساده فيه الصلاح لغيـــــــره ... بالقطع والتعليق في الأشجـــــار

فرؤوسهم ذكرى اذا ما أبصِـــرت ... فوق الجذوع وفي ذرا الأســـــوار

وكذا القصاص حياة أرباب النهـــا ... والعدل مألوف بكل جـــــــوار

لو عمَّ حلمُ الله سائرَ خلقـــــه ... ما كان أكثرهم من أهل النـــــار !

وهذه الفتكــة التى ارتكبها المامــون بالموحديــن أنستْ فتكــة الحارث بن ظالم والبراض الكناني والحجاف ابن حكيم ، وهي التى استأصلت جمهورهم وأماتت نخوتهم ، وأذن المامون للنصارى القادمين معه في بناء الكنيسة وسط مراكش على شرطهم المتقدم ، فضربوا بها نواقيسهم ، وكانت الكنيســة في الموضع المعــروف بالسجينــة ، وقبض على قاضي الجماعــة بمراكش وهو عبد الحق بن عبد الحق ، فقيده ودفعه الى هلال بن حميدان الخلطي فحبسه حتى افتدى منه بستة آلاف دينار ، وأقام المامون بمراكش خمسة أشهر ، ثم نهض الى الجبل لقتال يحيى بن محمد الناصر ومَن معه

من الموحدين ، وذلك في رمضان سنة سبع وعشرين وستمئة ، فالتقى معه على الموضع المعروف بلكاغة ، فانهزم يحيى وقُتل من عسكره ومن أهل الجبل خلق كثير سيق من رؤسهم الى مراكش أربعة آلاف رأس .

وفي هذه السنة استبد الأمير أبو زكرياء ابن الشيخ أبى محمد بن أبى حفص الهنتاتى بافريقية ، وخلع طاعة الموحدين ، وفي سنة ثمان وعشرين بعدها نفذت كتب المامون الى سائر البلاد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفيها خرجت بلاد الأندلس كلها من ملك الموحدين ونفاهم عنها ابن هود الثائر بها وقتلهم العامة في كل وجه ، وفى سنة تسع وعشرين بعدها خرج على المامون أخوه السيد عمران بن يعقوب المنصور بمدينة سبتة وتسمى بالمؤيد ، فاتصل الخبر بالمامون فخرج اليه وبلغه فى طريقه أن قبائل بنى فازاز ومكلاتة قد حاصروا مكناس وعاثوا في نواحيها ، فسار إليهم وحسم مادة فسادهم وعاد الى سبتة فحاصر بها أخاه السيد عمران مدة فلم يقدر منه على شيء ، وكانت سبتة من أحصن مدن المغرب ، ولما طالت غيبة المامون عن الحضرة اغتنم يحيى بن محمد الناصر الفرصة فنزل من الجبل واقتحمها مع عرب سفيان وشيخهم جرمون بن عيسى ومعهم أبو سعيد بن وانودين شيخ هنتاتة وعاثوا فيها وهدموا كنيسة النصارى التى بنيت بها وقتلوا كثيراً من يهودها وسلبوا أموالهم ، ودخل يحيى القصر فحمل منه جميع ما وجده به الى الجبل ، واتصل الخبر بالمامون وهو على حصارسبتة فارتحل عنها مسرعاً الى مراكش ، وذلك فى ذى الحجة من السنة المذكورة ، ولما أبعد عن سبتة عبر عمران صاحبها الى الأندلس فبايع ابن هود وأعطاه سبتة ، فعوضه ابن هود عنها بالمرية، فكان السيد عمران بها إلى أن مات، وانتهى الخبر إلى المامون وهو فى طريقه بأن ابن هود قد ملك سبتة ، فتوالت عليه الفجائع فمرض أسفاً ومات بوادى العبيد وهو قافل من حصار سبتة ، وكانت وفاته فى آخر يوم من سنة تسع وعشرين وستمئة ، وكانت أيامه أيام شقاء وعناء ومنازعة ، افترقت دولة الموحدين فيها فرقتين ، فرقة معه ، وفرقة مع يحيى بن محمد الناصر ، وكان محق دولة الموحدين واستئصال أركانها وذهاب نخوتها على يده ، قالوا ولولا أن الأمور قد استحالت الى ما ذكر لكان

المامون موافقاً كأبيه المنصور في كثير من الخلال ، ومتبعاً سننه في جل الأحـوال .

وكان المامون فصيح اللسان ، فقيهاً حافظاً للحديث ضابطاً للرواية ، عارفاً بالقراءة حسن الصوت والتلاوة ، مقدماً في علم اللغة العربية والآداب وأيام الناس ، كاتباً بليغاً حسن التوقيع ، لم يَزَلْ سائر أيام خلافته يسرد كتب الحديث مثل البخاري والموطأ وسنن أبي داوود ، وكان مع ذلك شهماً حازماً مقداماً على عظائم الأمور ، ولي الخلافة والبلاد تضطرم ناراً ، والممالك قد توزعتها الثوار ، فكان المامون اذا فكر في حال الثوار وما آل اليه حال الدولة معهم وما دهاها من كثرتهم ينشد متمثلا :

تكاثرت الظبـاء عـلى خـــداش فما يدري خـداش مـا يصيـــد

يشير إلى حاله معهم ، وأنه لم يدر ما يتلافى من ذالك ، والله تعالى أعـلـم (1) .

ترجمه ابن خلدون ، وصاحب الحلل الموشية ، والاحاطة ، والاستقصا ، وغيرهم (2) ، وجعل وفاته في الشذرات سنة 630 ، وقد علمت أنه توفي آخر يوم من السنة التي قبلها ، ولأبى بكر بن زهر الأصغر ، ابن عم الأكبر ، يخاطب المامون المترجم :

والله ما أدري بما أتـوســـل إذ ليس لي ذات بهـا أتوصـل
لكن جعلت مودتي مع خدمـــة لعلاك أحظى شافـع يتقبـــل
ان كنت من أدوات زهـر عـاطلا فالزهـر منهنٌ السماك الأعـــزل

332) إدريس (أبو دبوس) بن محمد الموحدي (السلطان)

إدريس بـن محمد بـن عمـر بـن عبد المومـن بن علي الكـومي الموحدي ، يكنا أبا دبوس ، لأنه كان في بلاد الأندلس لا يفارق الدبوس فكُني

1) هذه الترجمة منقولة بالحرف من الاستقصا .

2) تاريخ ابن خلدون 6 : 528 طبع بيروت والحلل الموشية ص 136 والاحاطة 1 : 409 والاستقصا 2 : 233 طبع الدار البيضاء ؛ والأنيس المطرب بروض القرطاس ص 249 والبيان المغرب ص 253 طبع تطوان .

به وصارت له به شهرة ، كانت مدته من حين استقراره بدار الخلافة بمراكش سنتين وأحد عشر شهراً وعشرة أيام ، وهو الذى انقرضت عليه دولتهم .

لقبه الواثق بالله .

أمه أم ولد رومية اسمها شمس .

صفته أبيض اللون أشقر أزرق طويل القامة طويل اللحية ، بطل شجَاع داهية مقدام فى الأمور ، دخل مدينة مراكش على عمر المرتضى غدراً ، ففر أمامه فملكها وبويع له بجامع المنصور ، بايعه كافة الموحدين والأشياخ والوزراء والقضاة والفقهاء وأشياخ العرب والمصامدة ، وذالك يوم الأحـد الثالث والعشرين لمحرم سنة 665 خمس وستين وستمئة ثاني يوم دخوله المدينة ، وكان سبب تملكه مراكش أن المرتضى أراد قتله لأشياء رفعت له عنه ، فشعر أبو دبوس بذلك فخرج عن مراكش فاراً بنفسه ، فوصل إلى أمير المومنين يعقوب بن عبد الحق المريني مستنصراً به ، فألفاه بمدينة فاس ، فأقبل عليه وبالغ فى إكرامه ، فطلب منه الاعانة على حرب المرتضى وضمن له أخذ مراكش ، فأعطاه يعقوب جيشاً من ثلاثة آلاف فارس من بنى مرين ، وأعطاه بنوداً وطبولا وعشرين ألف دينار برسم النفقة ، وكتب إلى عرب الخشم أن يكونوا معه يداً واحدة ، وشرط له أبو دبوس أن يعطيه نصف ما يغلب عليه من البلاد ، فانصرف أبو دبوس بجيشه ونشر بنوده وضرب طبوله ، فوصل إلى مدينة سلا ، فكتب منها إلى أشياخ الموحدين والعرب والمصامدة الذين في طاعة المرتضى يدعوهم إلى بيعته ويعدهم ويـُمنيهم ، فتلقته وفـود العرب والهساكرة ببعض الطريق فبايعوه وساروا معه حتى نزل بلاد هسكورة ، وكتب إلى خاصته من وزاره المرتضى أن يعلموه بأخبار مراكش فراجعوه أن أسرع السير وأقبل ولا تخف ، فان الجند قد فرقناه فى أطراف البلاد ، وهاذا وقت انتهاز الفرصة فقد أمكنك وقتها ، فأسرى أبو دبوس تلك الليلة فأصبح على مراكش فدخلها من باب الصالحة على حين غفلة من أهلها ، وذالك فى يوم السبت الثاني والعشرين من المحرم عام 665 خمسة وستين وستمئة ، فسار حتى وقف على باب البنود من قصبتها ، فغلقت الأبواب فى وجهه ووقف عليها العبيد يقاتلونه، فلما رأى المرتضى أن القصبة قد اشتركت معه خرج فاراً بنفسه

ودخل أبو دبوس القصر وبويع ، فاستقام له الأمر ، وسار المرتضى إلى أزمور ، وكان بها صهره ابن عطوش والياً له عليها ، وكان قد أسِر فافتكّه المرتضى بمال جليل ، وزوجه ابنته ، وولاه أزمور ، فلما فرّ عن مراكش قصد إليه ووثق به ، فأخذه ابن عطوش وكبله وبعثه لأبي دبوس وقتل فِي الطريق ، فاستقل أبو دبوس بملك مراكش وأنحائها ، فاتصل الخبر بيعقوب المريني فكتب إليــه يهنئه ، فلما وصله الكتــاب أدركه الكبــر والعجب ، فقــال لرسوله تقول ليعقوب بن عبد الحــق يغتنم سلامته ويقنع بما بيده مــن البلاد وإلا أتيته بجنود لا قبل له بها ، فلما وصل الرسول إلى يعقوب وأبلغه مقاله ودفع إليه كتابه فاذا هو يخاطبه مخاطبة الخلفاء إلى عمالهم والرؤساء إلى خدامهم ، فتحقق غدره على ما وقع عليه الاتفاق بينهما ، فخرج إلى غزوه فالتقى الجمعان ببلاد دكالة ، وكانت بينهما حروب باشر أبو دبوس الحرب فيها بنفسه ، فقتل وهزم عسكره وحمل رأسه ليعقوب فأمر ببعثه لمدينة فاس فطيف به فى أسواقها ، ثم علق على باب المدينة ، وكان قتله وانقراض دولة الموحدين بموته منسلخ ذى الحجة سنة سبع وستين وستمئة ، والملك لله وحده ، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين ، وعدد ملوك الموحدين أربعة عشر رجلا ، هذا آخرهم ، وفي تلك القضية قال في (رقم الحل) عند ذكر يعقوب المريني :

وجــاء إدريس لــه منتدبـــا ... يبغى إلى الظهــور منه سببـــا
عاهده إن تــم ما يــريـــده ... عهــداً عــلى شرط بدا تأكيـــده
وكان فى بــاطنــه يكيـــده ... والله لا يسلمــه تأييـــده
وسار عنه بعدمــا أمـــده ... بقـــوة وعـــدد وعـــده
فتمَّ فى مراكشٍ مـــراده ... ولــذَّ فى قصورهــا ســـواده
وفرَّ منها المرتضى بنفســـه ... والجنسُ يشقى دائماً بجنســـه

يُحكى أن رجلا من الصالحين ببجاية أنشد فى منامه هاذين البيتين فورخ ذلك اليوم فوجده يوم مقتل أبى دبوس ، وهما :

ملك بنى مومن تولّـــى ... وكان فــوق السمــاك سمكُـــه
فاعتبــروا وانظـــروا وقــولـــوا ... سبحــان مَن لا يبيــد ملكُـــه

قال الوزير علي ابن سعيد العنسي لما استولى الهدم والخراب على معظم ديار مراكش بالفتنة المتصلة وانقراض دولة الموحدين وجدتُ على بعض قصورها مكتوباً بفحم :

ولقد مررتُ على رسوم ديارهم فبكيتها والربع قاع صفصف
وذكرت مجرى الجور في عرصاتهم فعرفت أن الدهر فيهم منصف

قال فتناولت بياضاً من بقايا جيار وكتبت تحته :

لهفي عليهم بعدهم بمثالهم بالله قل لي في الورى هلْ يخلف
مَن ذا يجيب منادياً لوسيلة أم من يُجير من الزمان وينصف
إن جار فيهم واحد من جملة كم كان فيهم من كريم يعطف

ورحم الله الوزير الحسيب ابن سعيد وشكر امتعاضه لمواليه ، وكانت مدتهم من أول ظهور المهدي إلى وفاة أبي دبوس مئة سنة واثنتين وخمسين سنة .

ترجمه في الحلل الموشية ، والجَذوة (1) .

فائدة :

مات المترجم بمشنزاية ، قال الفقيه السيد عبد الكبير ابن الكريم الشاوي المراكشي في جواب له المشنزائي نسبته الى مشنزاية ، وهي قبيلة من قبائل عرب دكالة ، كانت لها الشوكة والصيت العالى بين القبائل ، وكان سكانها بالمدينة التى يقال لها مشنزاية سميت باسمه من باب تسمية المحل باسم الحال فيه ، ويقال انها من بنائهم بنوها فى أول الاسلام وتحصنوا بها حين تضايق البربر مع الافرنج . ومن غريب الاتفاق ما قيل إن هذه المدينة على شكل مدينة المصطفى صلّى الله عليه وسلم ولم يبق منها إلا الآثار ، ورسوم الديار بالبلاد الغربية من وسط صقع بلاد دكالة ، واتصل سكنى قبيلة

---

1) ينظر عن ادريس ابى دبوس آخر خلفاء الموحدين **تاريخ ابن خلدون** 6 : 547 **والحلل الموشية** ص 141 **والاستقصا** 2 : 256 **والبيان المغرب** ص 441 طبع تطوان ؛ **وجذوة الاقتباس** ص 114 ع 162 .

مشنزاية بها إلى أن اندرست عمارتها في المئة السابعة في أوائل دولة بني مرين ، وبها مات الواثق المعروف بأبي دبوس آخر ملوك الموحدين سنة سبع وستين وستمئة ، فتفرقوا حينئذ فى أقطار الأرض ، وانتقل أكثرهم الى مدينة مراكش وتحضروا بها ، ومازال بها الجم الغفير من أعيانها من العلماء والصلحاء والأولياء وأهل الخير رحمهم الله تعالى ، وسياتي ذكرها في ترجمة الوليد بن زيدان بن أحمد المنصور .

333) إدريس بن محمد العراقي الحسيني

إدريس بن العلامة الامام النحوي سيدي محمد بن ادريس بن حمدون بن عبد الرحمان الشريف العراقي الحسيني ، الشيخ الامام ، الفقيه العلامة المحدث الراوية الهمام ، حامل لولاء الحديث فى زمانه ، وسيد أهل عصره وأوانه ، كان رحمه الله أحمد أيمة الدين ، وأكابر العلماء المتبحرين، سلطان المحدثين فى وقته فى الآثار النبوية ورئيسهم وأعلمهم بالصنعة الحديثية ، قل نظيره فى وقته ، بل عدم أو كاد فى الحديث والرواية والأسناد والضبط والتخريج والأسانيد وما يتبع ذالك عند ذوي الألباب ، واستدرك أحاديث كثيرة على الجامع الكبير للجلال السيوطي تنيف على الخمسة آلاف ، وألف تآليف مفيدة ، منها شرحه على الشمائل ، وشرحه على إحياء الميت في فضائل آل البيت ، وشرحه على الثلث الأخير من الصاغاني باذن مولوي ، وتاليف لطيف ذكر فيه اعتناء جماعة من الشيوخ بالصلاة والسلام على آل الأنبياء كلهم واستعمالهم ذالك في ابتداء دواوينهم المؤلفة فى الحديث وبين فيه وجه ذلك وقرره وكتب عليه بالتصحيح جماعة من أهل وقته ، وله طرر على هوامش كتب الحديث كالشفا والشهاب القضاعي والجامع الكبير وغيرها ، لو جمعت لجاءت منها تآليف عديدة .

أخذ رحمه الله الحديث وغيره عن شيوخ فاس كوالده ، والشيخ علي الحريشي ، وأحمد بن سليمان الأندلسي ، وأحمد بن مبارك اللمطي ، وسيدي الكبير السرغيني ، وسيدي محمد بن زكرى ، وسيدي محمد بن عبد السلام بناني ، وسيدي محمد كسوس ، وسيدي محمد ميارة الأصغر ، وغيرهم ، وكان يبالغ مع بعض أشياخه المذكورين في تحقيق مسائل

الحديث ، وكانوا يراجعونه فيه في مجالس درسهم ، ومما يُحكى ويد على قوة باعه ، وشدة اطلاعه ، أن الشيخ أحمد بن مبارك المذكور كان يدرس كبرى السنوسي في علم الكلام ، فجرى ذكره لبعض الأحاديث ، فسأل صاحب الترجمة عمن خرجه ، فذكر له ست طرق ، فقال له لله درك ، لقد تعب ابنُ حجر ولم يخرج له سوى طريقين ، وفي (الدر النفيس) لسيدي الوليد العراقي نقلا عن الشيخ سيدي عمر الفاسي رضي الله عنه أنه كان يقول لتلامذته في شأنه هاذا سيدي وسيدكم ، ويقول أيضاً أنه أحفظ من ابن حجر ، كذا نقل عنه ، وقد ذكروا في الحافظ ابن حجر أنه أمير المومنين في الحديث ، وأنه سيد حفاظه ، وأنه جاوز فيه مرتبة الذهبي وأضرابه ، وأنه بلغ فيه مرتبة لم يبلغها أحد بعده ولا كثير من قبله ، وأن عليه المدار فيه في الدنيا بأجمعها واليه المرجع فيه شرقاً وغرباً باطباق من بعده ، ومن طالع كتبه الحديثية وكتب غيره علِم صحة هاذا وتيقنه ، وقد كتب الشيخ القصار بخط يده على أول ورقة من شرحه على البخاري المسمى بفتح الباري ما نصه : إعلم أنه لم يؤلف فى فقه معلن علم الحديث مثل هاذا الشرح في ملة الاسلام ، وذكر الشهاب الخفاجي في شرحه على الشفا لعياض أن الحافظ بالمعنى المصطلح عليه عند المحدثين انقطع في عصره وزمانه ، وأن آخر الحفاظ السخاوي والسيوطي فانظر ذلك ، والله أعلم ، وممن شهد لصاحب الترجمة بالتبحر فى علم الحديث من شيوخه الشيخ سيدي محمد كَسُّوس فانه ذكر فى إجازة أجازه بها أنه ممن حاز قصب السبق فى علم الحديث حفظاً ورواية ودراية ، وصل في ذلك الي غاية الغاية قال بحيث لم يصل اليها أحد فى عصرنا فيما نعلم .

قال في (نشر المثاني) : ولم يكن له في حال قراءته اعتناء ببعض فيها بكلام كاف واضح شاف ، فالله يجازيه على ذالك .

قال في (نشر المثاني) : ولم يكن له في حال قراءته اعتناء ببعض العلوم نحو النحو والبيان والمنطق ، ومع ذالك كان اذا سرد كتاباً لا يلحن في شيء منه ، بل فصيح النطق قوي الدراية على ذالك ولا ينطق بشيء غير مستقيم ، وكان رحمه الله مقبلا على شأنه مجتنباً ما يخلُّ بمروؤته ، ذا سمت

حسن وهيأة ووقار ، قوياً في دينه ملازما لأوقاته قائماً بما ولي من الولايات من إمامة وتوريق وغيرهما ، وأخذ عنه علم الحديث جماعة منهم ولداه عبد الله وعبد الرحمان ، وابن عمه العلامة سيدي زيان ، والعارف بالله سيدي محمد بن القطب مولانا أحمد الصقلي الحُسيني .

توفي رحمه الله ونفعنا به في شعبان سنة ثلاث وثمانين ومئة وألف ، هاكذا ذكر وفاته في (نشر المثانى) ، وقال في (غاية الأمنية) توفي عام أربعة وثمانين ومئة وألف ، ودفن بروضة الشيخ مولاي أحمد الصقلي ، وقبره عن يمين محرابها تحت الخزانتين الصغيرتين هناك قبالة ضريح مولانا أحمد المذكور ومن معه .

ترجمه صاحب (نشر المثاني) وكذا قريبه مولاي الوليد العراقي في تاليفه المسمى بـ (النفيس) ، وترجمه في (السلوة) ، ونص على دخوله لمراكش ولده سيدى عبد الرحمان في كتابة كتبها بخط يده .

وهاذه نسخة ظهير شريف لسيد محمد بن عبد الله العلوي في اعانة المترجم نصه :

كتابنا هذا أيد الله تعالى أوامره العلية ، وخلد في صفحات الدهر مآثره السنيــة ، يستقر بين حامله الشريف الأصيــل ، الفقيه المحــدث النبيل ، مولاي ادريس بن الفقيه الأرضى ، المحقق المرتضى ، مولاي محمد العراقي الحسيني ، ويعلم منه أننا نفذنا له عند انقضاء كل سنة خمسمئة درهم فضة من سكتنا المضروبة على الدرهم الشرعي ، ويضاف اليها ست شقق من كتان الكامرة الفرانسسية ، وخمسة أذرع من الملف من أي لون كان ، وثمنه من خمس عشرة أوقية للذراع الى عشرين أوقية ، تنفيذاً تاماً وافياً ان شاء الله ، يقبضه على الأبد ، يستعين به على ما يعرض له من الضروريات ، وبث العلم ونشره فى جميع الأوقات ، اخترنا له ذلك مما يفيء الله تعالى علينا من مرسى الصويرة يقبضه ويستوفيه من خديمنا الأرشد القائد محمد الصفار، وقيد التنفيذ في شهر ربيع الأول النبوي الشريف الآتي في عام ثمانيــن

المتصل بعام تاريخه ، وعليه بالجد والاجتهاد ، في بث العلم ونشره اذ هو خير زاد ، وأحب الخلق الى الله من نفع الله امرءاً مسلماً على يديه ، والله تعالى يعينه على القيام بأمور الدين ، ويسلك بنا وبه سبيل الموفقين المهتدين ، والسلام . في أوائل رمضان المعظم عام تسعين ومئة وألف . صح منه مباشرة .

وقد وقفت على فهرسته التي جمعت من خطوط يده على كتب متفرقة فيها ذكر أشياخه وسماعه منهم واجازاتهم له وثناؤهم على تآليفه التي يعرضها عليهم ، وهي في نحو كراس من القالب الكبير .

334) **إدريس بن سيدي محمد بن أحمد المنجرة** ، سيأتي تمام نسبه في ترجمة ولده سيدى عبد الله المنجرة ، من أشياخه عثمان السوداني ، قرأ عليه بعض ألفية ابن مالك وباحثه في غيرها من العلوم ، وكانت له ملكة في النحو مع خبرة بالفقه والبيان ، وكان كوريً اللسان ، توفي رحمه الله في حدود العشرة الأولى ومئة وألف ، ومنهم الفقيه الأستاذ المحقق الصوفي علي بن أبي القاسم جميل ، أخذ عنه قراءة ورش والمكي والبصري وبقية السبعة بضمن الحرز وأصله ، وسمع عليه المورد وذيله والدرر والحرز قراءة تحقيق وغير ذالك وأجاز له عامة ، وكان رحمه الله لين العريكة صفوحاً عن الهفوات صواماً قواماً ، توفي رحمه الله يوم الاثنين 24 رمضان سنة 1102 ، ومنهم الفقيه الأستاذ العدل الأرضى سيدي محمد بن عياد المسراء ، قرأ عليه القرآن بالروايات العشر ، وأجازه عامة ، توفي في حدود العشرة الأولى من القرن الثاني عشر، ومنهم الشيخ الفقيه الأستاذ المحقق المعمر سيدي محمد بن عبد الله السرغيني الهواري شيخ الاقراء بفاس القرويين ، قرأ عليه القراءات السبع بمضمن التيسير والشاطبية ، وعرض عليه المورد وذيله والدرر والجرومية وغير ذلك ، وأجاز له عام سنة 1099 وهو يروي عن سيدي الصغير بن منيار ، توفي رحمه الله في 20 رمضان عام 1104 ، ومنهم الشيخ الامام سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي ، قرأ عليه وسمع منه وقيد عنه وأجاز له 7 رجب عام 1114 في داره المباركة بوادي الشرفاء من فاس ، كما أدرك والده الشيخ الامام سيدي عبد القادر الفاسي وتبرك به ودعا له وكتب له بخطه في لوحه

آيـات من القرآن العزيز عند ما ختمه على السادات ، وكذلك أدرك الشيخ سيدي الحسن اليوسي وتبرك به وأجازه بخطه في ذي الحجة سنة 1099 ، ثم رحل للحرمين الشريفين تاسع رجب سنة 1106 لأداء فرض الحج وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فالتقى بمكة شرفها الله بالعلامة سيدي عبد الجواد المنوفي الضرير الشافعي وقرأ عليه وأجازه ، ومنهم العلامة أبو التأييد سيدي منصور الضرير المنوفي الشافعي وأجازه وقرأ عليه ، ومنهم المتفنن أبو العباس بن محمد المصري الشافعي وقرأ عليه وأجازه عامة ، ومنهم الصوفي سيدي أحمـد البقراوي ، ومنهـم البركة سيدي عبـد الحي بن عبد الحـق الشرنبابلي الحنفي المصري وأجازه ، ومنهم الفرضي سيدي صالح بن حسن المصري الحنبلي حضر عنده وأجازه ، ومنهم العلامة محمد بن قاسم بـن اسماعيل البقري المصري الشافعي الضرير المتوفى سنة 1111 عن أكثر من مئة سنة وحضر عليه وأجازه ، ومنهم المسـن الدراك الحيسوبي سيـدي محمد بن موسى الشريف التستوتي قرأ عليه الحساب والأوفاق وأخذ عن الشيخ أحمد بن الحاج اللمطي وغيره ، ومن غريب ما حدث به أن ابن الحاج المذكور احتاج يوماً الى بخور اللبان قال فدخلنا معه الى دار وأخذ قرطاساً وكتب فيه ، ثم جعله تحت كسكاس وبخر بشيء وململ شفتيه هنيْأة واذا بالكسكاس اهتز ثم سكن ، فأخذه ورفع القرطاس واذا به جوابه لم ييبس ، ولفظه : وعليكم السلام والرحمة والبركة والله لا أعرفه إلا عند ظالم بين القرويين ودرب الطويل ، ولا علم له به ، ولو أني قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها لأتيناكم به والسلام ، ومنهم الفقيه الامام الأستاذ المحقق المشارك الصوفي أبو السماح سيدي أحمـد ضرغام البقري بلداً الشافعي ، قرأ عليه وأجازه عامة ، وكان حياً سنة 1134 .

وأما الأشياخ في الدين والانتفاع والتبرك فمنهم الشيخ الصوفي الفقيه الرباني ، المكاشف المراقـب العرفاني ، سيدي محمد بـن سعيد الطرابلسي ، لقيه بطرابلس وذكره ولقنه وقال له انى أحبك ، ومنهم الشيخ الامام سيدي أحمد بن محمد بن ادريس اليمني المتوفي سنة 1113 ، ومنهم العارف الكامل سيدى أحمد بن العارف سيدي محمد بن عبد الله المتوفـي

سنة 1110 صاحَبَه' حضراً وسفرا ، ولقنه وانتفع به ، ومنهم المربي النفاع القدوة سيدي أحمد بن العارف سيدي محمد ابن ناصر أخذ عنه العهد والورد وناوله السبحة وصافحه وشابكه ولقنه وأسند عنه إني أحبك وسمع عليه كثيراً من سيرة ابن سيد الناس اليعمري بزاوية الأشياخ محل مأواه من درعة في جمادى الأولى سنة 1127 ومنهم الشيخ الامام المعمر سيدي أحمد بن محمد الحبيب لقيه وتبرك به وبات عنده وصافحه وأضافه على الأسودين (1) توفي عام 1164 ومنهم عمر بن محمد التسولي ، ومنهم الشيخ سيدي علي بن الحسن التيرسي ، ومنهم الشيخة الصالحة أم الربع الحسناوية نزيلة صفرو لقيها بمحلها سنة 1136 واستفاد منها ، ومنهم السيدة الصالحة آمنه بنت عبد الله ، ومنهم الشيخ سيدي عبد العزيز بن عبد الله الصنهاجي المتوفي عام 1134 ، ومنهم صاحب الكرامات سيدى محمد بن عبد الرحمان بن . . . . المراكشي ، ومنهم الولي أبو الصفا الحاج أحمد ابن مسعود الشاوي الأصل الفاسي الدار والمنشأ المعروف بالحاج الشهير ترجمه في ص 223 من الصفوة المتوفى سنة 1114 ، ومنهم المجذوب الحاج عبد الله بن محمد الورياجلي ، ولقي بمراكش الشيخ المريني نزيلها ، ومنهم الشيخ عجلان المصري ، ومنهم الشيخ عنتر الخُلطي ، ومنهم الشيخ محمد العياشي الحميري ، ومنهم وهو أولهم والده سيدي محمد بن أحمد المنجرة كان يحترف بالنجارة وكان يدعو له على الخصوص ويهتم به دون اخوته ، وطلب وهو متعلق بأستار الكعبة وفى المواجهة الله سبحانه وتعالى أن لا يخرجه من الدنيا حتى يترك من صلبه مَن يقرأ القرأان كما أنزل ، وذلك في سنة 1081 كانت همته الذكر لا تراه إلا ذاكراً ويتردد لضريح مولاي إدريس في كل يوم ويحضُ على زيارته، قال ولده المترجم ادريس فى آخر فهرسته وقد رأيت والحمد لله النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم وانه على شط نهر جالس وبين يديه طعام هو الثريد العربي ، وأنا جاث على ركبتي وأنظر إلى طلعته السنية ورجلان معي ، أحدهما عن اليمين والآخر عن الشمال ، وأمرنا بالأكل فجعلنا نأكل معه، وأكرع من ماء النهر وأشرب كاد أن يكون ذلك النهر بحراً ، فقال لي صلى

1) التمر والماء .

الله عليه وسلم أتعرف هاذين ؟ فقلت لا يارسول الله ، فقال (ص) أتعرف هذين ؟ فقلت : لا يارسول الله ، فقال : هذا يعني الأيمن عمر بن الخطاب، وهذا الرجل الصالح سعد بن معاذ ، وبقي شيء لم أذكره ، ورأيته مرة أخرى ليلة الأربعاء سابع أو ثامن ربيع الثاني سنة ست وثلاثين ومئة وألف في مكتب الشهود قرب جامع القرويين وهو على كرسي يقرأ وبين يديه أناس لم أعرف منهم الا ولدي الفقيه سيدي عبد الرحمان ، وصبي ولدنا الأرضى سيدي حفيد لا أقدر أكيف نورية تلك الصورة ، بل كلما حققت النظر ازداد النور ، وبقي أمر آخر لم أذكره أيضاً .

وفهرسته هذه في نحو كراستين ونصف ، ومنها لخصت ترجمته ، ووقفت على شرحه لدالية سيدى محمد بن مبارك السجلماسي الفاسي المولد الذى سماه (المقاصد العالية فى شرح الدالية) وعلى شرح ولده سيدي عبد الرحمان لها المسمى (المقاصد النامية ، فى شرح الدالية) .

توفي رحمه الله بفاس عام 1137 .

135) **ادريس بن قاسم بن ادريس الدباغ** قال فى ص 37 من (الدر السني) ما نصه : ومن هذا الفرع ابن عمهم المستوطن الآن بمدينة مراكش السيد ادريس بن قاسم بن ادريس المذكور ثالثاً من ادريس المصدر به هذا الفرع الخ .

336) ادريس بن محمد ابن ادريس العمراوي

ادريس بن الوزير محمد بن ادريس بن الحاج الزموري العمراوي ، كان فقيهاً أعجزت مفاخره كل ناقل ، وعجز عن بلاغته سبحان وائل ، صار فى علم البديع بحراً ، وفى علم البيان والمعاني والقريض بدراً ، وله قصيدة أنشدت عام 1294 بفاس بين يدي مولانا الحسن بالحضرة العالية أجاد فيها بالفصاحة والبلاغة نصها :

علامات إضمار المحبة لا تخفــى ونارُ هوى المحبوب فى القلب لا تطفا
وجيش الصبابات المروع للحشــا يكر على صبري فيهزمه زحفــا

وكيف أواري الحب أو أكتم الجوى ... ودمع مثاقي العين قد ساجل الوطفا

عريب النقا ما ذا لقينا من الضنـا ... فهل نرتجي مما عرا بكم كشفـا

إذا باكرت من بطن نعمان نسمـة ... تجدد للصب المصاب بكم لهفـا

وإن لمع البرق اليمانيُّ موهنـاً ... أثار بأحشائي بذكراكم لهفـا

بحق هواكم بالفؤاد ترفقـوا ... ورقوا لهيام فقد جاوز الوصفـا

اذا لم يكن وصل فوعد بـزورة ... وإن أنتمُ لم تسمحوا فابعثوا الطيفا

على أنكم مذ غبتمُ هجـر الكـرى ... فما نام طرفي بعدكم لا ولا أغفـا

أحبةَ قلبي هل تعود عهودنـا ؟ ... وهل تنظرنْ عيني المحصَّب والخيفا

وهل أردنْ ماء العذيب وبـارق ... وتمنحني بالمنحنَى أسرتي عطفـا

وهل بحمى الجرعاء والجزع أحتمي ... وأنشق بالبطحاء من عالجٍ عرفـا

معاهد أحبابي وملء محاجـرى ... سقاها الحيا الوسميُّ بالديمة الوطفا

أردد ذكراها وأهتف باسمهـا ... لعلي بذكراها من الوجد أنْ أشفَى

وهيهات لا يشفِي المحبً من الأسى ... سوى أن يرى عند الحمى ذلك الالفا

على مَ أصدُّ النفس معتسفاً بهـا ... وما لي أرجِّيها بعليً أوسوفـا ؟

فهلاً امتطيت العزم مطرحاً سوى ... مراقي تدنيني إلى المورد الأصفـا

وإن شفائي لو وجدت مساعـداً ... سماع حداة العيس ترمي بها عسفا

إلىطيبة تطوى المفاوز لا تنـي ... تبادر لا تخشى شتاء ولا صيفـا

إلى روضة المختار أحمد مَن بـه ... تمهَّد دينُ الحق واتخذ الأكنفـا

نبي الهدى المبعوث للناس رحمة ... ومن جعل المجد الصميم له وقفـا

ومن لعباد الله أصبح هاديـاً ... فنالوا به الزلفى وقد أمِنوا الخوفا

وبلغ للخلق الرسالة ناصحـاً ... فلله ما أبدى ولله ما أخفـى

وأعلا منار المسلمين بهديـه ... وأعمل فيمن ضل عن سبْله السيفا

وأوضح دين الحق فاتصلت بـه ... موارد مَن يسلكْ بها يأمنِ الحتفا

وخُصً من المولى بكل كرامـة ... تجاوزت الأعداد والشبه والكيفـا

به ختم الله النبيئين مِنَّـة ... وفضَّله من بينهم وله استصفـا

وقدم فى الاسراء فهو امامهـم ... وقد جعلوا من خلفه كلهم صفـا

وفى الحشر يأتي الرسل تحت لوائه ... وقد عمَّهم من فضله الكنفُ الأوفا

به أظهر الله الجمال جميعَـــــــــه
وأعطى لفرد الحسن يوسفِ النصفا
وأخدمه جبريل فى حضرة بهـــا
سقاه شراباً من مَبرته صرفـــا
غداة تدنّى قاب قوسيْن أو أدنـا
وفي الموقف الأعلا له المجد قد زفا
فنال مناه باجتباء ورفعـــــــة
وعاد قرير العين بالقرب والزلفى
وفي المولد الأسما بدت معجزاتُه
خوارق عادات شفتنا بها الشفـــا
كايوان كسرى إذ تداعى بنـــاؤه
وما كان يخشى من وثاقته صرفـا
وتنكيس أصنــام ورجـــم مخـاتـل
يروم استراقَ السمع من جهله خطفا
وغارت عيون الفرس عند خمودها
لهم من وقود لم يكن أبداً يطفـــا
ومن قبل مبداه أتتْنا بشائـــر
من الحقّ في الآذان تقذفها قذفـا
الى أن بدا النور الذى ملأ الفضـا
فلا شرق يُخفي ما استنار ولا جوفا
كما أنجاب عن شمس الهداية ليلُها
فلما تزلْ تبدو ولما يزلْ يخفـــى
وكم من علامات وكم من كرامـــة
له مع ترداد العصور به تلفـــى
فقل للذى يرتاد حصر صفاتـــه
أردت محالا ياعديم الحجا كُفّـــا
لو اجتمـع الأمـــلاك والجـن دفعـة
كذا الانس ما استوفوا من أوصافه حرفا
إذا الله حلاه ونوه باسمـــــــــه
فكيف يجيل العقل في وصفه طرفا

* * * * *

نبي الهدى المبرور عدةُ خائـف
يمد على بعدٍ لمعروفك الكفـــــا
غريب بأرض الغرب أعيت أموره
وضاقت مساعيه فناداك واستكفى
يناديك والأوجـال تضعف صوتـه
وحمل اكتساب الوزر قد أثقل الردفا
يروم نهوضاً ثم يعجزه الونــــا
ويغلب لا يسطيع عن نفسه صرفا
فلبّ رسول الله صوت مؤمــل
وأسدل على عوراته كرماً سجفـا
وأولِ ابنَك المنصور بالله عطفـة
يحلّ بها فوق السماك ولا خوفـــا
ووالِ له سعداً وفتحاً مؤيـــدا
يسوق به للمعتدى الهلك والحتفا
فقد يارسول الله أعمل جهـــده
وما حاد عن نهج الرشاد بلى عفا
وقام بنصر الدين محتسباً بـــه
يجدد ما استبلى ويوضح ما استعفى
وأسهر فى ليل المكارم طرفـــه
وأعطى على الاصلاح مهجته وقفـــا
فساس وواسى ثم آسى بعدلـــه
ولان لمَن والى وقد جانب العسفا

وشاد بناء ثابت الأسِّ بالتقـــى وساد وبالمعروف قد بسط الكفَّـا
وجرد للأعداء ماضيَ عزمــه وأسرج مرتاداً لنيل العلا طرفـا
هو الحسنُ السامي لأعلا مثابــة له الحسن والاحسان حازهما وصفا
أنلْه رضى يكسوه حلة مفخــر وعزاً منيعاً شامخاً يغلب الكيفـا
الى أن يراه العالمون مجــدداً لسنتك الغراء ماح بها الظلفـا (1)
حنانيْك للبر العطوف الذي بــه تبدى جبينُ العدل من بعد ما استخفى
حنانيك للفرع الكريم الذى زكـا وطابت مزاياه وبالعهد قد وفَّـى
حنانيك للحبر الهمام فلم يــزل لخرق عداة الحق من جده يرفـا
أعنْه أعنْه ياسلالة هاشـــم وياخير مَن والى ومن أكرم الضيفا
وكن ناصراً حزب الاله بسيفــه وأنزلْ على أعدائه الخِزيَ والخسفا
ومثلك مَن حامى وواسى وإننـا على ثقة أن يحرز الحب والعطفا (2)
سلام على ذاك المقـام مضمــخ بأطيب طيب عرفه يملأ السوفا (3)
وأزكا صلاة من حمى القـدس يزدهي لها العرش والأملاك تستوعب الصحفا
وللآل والأصحاب أوفى تحيــة نـال بها من ربنا العطف واللطفا

وقال رحمه الله هذا الموشح عام خمسة وتسعين ومئتين وألف وأنشد بين يدي أميرْ المومنين بمراكش :

ياحادياً يقطع السباســب ينشد طبعاً من النسيــب
استدم السير في الغياهــب لا تخش من حادث مهيــب

* * * * *

سق المطايا تلق المـزايـا واطو فيافى البعاد طــي
حتى ترى النوق كالحنايـا وارم بها نحو أرض طــي
نعم وحاذر وقع المنايـا إن جزت حول الحمى بحــي

* * * * *

---

1) الظلف : الباطل .

1) فى **فواصل الجمان** العصفا ؛ وشرحه مؤلفه بأنه بقل الزرع ؛ وعليه فيكون الحب قبله بفتح الحاء .

2) السوف جمع سوفة : الأرض .

وارع هناك الغُرّ العـرائـــب — الصائدات القرم الأريـــب
بوتر الغنج والحواجـــب — تستعبد الأورع النجيـــب

* * * * *

عرب بتلك البطاح حلـــوا — دم المعنى لهم حـــلال
عن الخنا والخلاف جلـــوا — للسعد في ربعهم مجـــال
وهجر مضناهم استحلـــوا — ولم يخن عهدهم بحـــال

* * * * *

حازوا مُنَى الصب والرغائـــب — قـد جاوروا منـزل الحبيـــب
وانشر حلا الوجد والغرائـــب — وانشد فؤاد الحب الغريـــب

* * * * *

وحي عني ربا المعلـــى — والشعب والوادى الظليـــل
ونور سلع اذا تجلـــى — والبـرق في ضوئـه كليـــل
هناك بين الربا تمـــلا — تستنشق الشامي البليـــل

* * * * *

معاهد ذكرهن واجـــب — على المعنى البر اللبيـــب
إن بان طرف لها وحاجـــب — يعتاد قلبي بها وجيـــب

* * * * *

وإن رأيت المقام الأسعـــد — حزت الرضا من منى وســـول
مقام خير الورى محمـــد — المصطفى الهاشمي الرســـول
مَن بمزايا العلا تفـــرد — وغيره ما له وصـــول

* * * * *

لما تجلى بدت عجائـــب — في حضرة السميع المجيـــب
نال بها منتهى الرّغائـــب — وشاهـد الحق من قريـــب

* * * * *

فكان ثم الفرد المنـــــــادى وجبريل له خديـــــــــــــم
خلـّف جبريل ثــــم زادا لمقعد المجتبى الكريـــــم
واستكمل القصد والمـــــرادا بفخره الطارف القديـــــــم

* * * * *

وهو في الحشر خير عاقــــب إذا ادلهمّ اليوم العصيـــــــب
تلوذ فيه به عصائــــــب عند اشتداد الحر المذيـــــب

* * * * *

إذ يبلغ القلبُ للحنـــاجــــر إلى عــلاه يلجــا ويصمـــــــد
أول ذا الخلق والأواخـــــــر كل ينادي الشفيـــع أحمـــــد
تنصب للأنبيا منابـــــــــر ثم يقوم المقام الأحمـــــــد

* * * * *

وكم تبدت لنا مناقــــــــب يعجز عن عدها الخطيـــــب
حين تدلت له الكواكــــــب بمولد ما له مغيــــــــب

* * * * *

أتت بميلاده البشائـــــــر بألسن الجن والبشـــــــر
قس سطيح سعـدى تمـاضر (1) كل له عنده خبـــــــر
ينقله البدو للحواضــــــــر حيث حوى فخره مضـــــــر

* * * * *

نشأ في أشرف المنـــــاســـب من كل فحـل نـــام حسيـب
يُجـاذب المجد كـل جـانـب فكـل فخـر لـه جنيــــب

* * * * *

1) قس بن ساعدة الأيادى ؛ الحكيم العربى البليغ ؛ وسطيح كاهن بنى ذيب ؛ وتماضر بنت عمرو بن الشريد هى الخنساء .

مطلعه أبرك المطالـــــــع　　　نجم الهدى فيه قد طلـــــع
وقبره أشرف المواضـــــــع　　　لتربه العـرش قـد خضـــــع
شنّف بأمداحـه المسامـــع　　　واتل المزايا التى جمـــــع

* * * * *

ودم على ذكره وواظـــــب　　　إن تكن الحاذق الأديـــــب
بلفظـــه طيـــب المـــآدب　　　يغنى شـذاه عن كل طيـــب

* * * * *

أنقذنـا من هـوى المهـــالـك　　　من بعـد جيـل بهـا هلـــك
وأوضـح السبـل والمسالـك　　　طوبى لعبد بهـــا سلـــك
لـولاه ما انجـابت الحـــوالـك　　　كلا ولا استجمـــع الفلـــك

* * * * *

ولـه نلجـأ من النـوائـــب　　　إذا التحت (I) عودنـــا الصليب
فالجـأ لمغنـــاه غيـر هـــائب　　　وقل بلفـظ الجانى الكئيـــب

* * * * *

ياسيد الأنبيـــاء طـــــه　　　ياذا المقـام السامـي النزيـــه
فخرك فى الخلـق لا يضـاهـى　　　ومالـه فى العـلا شبيـــه
يامن تسامى فخـراً وجـــاهـــا　　　المشفـع المرتضـى الوجيـــه

* * * * *

يامن بـه ضاءت المـــواكـــب　　　وانخذلت دولـــة الصليـــب
ياخير مَاش يخطـو وراكـــب　　　ياصاحب التـــاج والقضيـــب

* * * * *

عبدك بالغـــرب مـد كفـــا　　　لنيلـك الزاخـر المديـــــد
ودمعـه يستهـــل وكفـــا　　　يرجـــو الذى يأمـل العبيـــد
لو ساعد البخت جـــاء زحفـــا　　　يبث شكـــواه بالوصيد (2)

* * * * *

I) التحت : قشرت .

2) الوصيد : الباب .

فكن لعبـد حشـاه دائـب ... مـا بين ليث عـدا وذيـب
وذنبُـه أوهـن المنـاكـب ... والعفـو من فضلكـم قريـب

* * * * *

واعطف عـلى نجلـك المفـدى ... بالأهـل والمـال والبنيـن
بـدر صلاح وقـد تبـدى ... فى المنهـج الواضـح المُبيـن
سار وللقصـد مـا تعـدى ... بهديـه المشـرق الجبيـن

* * * * *

وقـام فى الدين خير نائـب ... ولعُـلا أمركـم منيـب
وحاز فى الفضل سهـم صائـب ... ورأيُـه فى العـدا مصيـب

* * * * *

بسيفـه شيـد المعـالـي ... وبالهـدى والتقـى ارتفـع
صنو النـدا صادق المقـال ... فمجـده فى السما لمـع
جيد رعايـاه منه حـال ... باليمن والأمـن قـد صـدع

* * * * *

أحلف بالله غيـر كـاذب ... ومـا مقـالـي بـذا غريـب
ما في ملـوك الزمـان كاسب ... لفخـره أوْ لـه نصيـب

* * * * *

الحسن الهاشمـي شهـم ... ينميـه للمصطفـى هشـام
في راحتيـه بحـر خضـم ... نـال نـداه حـام وسـام
وإن بدا للشقاق نجـم ... محـاه من بأسـه الحسـام

* * * * *

كم من مسيء أتـاه تـائـب ... فـوجد الصافـح المثيـب
وبـائس نـاوش المصائـب ... بمده اكتال والجريـب

* * * * *

فالغرب بالعـدل منه رائـــق والسعد في أفقه رقـــــى
أدواح خيراتـــه بــواســـق سقاها منه الـذى سقـــى
والعلم في راحتيه نافـــق يدعـو لـه الدهـر بالبقـــا

* * * * *

مذهبـه أحسنُ المذاهـــب ودهـــره النـاعـم الخصيـب
بـه لدينـا انهلت مـــواهـــب عند ذراه السهـل الرحيـــب

* * * * *

أوقـاته كلهـا سعــــود يحـوطهـا اليمـن والسعـاده
ولمقـــامـــاته صعـــود تُتلا بها الفاتحات عــــــاده

* * * * *

بـــروق نصـــر لهـــا رعــود على العدا ترة معـــــــاده
يقــود عند الوغـا كتـائـــب ينهد من وقعهـــا الكثيـــب
من كل قـــرم حـام مضـــارب يستعذب الحتف كالضريـب (1)

* * * * *

ليـوث حـرب تحت المغـافـر عودهـا فى العـدا الظفـــر
من صادق الطعن وهو سافـــر تشبهـه الأسـد إن سَفـــر
وساحب السيف فـــوق نـافـر يقول للقـــرنِ لا مفـــر

* * * * *

مشـارق الأرض والمغـــارب عـادت لصـولاتـه تنيـــب
والمارق الخارج المحــــارب بدم عتنونه خضيــــب

* * * * *

---

1) الضريب : العسل الأبيض .

أعمــل في الصالحــات جهـــده   وكبت الــزائــغ المريـــد
ألهــم فى المكرمــات رشـــده   وسار سير الرضى الرشيـــد
فأظهــر الله ثــم جنـــده   ومنك يستوهب المـــزيـــد

* * * * *

فكــن لــه الحــافظ المراقـــب   وقلدنه العضب الخشيـــب (1)
مهد لــه أرفـــع المراتـــب   واحفظــه في القــرب والمغيــب

* * * * *

عطف عليه القلــوب جمعـــا   وكــن لــه النــاصر الحميـــم
وحــام عنه دفعــاً ونفعـــا   وافتــح لــه فتحــك العميـــم
واكس المناوي ذلا ووضعـــا   وأوردنْه الــردى المليـــم

* * * * *

واحرس علاه من كل جــانـــب   وأره صنيعـــك العجيـــب
أمَّ نداكــم راج وراغـــب   حاشا لعليــاك أن يخيـــب

* * * * *

مــولاك يهنيــك ما تسنـــى   لِسعــدك الفــائــز المتيـــن
وابشر بنيــل الــذى تمنـــى   من فضل مـــولاك كــل حيـــن
واسعد بعيــد بكــم يهنـــا   وانعــم بهــذا العقـــد الثميـــن

* * * * *

روق من وصفكـــم مشـــارب   فازدان منشــوره الذهيـــب
عارض في النظــم وهــو راهـــب   ما لابن سهل وابن الخطيـــب

* * * * *

1) الخشيب : المطبوع الصقيل .

يأهــل بيت النبي أنتــــــــم   لمدحـي البـــدء والختــــام
أفلــح كعبي إن قبلتـــــــــم   وما علي من غلا مـــــــــلام
طــاب شذا مدحكـم وطبتــــم   عليكــم منكــم السـلام

* * * * *

ســـلام ربـي عليه دائـــــب   ما اشتــاق مضنى إلى الحبيـــب
وما له من آل وصاحـــــــب   ما صاح في الروض عندليـــب

وله رحمه الله غير ذلك فى المولد الشريف عدة قصائد طنانة منها ما قاله عام 1296 وأمير المومنين بمراكش نونية من الطويل مطلعها :

أكاتــم أنت أم هواك إعــــلان   وهل يفيدُ الهــوى العذريَّ كتمان

وهي طويلة أنشدها أحمد ابن الحاج في مولده .

وقال رحمه الله :

أحب من الدنيــا لقـــاء وليـــدة   ر َداح حوت من لطفهــا غاية الظرف
كحيلة أحداق خفاف خصورهـــا   ثقيلة ردف الكفل بينة الظـــرف
يطيب بها عيشي وتأنسها نفسي   ويزهو بها لبي ويلهو بها طرفـــي
وأحسن آمالي وأشها مقاصـــدي   مواخاة طرف واستواء على طـرف

ومما سار من شعر المترجم سير الشمس تخميسه على قول سيدي علي بن وفا عودوا إلى الوصال عودوا الخ ونصه :

أحبتي طالت العهـــــــــود   وفوا لمضنى بكم عميـــــد
ليس على ذا الجفا مزيــــد   (عودوا إلى الوصال عــــودوا
فان وصلي بكم جديـــــــد)

أقسم بالسبعة المثانـــــي   ما في فؤادي سواكم ثانـــــي
فحركوا رنّة المثانـــــي   (وقربوا الوصل والتدانــــي
فالقرب للعاشقين عيـــــد)

مضنى ذووه قد أو حشــــوه　　بالمطل والتيه أعطشــــوه
فداركوه وأنعشــــوه　　(خذوا فؤادي وفتشــــوه
وقلبوه كما تريــــد)

أقلقه بعدكم نواكــــم　　وهو المحل الذي حواكــــم
ما حلّ فيه سوى هواكــــم　　(فان وجدتم فيه سواكــــم
علي زيدوا البعاد زيــــدوا)

وخمسها أيضاً الطالب الشيخ محمد الفيلالي بما نصه :

حبي لكم سادني شديــــد　　شغلي بكم قادتي أكيــــد
فما جفوتم أعيدوا وأعيــــدوا　　(عودوا إلى الوصال عــــودوا
فان وصلي بكم جديــــد)

فشنفوا السمع بالمغانــــي　　وروحوا الروح بالتهانــــي
وريحوا القلب بالأمانــــي　　(وقربوا الوصل والتدانــــي
فالقرب للعاشقين عيــــد)

بالغير والله لا أفــــوه　　وشاهد الروح فاسألــــوه
فان أبيتم تصدقــــوه　　(خذوا فؤادي وفتشــــوه
وقلبوه كما تريــــد)

وعاهدوه على وفاكــــم　　وحملوه رضا قضاكــــم
وكلفوه قضا هواكــــم　　(فان وجدتم فيه سواكــــم
علي زيدوا البعاد زيــــدوا)

كان المترجم رحمه الله فقيهاً أديباً كاتباً بارعاً ناظما ناثراً ، وله ملكة في الترسيل ، صاحب أخلاق حسنة ، وأفعال مستحسنة ، مقتصداً في أمور معيشته ، وكان ينهى نساءه عن ترفيه أولاده ولا يتركهم يبالغون في الاسراف ، عيبة سر الوزير موسى بن أحمد وجامع أسراره وأشغاله ساعياً فــي قضاء

حاجات الناس ، كان يسكن بدارهم بحومة سيدى ميمون من مراكش ، وأرجع له السلطان مولاي الحسن عرصتهم بباب الرب ، ولما أفضت الخلافة للسلطان سيدي محمد قدس الله روحه وجه المترجم سفيراً ، قال في (الجيش العرمرم) : وقد وجه مولانا نصره الله كاتبه الفقيه الأديب الصادق ، الأمين الحازم الناظم الناثر ، الحسيب الأديب ، سيدي الحاج إدريس بن الوزير الأعظم الأجل الأكرم العلامة سيدي محمد ابن ادريس فى هذه القضية وفي غيرها من شؤون المملكة التى تقتضيها السياسة والعادة المقررة بين الدول إلى جنس الفرنسيس ، ومرة ثانية إلى جنس الاسپانيول ، وسفارته إلى فرنسا هذه خرج إليها من فاس العليا في ثالث عشر ذي القعدة عام ست وسبعين ومئتين وألف ، وأقام بباريس اثنين وأربعين يوماً ، وبعدما رجع أملى رحلة سماها (تحفة الملك العزيز ، بمملكة باريس) طبعت في فاس في صحائف 109 .

وقد وقفت للمترجم رحمه الله على تقييد مهم ذكر فيه أنه لما طالع (السر الظاهر ، فيمن أحرز بفاس الشرف الباهر ، من أعقاب الشيخ عبد القادر) تشوق إلى الانخراط في سلك مَن تطفل على كريم بابهم ، فنظم قصيدة في مدحهم ، وسرد فيها نسبهم المبارك مبتدأ من أخيه في الله ومحبه فى ذاته الشريفة الوجيه النبيه الذاكر الناسك المتواضع مولانا محمد الطائع بن مولانا عبد الهادي بن عبد الله بن محمد بن طاهر بن عبد السلام مؤلف (الدر السني) القاطن تاريخه بثغر السويرة ، وتاريخ هذا التقييد عام 1287 سبعة وثمانين ومئتين وألف ، وهذه المنظومة من الخفيف أولها .

حب آل النبي خير وسيلـة ومـوالاتهم هدى وفضيلـة

وعدتها 43 بيتاً ، وهو الذى جمع ديوان والدي رحمه الله لأمير المومنين مولانا الحسن :

وكم أبصرت من حسن ولكـن عليك من الورى وقع اختيـاري

ورتبه على حروف المعجم وقفت منه على مجلد في القالب الرباعي في نحو ستة وعشرين كراساً وصل هذا المجلد إلى حرف النون .

توفي المترجم رحمه الله بنزلة حدثت له بعد موت الوزير السيد موسى وسفره مع الوزير السيد محمد بن العربي ، ودفن بضريح سيدي فاتح برباط الفتح في 14 جمادى الثانية عام 1296 . ورثاه سيدي محمد الندرومي المراكشي بقصيدة طويلة لامية من الخفيف منها :

كيف لا والمنايا طاشت بادريس ... وغالته بغتة باغتيال

ثم قال :

ندبته طلوله ورثته ... ومحتها يد الصبا والشمال
قد تعاطى القريض دهراً طويلا ... وروت قوله فحول المقال
وجرى في الانشاء فرداً وأسمى ... مجده منشيء السحاب الثقال
أتحفتْه راية المجد والحز ... م ترى في يمينه والشمال
هو أبهى من الرياض تجلت ... من زهور ومن نبات الدوالي
هو أجلى من الغزالة صحوا ... قد علا كعبه بجاه وحال
أي وجه تحكم الترب فيه ... بالبلا وعتا بذاك الجمال
أي بدر توارى بالقبر عنا ... وجرى النقصُ فيه بعد الكمال
أي فضل تخطفته المنايا ... أي مجد هوى فياللرجال
أي فخر سدت ذراه البلايا ... بعد أن حاز غاية في المعالي
أي جود ثوى بلحد مضيق ... طالما سح مزنه بالتوالى
أي سعد تقاصر السعد عنه ... أي صدر جلا بغير مثال
أي حلم تعجب الطود منه ... أي رأي وعفة واحتمال
يالها همة تود الثريا ... رفعها إذ أجلها ذو الجلال

ثم قال :

ياعيون السحاب صبيِّي على قبر ... ه عند البكور والآصال
كان غيث الندى جسيم العطايا ... وجميل الثنا حميد الخصال

ثم قال :

صاده الموت حين رقت حــــلاه وبدا وجهه كوجه الهــــلال
هذه الرحلة التى أوردتــــه مورد الموت كم بها من رحــال

ثم قال :

يامليك الملوك يارب فاغفــــر ذنبه وقِه من الأهــــوال
وصلاة الالاه تترى على خيـــــر الورى ظلنا وصحـــب وآل

وهذا نص ما كتب على ضريح المترجم قرأته في رخامة على رأسه في ليلة 14 محرم عام 1336 ، وقد وجد بخطه فى جيبه :

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه وعبده ، وعلى آله وصحبه ، هذا ضريح الفقيه الأجل ، الكاتب النزيه المبجل ، المرحوم بكرم الله عز وجل ، سيدي ادريس بن الفقيه العلامة الأجل ، الوزير الأفضل ، المرحوم بمنة الله عز وجل سيدي محمد ادريس العمراوي ، توفي رحمه الله صبيحة يوم الخميس 14 جمادى الثانية عام 1296 ستة وتسعين ومئتين وألف تغمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جنته ، وألحقنا به مسلمين آمين .

وحدثني قيم ضريح سيدي فاتح سيدي المكي بن محمد التطوانـي الناسك المعمر الملازم للضريح المذكور أن المترجم كان فيه مفرط ، وأنه مهما أتى للصلاة فيه إلا أكرمه بهدية ، وأنه مرض في بوزنيقة ، ثم قدم الرباط ومات بالوباء في التاريخ المذكور ، وكان ينزل بالرباط قرب الضريح المذكور في دار إمامه سارت اليوم أروى ، وكان ملازماً للصلوات به ، وكان يجلس في محل قبره بين ساريتي القوس الأخير الموالي للحائط الغربي منه على يسار الداخل .

ومن نثره رحمه الله ما كتبه عن أمير المومنين مولانا الحسن قدس الله روحه لقضاة مراكش : وبعد فقد بلغنا من أخبار متعاضدة ، وطرق عن التحامل متباعدة ، أن خطتي القضاء والافتاء (1) صارتا ملعبة ومتجراً ، لا يعرف

1) هذا كل ما أورده المؤلف من هذه الرسالة فى الأصل ؛ وقد أكملناها من كتاب **فواصل الجمان** للكاتب الأديب المرحوم محمد غريط .

أصحابها فيها سآمة ولا ضجرا ، وأن الرشى تقبض فيها سراً وعلانية ، والأحكام تصدر بنية وبلا نية ، قد عدل فيها عن منهاج العدل ، من غير اكتراث بتانيب أو عذل ، والحقوق نزلت بمعرض الضياع ، والمراتب المعظمة بهذه البقاع كسراب بقاع ، وان بعض القضاة حمله ما حمله إلى التطاول للدعاوي البعيدة منه ، واستجلاب القضايا المصروفة عنه ، وتوجيه أعوانه للاتيـان بالخصماء من البلاد التى قضاتها لهم الاستقلال ، ولم يصده عن الترامي لذلك ما يستقل به من الأثقال ، مع العلم بأن مَن صُرفت عنه قضية ، فقد صُرفت عنه بلية ، لو لم يكن الغرض الدنيوي الذى أغراه ، والشره الذى استحوذ عليه وأغواه ، حتى ظهرت على القضاة أمارات الغنى والرفاهية ، ودهتهم من الميل للزخارف كلُ داهية ، وتبختروا فى الحلل والنمارق ، وذهلوا عن الأثر الماثور مَن ولي القضاء ولم يفتقر فهو سارق ، كما بلغنا أن طائفة من العدول أذن لهم فى الشهادة افتياتاً من غير اعتبار الشروط التى شرطناها ، ولا وقوف مع الحدود التى بيناها وحددناها ، واتخذ منهم ومن الأعوان والوكلاء أشراك للطمع ، وجسور بناها التهور والهلع ، يمر عليها ما يمر بأجرة الخطاب وحق العلم ، وتعد للاستتار بها حالتي الحرب والسلم ، مع أن الله تعالى لا تخفى عليه خافية ، ومن أسر سريرة ألبسه الله رداها ، والحق أبلج .

ومهما تكن عند امرىء من خليقـة ۠ وإن خالها تخفى على الناس تُعلم

هذا مع أنا بالغنا في اختياركـم لتطهير الصحيفة ، وإبعاد ساحـة الشريعة عن الأمور الشنيعة المخيفة ، واختبرنا وخبرنا ، وانتقينا وأبقينا ، ولاكن صدق الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : « الناس كابل مئـة لا تكاد تجد فيها راحلة » .

إني لأفتح عيني حين أفتحهـــا على كثير ولاكن لا أرى أحـــدا

فاذا كان أهل العلم تصدر منهم هـذه الفعال ، فأي شيء تركـوه للجهال ؟ واذا كان منصب الشريعة تحاز به البراطيل ، وتبدو من جانبه الرفيع هذه الأباطيـل ، فأي ملام يتوجه على عامـّة الناس ، على اختلاف الأنـواع والأجناس .

من غص داوى بشرب الماء غصته فكيف يصنع من قد غص بالماء ؟

كيف ولم تزل تتلى عليكم آيات كتاب الله ، وأحاديث رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم ، أأنتم عنها ساهون ؟ أم أنتم عن التذكرة لاهون ؟ أفلا تتدبرون قول الله ؟ (ولا تاكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقاً من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : (لعن الله الراشي والمرتشي والرائش) أي الذى يمشي بينهما ، وقوله عليه السلام : (من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين) ، وقوله عليه الصلاة والسلام : (القضاة ثلاثة : واحد فى الجنة واثنان فى النار ، فأما الذى فى الجنة فرجل عرف الحق فحكم به ، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو فى النار ، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار) . وقوله عليه الصلاة والسلام : (لياتين على القاضي العدل يوم القيامة ساعة يتمنى أنه لم يقض بين اثنين فى تمرة واحدة قط) ، وقوله عليه الصلاة والسلام : (يوتَى بالقاضي يوم القيامة فيوقف للحساب على شفير جهنم ، فانأمر به دفع فهوى فيها سبعين خريفاً) ، وقوله عليه الصلاة والسلام : (إن أعتى الناس على الله وأبغض الناس إليه وأبعد الناس من الله رجل ولاه الله من أمر أمة محمد شيئاً ثم لم يعدل بينهم) ، وقال صلى الله عليه وسلم : (إن القاضي يأتي يوم القيامة مغلولة يداه الى عنقه فيطلقهما عدله ويوثقهما جوره) ، هذا واسألوا عن سيرة مَن تقدم من قضاة هذه الحضرة المراكشية كالفقيه السيد محمد عاشور ، والفقيه السيد الطالب ابن حمدون ، فقد كانوا من الدين والخير بمكانة ، وأعطوا الخطة حظها من العفاف والصيانة ، وخرجوا منها بيضَ الصحائف حُمر الوجوه ، فاعرفوا فضلهم ، واقتفوا سبيلهم ، وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ، واعلموا أننا بحول الله لا نزال نبحث عن أحوالكم بالتنقيب والتنقير ، ونعاملكم بالتحذير قبل التعزير ، وباللين ثم الجد ، وبالصفح ثم الحد ، لأنّ الله كلفنا بكم ، وسائلنا عنكم ، وأمور الشريعة عندنا أهم من كل مهم وآكد من كل أكيد ، وما على هذا من مزيد ، (إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت ، وما توفيقيً إلا بالله ، عليه توكلت ، وإليه أنيب) .

والله يوفقنا ويوفقكم وجميع المسلمين لما يحبه ويرضاه والسلام (1) .

---

1) فواصل الجمان ص 142 واتحاف اعلام الناس 2 : 32 .

337) **إدريس بن محمد الجعيدي السلوي** الشريف الأديب الفقيه فلكي العصر . في ربيع الثاني من سنة سبْع وتسعين ومئتين وألف ورد كتاب السلطان مولاي الحسن قدسه الله على قاضي سلا لتهييئه للذهاب إلى مراكش برسم القيام على إحصاء صائر السلطان بها بدلا عن الفقيه عبد الله بن خضراء ، فامتثل الشريف المذكور وسافر في التاريخ المذكور ومدح جناب السلطان أسماه الله بهذه القصيدة التي يقول فيها :

لبيك يامنقذى من لجة العـدم — سعياً على الجفن لا مشياً على القدم
فذا أوان سعود كنت أرصـده — وذي مناي كما في سابق القـدم
فهو المرام وكل العز يعقبـه — ولا يخـال بأني أحقـر الخـدم
قصدت أعتاب ملك شامخ بهـج — يقري الضيوف ويغني صاحب العدم
أنزلت رحلي بها وعندها أملـى — وهل يخيب نزيل الجود والكرم ؟
شمرت عن ساعدى والأذن واعية — فهاب أهل الحسام سطوة القلـم
أرضى بذاك الذي أضاء مغربنـا — بعدله فغدا يميس في نعـم
أزكى الأئمة شيمة وأرفعهـم — قدراً وأسبقهم لكل مغتنـم
أميرنا الحسن المحمود سيرتـه — تروع صولته الأسود في الأجـم
نجل السلاطين قد أحيى مآثرهـم — ونـال ما عجزت عنه ذوو الهمـم
قد شاد للدولة الغراء مفخرهـا — فساد عند ملوك العرب والعجـم
تاج الملوك وفخرهم وسيدهـم — وخير مَن قد مضى في غابر الأمـم
قد لاحظته السعودُ وهي في شرف — وكل نحس عداه وهو عنه عـم
النصر سابقه والسعد قائـده — والفتح يخدمه من جملة الخـدم
والجود سيرته والحلم حليتـه — والجد عادته فاحذر من النـدم
ليث إذا ما أحس الحي سطوتـه — ألقوا سلاحهم مخافة النقـم
غيث إذا الأرض يوماً مسها عطش — غوث توسلْ به لبارئـى النسَـم
مدبر عالم مفكر فطـن — ومفحم باهر بأفصح الكلـم
كل الفهوم له ألقت أزمتهـا — ونوره يهتدى به لدى الظلـم
بها يقاوم من بغي ويدمغـه — بها يدافع أهل الريب والتهـم
كم دبر الروم من مكر ومن حيـل — ترجو النجاح بها والنجح في عقـم

يرى بنور حجاه كل عاقبـــــة وعين تدبيره للأمر لم تنـــــم
فصل الخطاب حباه الله مكرمـــة وحكمة عظمت من أبدع الحكـــم
فاطلب رضاه ودم على محبتـــه مدى الدهور وجانب داعي السأم
فهو المنى لِذوي الحجا وبغيتهـم وسيب يمناه مثل الزاخر العـــرم
يدني الأصول إلى نيل الوصول ويحييـ ـنا بنعمته كالأرض بالديـــــم
مازال يحيي بها بلاد مغربنـــــا فاقرع بصدقك باب الجود تغتنـم
واسلك سبيل الصفا تنلْ به شرفاً واقبل نصيحة مَن حباك واستقم
ياغاية القصد إني راغب طـــرب مستمسك بجوار منك لم يضـــم
مولاي يامن مزاياه وأنعمـــــه في الناس أشهر من نار على علـم
مولايَ أنت الذي تغني الضعيف إذا ما الدهر أفضى به لقبضة الهـرم
بشراك إن الفرنج سوف يدركهـا منكم صغار" به تُداس بالقــــدم
فأنت ذو مدد وهم ذوو نكـــــد وأنت ذو جذل وهم ذوو غمـــــم
مولاي جد برضاك لي وخذ بيـدي واحرس جنابي به من سائر الألـم
واجعل ثياب الرضا ستراً علي،ولا يرى به حبل عُروتي بمنفصــــم
فها أنا ذاك عند باب سيدنــــا أرجو قَبولا ووصلا غير منصـــرم
أبقاك ربك في عز ومكرمـــــة بالله أمرك نافذ على الأمـــــــم
أدامك الله منصور اللواء علــــى كل الأعادي ولا برحت في نعـــم

وكان وجهه سنة ثلاث وتسعين ومئتين وألف برسم القيام بخطة الكتابة بالسفارة التى وجهها الى دول الافرنج مثل دولة فرنسا والانكليـز والطليان والبلجيك ، فوصلوا إلى أهل هذه الدول وقضوا الغرض على أكمل الوجوه وأحسنها وعادوا مسرورين في أواخر شعبان من السنة المذكورة ، وفي هذه الرحلــة قيَّد صاحبنا ادريس المذكور رحلته البديعــة المسماة بـ (تحفة الأخبار ، بغرائب الأخبار) ، قد اشتملت على كل نادرة وغريبة وأفصحت عن صنائع الفرنج وحيلها العجيبة ، وعند قفوله وقدومه على حضرة السلطان أيده الله مدحه بقصيدة جيدة مطلعها :

أسالم دهري في المرام وفي القصد فينقض ما أبرمت للصلح من عقـد
وأسأله الرحمى فيُبـدى ازوراره ونفرته عني فياعظم ما بيـــدي
وكم لي أسترضيه وهو مغاضـــب ولا يرعوي عما جناه على عمـــد

ومنها في آخرها :

وهذى بنات' الفكر منيَ هديـــة" إلى الملك المنصور ذي الجود والرفد
فان أهملت عدلا فانى مهمـــــل وإن صادفت وقت القَبول فياسعدي
وما كنت في باب القريض مبـرزاً شهيراً ولكني تعاطيته جهـــدي
لأجل امتحاني لذت فيه بربنـــا فأصبحت ذا وجد وقد كنت' ذا فقد
فها أنا ضيف زائر لحماكـــــم وحسبي رضاكم فهو نفس المنى عندي
ويا ربنا اعطى الأمير مرامـــــه وظفره بالمطلوب منك وبالقصـــد

338) **إدريس بن الطيب بن اليماني أبو عشرين** وزير سيدي محمد بن عبد الرحمان بعد وفاة والده وزيره ، ثم تخلى عن الوزارة بعد موته وان كان بقي فيها بعد موته مدة قليلة فى أيام المولى الحسن إلى سنة 1293 فتولى بعده موسى بن أحمد .

كان كاتباً بارعاً مترسلا عارفاً بالانشاء بليغا تخرج عليه كثير من الكتاب كالفقيه سيدي عباس الفاسي ، كان سوداوي الطبيعة فيه حدة تعتريه، كان يسكن بدار الزليج بروض الزيتون بمراكش ، حج وزار ، ولما أراد أن ينتقل للمدينة المنورة مرة ثانية عام 1294 باع عرصته للوزير موسى بن أحمد فجاور بالمدينة الى أن مات بها عام خمسة وثلاثمئة وألف عن خمسة وأربعين سنة فى يوم الأربعاء خامس رجب ودفن ببقيع الغرقد قرب مشهد الامام مالك .

ومن شعره فى تاريخ بناء روضه بالمدينة المنورة :

بالله والجار طـــبـــــــه جل الهنا والتدانـــــــــي
والفوز دنيا وأخـــــــرى بنجل ابن اليمانـــــــــي
إذ تمَّم الله قصــــــــداً له بأسنى مكـــــــــان
تاريخه في حــــــــروف أبــشر بــه بــأمـــ1304ـــان

339) إدريس بن علي السناني المدعو الحنش

إدريس بن المقرىء علي بن علي مرتيْن بن الغالي بن المهدي بن مَحمد فتحاً بن الطاهر بن الراضي المالكي البكري السناني المدعو الحنش ، ذكر في كتابه (نزهة الأعْيان ، وتبصرة الاخوان) الذي ألفه في طريق التصوف وما غفل عنه فقراء الزمان كدرقاوة في نحو خمس كراريس فى القالب الرباعي أنه رأى في المنام الفقيه سيدي أحمد بن الفقيه أبي عبد الله السجدالي بعد موته ، وكان يسمع منه حلية أبي نعيم بجامع القرويين فقال له : ما فعل الله بك ؟ مرتين ، فقال له فى أذنه بصوت رقيق : لم يؤاخذنى ربي بغفلاتي ، ثم طلب منه الدعاء فوضع كفه على صدره وقرأ شيئاً ، فانتبه في ثامن ذى القعدة عام ست وثمانين ومئتين وألف ، ثم ذكر فيه أنه أخذ الطريق عن شيخه الامام العارف سيدي محمد بن عبد الواحد الكتاني سنة ست وسبعين ومئتين وألف ، وأنه رأى له مكاشفات وخوارق عادات ، وأجازته له فى الطرق القادرية وسنده ، ثم ذكر أخذه للشاذلية عن الصالح سيدى إبراهيم بن علي الغماري المتوفى بدار تلميذه سيدي محمد السلَوي بالنواعريين من فاس ، وابراهيم هو مؤلف (بهجة الأنوار ، في طريق السادات الأخيار) تلميذ سيدي عبد السلام الأزهر ، والعالم الزاهد الحاج أحمد بن عبد المومن الغماري تلميذ مولاي العربي الدرقاوي .

كان المترجم رحمه أديباً ماهراً شاعراً ناثرا له القصائد الطنانة موزوناً وملحوناً ، وذكر صاحبه القاضي مولاي أحمد البلغيثي كثيراً من مساجلاته معه في ديوانه ، وذكر لي أن المترجم كان فقيراً لا يملك شيئاً وحرفته الخرازة ، دخل مراكش في أوائل دولة المولى عبد العزيز ، وكان عند الشريف المولى عبد المالك لا يتركه يذهب عند غيره ، ولما وقع لجاج بين العلامة مولاي الكامل المراني وزوجته الشريفة المصونة السيدة فضيلة أخت المولى الحسن ذهبت عند أخيها وامتنعت من الرجوع عند زوجها بعد أن راودها بجميع أنواع الملاطفات ، وبقيت ناشزاً حولا كاملا ، فعمل المترجم قصيدة من الملحون على لسان زوجها يستعطفها بذلك فمجرد ما وصلتها

وعرفت ما فيها رجعت عند زوجها وطاب خاطرها عنه ، وهي قصيدة مشهورة :

قولوا لغزالي التايها روفي روفي　　　لاش ذا الجفا عطفي على الخليـــل
مالك على الرسام غافــــــــــــلا　　　أمشموم البنات الغزال فضيلـــلا

ومن تقاييد المترجم رسالة سماها (الشهاب الكاوي، لأهل التمشدق والدعاوي) ألفها في عاشر شوال عام 1285 قال في طالعها : يقول العبد الفقير إلى ربه ادريس بن الفقيه علي بن علي بن الغالي المغربي المالكي البكري السناني نسباً الفاسي داراً ومنشأ الغماري مذهباً خديم الطائفة الدرقاوية ، وفقه الله لسلوك المحجة النبوية ، ولما طالعها الفقيه العدل محــب الفقراء سيدى محمد بن العربي بن القاضي بفاس سيدى محمد الزعري المباركي مدحها بقوله :

انظر إلى درر من بحرهــا قطعــت　　　كأنها في بساط الطــرس نرجيس
ترمي الأعادي بشهب في فؤادهم　　　كما الشهاب الذى يخشاه إبليــس
هي الشهاب لمن أضحى يعارضها　　　أتى بها كاوياً الحبــر إدريــــس
تبارك الله من صنع عجيب بــــدا　　　من فكر حبر تتابعــه الطياليــس

وهي فى ثلاثة أوراق فى الرد على هل الدعاوي الكاذبة فى الولاية ، وله رسائل غيرها وقفت عليها في مجموع كتب الجميع بخط محمد العربي قصارة بتاريخ 14 حجة متم عام 1296 وله تقريظ على الرحلة الكتانية بقصيدة مطلــعهــا :

لله در العـــــارف الكتـــــــانـــــي　　　ما إن له فى فتحـــه من ثـــــان

ثم وقفت على ديوانه الضخم المشتمل على قصائد فى مدح السلطان المولى الحسن والمولى عبد العزيز والجناب المحمدي فى مولديات وغيرهــا وصلحاء المغرب ورؤسائه وفقهائه وعلمائه ، وله غزليات ومسامرات ومحاورات لا غنى للأديب عنها وهو فى صحائف 249 من جمعه بطلب بعض الأشراف ورتبه على حروف المعجم ، وسماه بـ (الروض الفائح بأزهار النسيب والمدائح)

وهذه النسخة التى وقفت عليها بخط ولده علي فرغ من كتابتها يوم الخميس ثامن ربيع النبوي عام 1316 وهذا التاريخ بعده زاد المؤلف فيه لأنه ذكر فيه شعره أواخر جمادى الأولى عام 1318 ثم 26 ذو الحجة من العام المذكور ، قال :

تأملت بالفكر السليم كما ترى ـ   فلم أر شخصاً عن هدى الحق مدبرا
كمثل الذى يأتي الذكور من الورا   ويولج عضو النسل فى مَخرج الخرا
ألا فالعنوا مَن لا يزال بخبثه   على مذهب الفساق يزرع من ورا

وقال :

الأيرُ أعظم شافع مقبول   عند النسا لمذاقه المعسول
قد كان مسمار المحبة والهوى   فيه ترى للود أيَّ حصول
فاذا الحليلة خاصمت بعلا لها   أعرضْ ولا تكُ ياأخي بفضولي
لو جئتَها يوماً بألفيْ طرفة   لم يُرضِها في الصلح غير الفول (1)

وقال مخاطباً بعض الأصحاب :

نذير الشيب للتقوى دعاني   وعن غشيان مجلسكم ثناني
أيجمل باللبيب يضيع وقتا   بغير مَزية والمرء فان
تسير به الليالي كلَّ آن   وسير زمانه سيرُ السواني
فمَن ولّى الشبابُ وسار عنه   أحقُّ الناس ضنـاً بالزمان
فدعني من ملامك شبَّ عَمْرو"   عن الطوق المناسب للتواني
سأفري ما يعوق من الملاهي   وإلا فلست أدعا بالسناني

وله قصيدة ضادية من الطويل مطلعها :

خليلى إن الدهر جاء بما يرضي   وتاب من الاخلاف والنقص والنقض

وقال :

---

1) من أسماء الأير والخصيتين في العامية المغربية .

صـدر الدهـر وضيعـاً ... فتسامى في انقباض
قلت دعْ نخوة نفس ... لا تكن عنها براضي
لست فينا بمليك ... إنما نائب قاضي
بشر النفس بعزل ... اثره أي انخفاض
ان رأيتَ الدهر أعطى ... فانتظر حال التقاضي

وقرظ على كتب كثيرة منها (الدرر البهية) ، و (وصل الأفعال) و (زهرة الأفكار) ، و (تحرير المقال) .

وقال في الحثّ على طلب العلم :

اطلب العلم ما حييت بجدٍّ ... ولْتباعد أهلَ الهوى والتراخي
فأخو العلم في البرايا أمير ... ملكه محكم بغير انفساخ
وأخو الجهل لو حوى ملك كسرى ... ظلُّ وقتٍ فلم يزل في انتساخ

وقال قُبيل السحر :

عرفُ الصباح تضوعت نفحاته ... بالأفق من طيب النسيم مضمخ
والفجرُ أقبل يزدهي في بهجة ... أنواره تمحو الظلام وتنسخ
والروضُ أومأ بالسجود لحسنه ... والطيرُ تشدو ، والزواقي تصرخ
والليلُ ولَّى والنهارْ بحكمة ... يمتاز من طي السواد ويسلخ
شمِّرْ ذيولك هذه سويعة ... عُقَد المتاب بيمنها لا تفسخ
هذا الكريم يقول هل من مُقبل ... فأجب تدع رأس اللعين يُشدَخ
من قد أضاع نصيبه من ليله ... هو لا محالة بالشقاء ملطخ

وقال :

اجتنب خلطة أبناء اليهود ... ولتعاملْهم دواماً بالصدود
لا تخالط من أناس ورثوا ... بغضَنا من عهد آبا وجدود
ملئوا بالغش حتى لا ترى ... أحداً منهم يُوفِّي بالعهود

وقـــال :

بأبي مليحاً أمـــــــــــــــــــردا ... حمـل الفنـار (I) ليرشـــــــدا
ومشى أمامي ليلـــــــــــــــة ... حذراً عليّ من الـــــــــــردى
يكفي ضياء جمالــــــــــــــه ... فبه لنا نورُ الهــــــــــدى
مالي وللأضـــــــــــــــواء إذ ... ذاك البها منه بــــــــــدا

وقـــال :

خزائن رب العرش ليس لها عـدُّ ... وفضل إلاهي لا يحيط به الحــد
فحسِّن عبيدَ الله ظنك بالـــــذي ... له الخلق والتعريف والحلُّ والعقد
فسبحانه من مُنعم متفضـــــــــل ... فما زال في إنعامه يرفـل العبـد

وقال في أبي حفص الزجلي :

قلت لما أن تراءى وظهـــــــر ... وهو كالغصن قواماً والقمـــــر
يا مليكاً قد عفا مع قــــــــدرة ... وأتانا دون وعد منتظـــــــــر
قد نشرتَ العدلَ فينا عطفـــــة ... بعد جور وتجنٍّ قد صـــــــــدر
قال لا تعجبْ لهذا واتئـــــــــد ... أو َليس العدل من شأن عمــــر

وقـــال :

جفاني الذي كنت أحسبـــــــــه ... يراعي العهود بحفظ الشـــــروط
وأصبح غيري له صاحبـــــــــاً ... وأضحى يراني بعين السقـــوط
وما ليَّ ذنب ســـــوى أننــــــي ... لعمرك ذو عفة لا ألـــــــــــوط

وقال أيضاً :

إلى الله أشكو أذى زوجـــــــــة ... تُجرِّع قلبي همومَ الشطـــــط
تزوجتُها طلباً للســـــــــــرور ... فجاء وللسين منه نقـــــــط
أرى مَن تزوج في وقتنـــــــــا ... تعرض من فوره للسخــــــــط

وقـــال :

I) الفنار فى عامية المغرب هو الفانوس فى عامية المشرق .

إن كنت فى الجسم والأحوال محفوظاً   وكنت في العلم بالأحكام محظوظاً
فته، على من حوى الدنيا بأجمعها   وإن رءاك لأجل الفقر ملفوظاً

وقال :

فلله ظبي لوذعيٌ مهفهف   على صغر في سنه يتصوف
له سبحة في الجيد تحسب أنها   نجوم وذاك الوجه، بدر مشرف
فلا عجب إذ صار يرقص بالهوى   فللغصن بالريح انثنا وتعطف

وقال :

ألأقل للجهول إذا لحاني   بتركي للتسبب والمعاش
فكم حرم القوي بحال كد   وكم رُزق الضعيف على الفراش
أليس الرزق مقسوماً قديماً   تساوى قاعد فيه وماشي
فلا تك، ذا اعتراض أو جدال   وسلم فالدليل، لديك فاشي
فمن غذّى الجنين ببطن أم   فأضحى في نمو وانتعاش ؟

وله رسالة سماها (تأنيس المسجونين ، وتنفيس المحزونين) ألفها بسبب سجن سيدي محمد بن قاسم الصادقي .

توفي رحمه الله ونفذ له السلطان مولاي الحسن مئة مثقال مفردة صلة له على إنشاء قصيدة بتاريخ 30 صفر عام 1303 .

340) إدريس بن عبد الهادي العلوي

مولاي ادريس ابن قاضي فاس مولاي عبد الهادي العلوي ، قال في (المجد الطارف) عند ذكر مؤلفه لرحلته بفاس في أوائل العشرة الأخيرة من القرن الفارط ما نصه : وصرت أتردد في مجالس أهل العلم بالقرويين وزيارة الصالحين ، فتلاقيت فيها مع الشريف العلامة المنيف مولانا ادريس ابن شيخنا الفقيه العلامة قاضي القضاة بفاس مولانا عبد الهادي بن مولاي التهامي العلوي ، وهذا الشريف مولاي ادريس من أعيان علماء حاضرة فاس ، ومن أنفس أشرافها الأكياس ، وبيتهم من فيلالة بيت علم قديم ، وكان والده

المرحوم يحبنا وبنوه بنجابتنا عند الامام سيدي محمد بن عبد الرحمان ، حيث كان خليفة قيد حياة أبيه سنة ست وخمسين ومئتين وألف أوان شبابي ، فأين تلك الأيام التي كأنها أحلام ، قال :

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام

فقد اعتنى بنا الشريف المذكور أتمَّ اعتناء وأكرم ضيافتنا مراراً ، وكان قبل قدومي بقريب ، ختم مختصر خليل ختماً نفيساً ، وكان يوماً مشهوداً أكرم به جميع العلماء وأرباب الدولة ، وأعانهم على الختم صهره أمير المومنين مولانا الحسن بألف ريال فيما بلغني ، وقد جعل أماكن لاكرام الناس على مراتبهم ، فينزل الناس منازلهم ، فكان هذا الفقيه الشريف ينزل كل إنسان منزلته ويذاكره ويشرح صدره بحسب حاله وعقله ، وما رأيته تلك الأيام خيب رجاء مرتج له من جاه أو مواساة اقتداء بقوله (ص) من قطع رجاء مَن يرتجيه قطع الله رجاءه يوم القيامة ، وقد ابتنى للاكرام قصراً مشيداً قرب جامع الأندلس فهو جدير بقول الشاعر :

شاده مرمراً وجلله كلـ سـاً فللطير في ذراه وكور

وقد غرس فيه رياضاً يانعة ، وأجرى فيه حياضاً بالماء نابعة ، وغرس فيه خمائل أزهار حياض أنوار متنوعة مبتدعة ، وهو من أبدع قصور فاس ، أعده هذا الشريف للاكرام ، وأحسن بهذا من مرام ، ولما رأيته أهلا لأن يجازى بالثناء الجميل ، وتخليد مآثره وفضله الجزيل ، جازيتُه بقصيدة دالية فائقة وإن كان كان مقامه أعلا مما ذكرت ، فقلت :

حيَّتْك حوراً مليحة الدلال أيا نجل الشريف المنيف عابد الهادي
قاضي القضاة بغربنا وعالمه الحبر الحلاحل في فقه وإسناد
وطارحتْك حديثاً في محاضرة في مجلس نعم ذاك المجلس النادي
فأنبأتنا وأخبرت تحدثنا بأطيب الخبر من إنشائها الشادى
أن الشريف ابن عبد الهادي أوحد عصـ ـره تواتر من جمع وآحاد

أفادنا من نفيس علمـــــه درراً أزرت بجوهر أطواق بأجيـــــاد
أهدى لنا أرجاً من علمه عطِـــــراً مولانا إدريس من بعلمه هـــادي
فالروح مستروح إلى مذاكـــرة من فيه فهي كنقع غلة الصـــادي
فلا غرابة فالفنون معدنهـــــا هذا الشريف بلا ريب وإلحـــاد
يفيد بالعلم مَن أتاه يطلبـــــه وبالقرى رائحاً إليه أو غـــادي
وليس يجحد فضله الشهير سوى وغد خسيس من أرذال وأوغـــاد
أو حاسد حسبنا الله الوكيل من أشـ ـرار الحسود ومبغض وحقـــاد

ثم قال :

هذا هو الشرف الذي يخصُّ بـه إلاهُنا مَن حدا بصيته الحـــادي
هذا هو السند العالي المصحح في كل الأسانيد إسناداً عـن إسنـاد
فالعين إن نظرت في حسن عزتكم تقرُّ والنورُ فوق وجهكم بـــادي
وما تفوه به من العلوم علــــى قلبي لأشهى من الشهادي الحادي
تهنيك سيدنا إدريس مرتبـــــة سارت بأتهامها عيس وأنجـــاد
أثنتْ عليه حواضر وباديـــــة من حاضر ساكن في فاس أو بادي
أنت الجدير بجدوى كل فائـــدة لاسيمـا مجتد علـوم أمجـــاد
خدها إليك غريبة الثناء هديتـــي من قلب حـــب بحب الله ودادى
أهديتها تتهادى في مدائحكــــم يابن الشريف المنيف عابد الهادي
كأنما صيغ من تبر ومن فضـــض أبياتها حسنها أغنى عن إنشـــاد
لازلت بدراً منيراً في مجالسنـــا بالهاشمي الشفيع يومَ ميعـــاد
صلى عليه إلاه العرش ما طلعـت شمس البلاغة في قصدان قصـاد

وهذا الشريف بفاس ، حرسها الله من كل بأس ، والشريف اللوذعي الألمعي مولانا علي بن أمير المومنين مولانا عبد الرحمان بمراكش أعزها الله تعالى هذان الشريفان في وقتنا هما نيرا فلك مجد الاكرام ، ومحط رحال الأفاضل والأعيان وعلماء الاسلام . انتهى المقصود .

وقال في (الدرر البهية) ما نصه : وأما الفرع الثاني ، وملجأ الخائف والجاني ، الدر النفيس ، أبو العلاء السيد ادريس ، فهو البحر الزاخر الذى لا يُدرك ساحلُه ، وينبوع المفاخر الذى لا تعد فضائله ، والحفيُّ الذى لا يخيب سائله ، إن ذكر العلماء الأذكياء حاز مقام الزهرة والثريا ، تصدى لنشر العلوم رواية وتدريساً ، حتى غدا إماماً رئيساً ، عرف الأصول والفروع، والمتروك والمشروع ، والصحيح والموضوع ، فصار قوة في الأقوال والأفعال ، عمدة في جميع الأحوال ، شاع ذكره في المشارق والمغارب ، وامتطى في الفضل السنام والغارب ، وأحبه الأجانب والأقارب ، واشتهر اشتهار البدر المنير ، أو الشمس اذا بدت بأحد وتبير ، جمع أشتات المعالي ، وأحرز المقام العالي ، وبالجملة فهو أحد الأمجاد الموجودين ، والأفراد المعدودين ، فلا يذكر أهل الفضل إلا كان واسطة عقدهم ، ولا أهل البذل إلا كان في أولهم ، ذو أحوال سنية ، وأفعال سنية ، وهمم سرية ، ونعوت مرضية ، وعلى ما أتاه الله مولاه ، من الجلالة والمهابة والجاه ، يلقى الضعيف والخطير بوجه مستنير ، ويعامل الكل معاملة الأبرار ، الفضلاء الأخيار ، وصول للأرحام ، رحيم للضعفاء والأيتام ، عزيز الجار ، حسن الجوار ، حصل حسن المحاضرة ، حلو المذاكرة ، وسيع الصدر ، نافذ الأمر ، سالك سبيل الاقتصاد ، مسارع الى مرضاة رب العباد ، عامل بكتاب الله ، وسنة رسول الله ، كثير الصيام ، طويل القيام ، أبقى الله جلالته المنيفة ، وحفظ ذاته الشريفة ، بمنه آمين .

صاهره خاله أمير المومنين سيدي محمد رحمه الله بابنته الشريفة المنيفة الجليلة السيدة عاتكة، فلما توفيت تزوج بأختها الشريفة المنيفة السيدة حليمة فتوفيت أيضاً ، وهو الآن في قيد الحياة أطال الله حياته ، وهو أحد أسلافنا الذين انتفعنا بهم .

انتهى كلام (الدرر) .

قلت في سابع شعبان عام ستة وعشرين وثلاثمئة وألف ، أضافني المترجم ورحب بي غاية الترحيب ، وأجلسني في أعز أماكنه ، وكان عنده

أضياف آخرون فأدخلهم بمحل آخر وجلس معي بعد صلاة الجمعة إلى أن صلينا العصر ، وحدثني برحلته الى الحجاز والشام ومصر ، وذكر لي شيوخه، منهم سيدي ابراهيم السقا المتوفي عام 1298 ، وسيدى حسن العلوي، والشيخ عليش ، وسيدي أحمد دحلان ، وان رحلته كانت أواخر القرن الثالث عشر إلى أوائل هذه المئة ، وذكر لي المواضع التى كان ينزل بها بمراكش حين كان يفد على الحضرة الشريفة بقصد قراءة صحيح الامام البخاري ، وسفره مع المولى الحسن بسوس في حركة سوس الثانية ، وحكى لي عن الفقيه العلامة سيدي الحاج محمد كنون ، أنه كان اختفى عن وضع علامته فى بيعة المولى الحسن إلى أن بحث عنه وأدخله لذلك المحل الذى أدخلني به وأمره بذلك وعرفه عاقبة المخالفة ، وأنه لما أراد أن يخرج منه كتب فيه (إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) ، وأمرني بذلك أيضاً ، ورأيت عنده من شروح صحيح الامام البخاري ، والمساند التى جمعها السلطان سيدى محمد بن عبد الله ونسخة صحيح البخاري خطية نفيسة في القالب الكبير ، وذكر أنه سرد شرح والده (تيسير الوصول) مرتين ، وذاكرني في أشياء ومجَّد وبجَّل وما قصر من البرور جزاه الله خيراً ، وحدثني عن رفقائه وما نسخه من الدواوين والكتب العلمية ، ورأيته لا يشرب الماء خلال الطعام لكونه تربّى بذلك ، وأن الشرب في ذلك الوقت ليس من الالتهاب والا لعم الناس ، وإنما هو اعتياد ، وذكر لي أن الفقيه المرنيسي كان يقرأ في كل يوم أربعة أنصبة ويؤنس الطلبة ويقتصر في التدريس على المقصود ويأتى بالمضحكات العجيبة ، وكان يقرأ عليه أولاد أكابر الرؤساء وغيرهم ، وأولاد الرؤساء يباسطهم ويقول لهم أنتم لا أريد منكم البوس ، وإنما أريد منكم الفلوس ، وأترك الفقراء يبوسون ، وأنه كان سليم الصدر من منافرة أهل عصره ، وأنه كانت بين الفقيه كنون والقاضي مولاي مَحمد منافرة ، وأنه تلاقى مع سيدي ابراهيم السنوسي ، وبين له قاعدة شرفاء الحرم المكي والاصطلاح في توليتهم وكيف كانت تولية الشريف عون ، وأن الشريف يكون كالخليفة والباشا يكون من الترك ، وأن من شارك الشريف في كونه مستحقاً للامارة هناك يكون بالاستانة حتى يموت المتولي ويتولى هـو ،

ويتحافظون على هذه القاعدة ، وأنه لما توفي الشريف الذى كان قبل الشريف عون ، أراد الباشا تولية بعض الأشراف الذين كانوا هناك بمكة وقاوله بثلاثين ألف ريال ، ولما جاء الموسم قام بوظيفه ، ففي يوم الخطبة جاء الشريف عون من اصطنبول يفرمان ولايته ، وبقي الشريف الذى كان طمع فيها من خدامه وأتباعه بعد أن كان هو المتولي وركب مع الناس قبل ، وهذا الأمر شاهده المترجم بالتاريخ الذى كان بالحجاز ، وأجلسني بصدر المجلس وجلس إلى جنبي وسألني عن أهلي ، فأخبرتُه بأني حفيد الفقيه ابن ابراهيم، فقال الدر من معدنه ، وذكر لي أنه كان ينزل برياض ابن ابراهيم بالزاوية العباسية ، وسمَّى لي من أشياخه الفقيه ابن عبد الرحمان رحمه الله ، وأنه حضر عنده في وقت الاحتضار وأن الناس الذين أدرك كانت فيهم قوة واحتفال بالأمور ، وأخبرني أن الحاج العربي المشرفي هجا السيد عبد الله بن أحمد ، واحترم بمولانا ادريس نحو عاميْن ، وصار يصلي وأنه كان قبل ذلك لا يصلي، وأنه دار في بعض الأوقات على العمال الكبار بالمغرب كالشرقي وأضرابه ، ولم يحصل له منهم غير الزرع فهجاهم فى ستمئة بيت ، وأخبرني أن الفقيه ابن سودة حيث تعطل في يوم العيد قال السلطان المولى الحسن : هل فيكم مَن يحفظ خطبة أو هي في دليله ؟ فقال له : واذا جاء الخطيب ، فأجابه بأن في المختصر وبكونه الخاطب الا لعذر ، فعجب من استحضاره لِذلك ، فأخبرته بأن هذه القضية وقعت في خلافة أبي العلاء فعنفني على عدم تقدمي للصلاة والخطبة حين تأخر الخطيب لما يعهد فيَّ من الاقدام ، وأنه دخل خزانة الكتب المصرية ورأى فيها مصحفاً يتبرك به، أوائل سُطوره كلها ألف ما عدا السطر الأول ، وكلمات سطوره متساوية بحيث لا زيادة فيها ولا نقصان وهو أمر عجيب ، ثم في الجمعة الثانية أرسل إلي وعاملني بما عاملني به قبل ، وتجارينا في المذاكرة كذلك ، وأخبرني أن شرح العلامة علي المتيوي لِقصيدة سيدي ابراهيم الرياحي فى مدح المولى ابراهيم بن أمير المومنين مولانا سليمان يدل على تضلعه في علم البيان ، وأراني نسخة من منتخب كنز العمال خطية في ثمانية أجزاء كان اشترى أولها وانتسخ له باقيها السيد عبد الرحمان الراشدي ورفيقه حيث كانا في السجن ، وبمُجرد ما أتم انتساخها

سرح ، ثم اشتراه مطبوعاً بهامش مسند الامام أحمد في ستة أجزاء ، وأراني جزءاً من (البيان والتحصيل) للامام ابن رشد من عشرين جزءاً كان أمر بنسخه أمير المومنين سيدي محمد بن عبد الله عام أربعة وسبعين ومئة وألف، وكلف أربعة علماء لتصحيحه : الشيخ التاودي ، وسيدي عمر الفاسي ، وسيدي محمد بن عبد القادر ، وسيدي عبد القادر بوخريص ، ومن النساخ الكاتب سيدي أحمد الغزال ، واستخرج هذا الكاتب كما رأيته بخطه في هذا التاريخ عجائب من اسم الأمير ومن اسم العلماء ومن اسمه ، نص الأول كتب للأمير محمد بن عبد الله ، ونص الثاني محمد التاودي أبو حفص محمد عبد القادر ، ونص الثالث أحمد بن المهدى الغزال ، ثم أضافني مرة أخرى وحدثني أنه قرأ على والدهم (فتح الباري) في ثمان سنين وتفسير أبي السعود ثلاث مرات ، وبعض تفسير النسفي لأنه مات قبل تمامه ، وأنه لازمه في القراءة من شبابه الى أن مات في المساجد وفي داره ، وأنه لازم الشيخ دحلان في القراءة نحو ثلاثة أشهر في هذه المئة ، وسمعه مرة وصف أهلَ المغرب بالجفاء ، فاستحيى أن يرد عليه هذه المقالةَ بمحضر أهل العلم ، فأمهله حتى ختم الدرس ، فقال له ياسيدى إنكقلت في أهل المغرب ما قلت ، فبين لي سببه لأجيبك أو أسلم معك جفاءهم ، فقال له إن السيد عبد الكبير الفاسي لما حج كان أتى معه بسفر من شرح الأحياء للشيخ المرتضى ، فانتسخته منه وطلب من شريف مكة أن يكتب لسلطان المغرب مولاي الحسن بأن يوجهه له فما وصله الجواب ، فأجابه بأن السيد عبد الكبير ما وصل من حجه إلى أهله لأنه ذهب الى ملاقاة السلطان المذكور فى قضية الأمانة التى كانت موضوعة عنده من قبل الشبلي فأكرمه بنحو سبعمئة ريال ما بين مركوب وكسوة ودراهم ، فلما وصل الى شبالة مات ، والآن اكتبْ أنت للسلطان ، فانك شريف عالم لا تحتاج إلى وساطة شريف مكة ، فان لم يصلك جواب فالعهدة علي ، فكتب له فأوصله إلى السلطان وطلب منه الجواب فأجابه بأنه سيبعثه له ، فأمر بطبعه فطبع منه بفاس نحو أربعة أجزاء فطالبه بتوجيهها له فأمر الوزير بالكتابة له ولأمناء دار عديل بتوجيه الأسفار له ، فبعد نحو ستة أشهر سأل عن توجيهها له بعض أمناء دار عديل فأخبره أنه لم يصلهم شيء ،

فكتب الى السلطان بذلك فبالغ في عتاب الصنهاجي على ذلك ، وقال الصنهاجي لمحدثي إن السلطان لم يقابله بالجلال في قضية مثل هذه ، وإن المكاتب تلفت له ولم يقع له مثل ذلك قبل ، ثم وصلته أسفار تسعة ووصله الخبر بموت الشيخ دحلان ، فحاز الأسفار التسعة لنفسه وكتب الى السلطان بذلك ، فسبحان مَن لا يقع في ملكه ما لا يريد ، وأجازه الشيخ أحمد دحلان بالاجازة العـامـة .

توفي المترجم رحمه الله بالمدينة المنورة يوم الثلاثاء سابع محرم الحرام فاتح عام واحد وثلاثين وثلاثمئة وألف ، ودفن بالبقيع عن نيـف ثمانين سنة .

وللأديب الحاج إدريس السناني مدائح فيه كثيرة راجعها في ديوانه ، فقد بلغت نحو عشرين قصيدة ، منها قصيدة لمـا سرد كتاب (تيْسيـر الوصول) بشرح والده المسمى (تنوير العقول بكلام الفحول) مطلعها :

نفحة التيسير وافت بالقَبـــول   في صباح قد أتى بالأمـــــل

وألف رحلة مختصرة فى رحلته الأولى عام 1283 ، عد فيها تنقلاته من يوم خروجهم من فاس الى رجوعهم اليها ، وذكر فيها مَن اجتمع به من علماء ذلك العصر بالحرمين ومصر والاسكندرية ، ولم يذكر أنه استجاز أحداً في هذه الرحلة .

341) **إمام الدين بن محمد بن قاسم البطايحي الخزرجي الخليلي** ، قال فى (المنتقى المقصور) ما نصه : ومن غريب مـا اتفق بين يديه يعنى أحمـد المنصور الذهبي ذات يوم نفر اليه أيده الله ثلاث نفر من المساجد الثلاثة التى تشد الرحال اليها ، أحدهم مدني ، والآخر مكي ، والثالث خليلي قدسـي (يقال) له امام الدين بن محمد بن قاسم البطايحي الخزرجي ، ثم إنه ألقي في خاطره ما اتفق من اجتماعهم على ايالته ، فأنشد بيتين فى الحال ومن معه من (العلماء) حاضرون أعني الذين قصدوا إيالته العلوية (من المساجد) المكية والمدنية ، فقال على قدمية وقال :

إن أمير المومنين أحمـــــــــــد بحر ندى وفضله لا يجحـــــــــد
فمكة وطيبة وأهلهـــــــــــا والمسجد الأقصى بذاك يشهـــــد

فلما بلغ الى قوله فمكة وطيبة أشار بيده الى كل من صاحبيه ، ولما بلغ الى قوله والمسجد الأقصى أشار بيده الى نفسه ، ثم قال : نصرك الله لم يتفق هذا لملك قصدت ايالته قبلك ، فتبسم لذلك أبقاه الله ، وقد أجزل لهم فى العطاء واجراء النفقة عليهم كما دأبه بكل وافد عليه من أي بلد كان .

وقال في (الصفوة) لدى ترجمة عبد الرحمان ابن الوقاد ما نصه : من أشياخهم أيضاً إمام الدين الخليلي وافد المشرق على المنصور ، وكان الخليلي جال فـي البلاد ولقي المشايـخ بالحجاز ومصـر والشام وسكـن القسطنطينية مدة ، ومنها انتقل لمراكش فنزلها ، قال ابن الوقاد : أنشدني أبو البركات العتدي لنفسه :

عن النبي أتانا من رأى امــــرأة فحلّ في قلبه للحسن موقعهـــــا
أن يأتي زوجته ويقضي حاجتـــه فان ما معها هو الذى معهـــــا

توفي الخليلي في رجوعه من رودانة لمراكش قتيلا بالطريق سنـة تسع وتسعين وتسعمئة ، وقد حلاه الشريف العلامة السيد علي المعروف بابن معصوم المدني فى كتابه (سلافة العصر، فى محاسن الشعراء بكل مصر) فى ترجمة أبي الفضل بن محمد العقاد المكي بالشيخ الامام غرس الدين الخليلي . نقلا عن (نفح الطيب) صحيفة 244 من السلافة ، وترجم لغرس الدين الخليلي صحيفة 399 وأطال فيها فراجعها .

342) **الامان الأسود** أبو إسماعيل من أهل مراكش وبها مات في آخر شوال عام ستة عشر وستمئة ، كان عبداً صالحاً مقبلا على الله ، صحب أبا يعزى وأبا ابراهيم السفاج وغيرهما ، قال في (التشوف) : سمعت عيسى بن أبي عيسى بن جعفر السوسي وكان عبداً صالحاً يقول قدم مراكش رجل من الأولياء يقال له إبراهيم بن بسطام يحدث عنه بالعجائب ، فدخلت عليه فقال لي من أين اقبلت ؟ فقلت له حضرت جنازة رجل صالح يعرف بالأمان ، قال لي

كنت قاعداً في مصلاي فسمعت هاتفاً يقول يموت اليوم ولي ، وهو هذا الذى حضرت جنازته ، قال وقلت له ياسيدي سمعت عنك خبراً فأريد أن أسمعه منك ، فقال لي وما هو ؟ فقلتُ له كيف كوشفت بأبي بكر الصديق رضي الله عنه ؟ فقال لى حضرت مجلس واعظ ، فلما فرغ من وعظه سأل بحق أبي بكر الصديق وفي كمي درهم ليس معى سواه ، فهممت باعطائه له ثم توقفت ، فرأيتُ صورة أبي بكر الصديق وهو في عباءة واقفاً أمام الواعظ ، قد مدَّ يده الي لياخذ مني الدرهم ، وقال هاته فصحت وناولته الواعظ ولم يدر أحد ما ادركني (1) .

343) **اعتماد الرميكية** جارية المعتمد بن عباد وأم أولاده وتشتهر بالرميكية نسبة الى رميك بن حجاج ، اشتراها منه فنسبت اليه ، وكان قد اشتراها في أيام أبيه المعتضد وأفرط فى الميل اليها وغلبت عليه ، ولما خلع المعتمد وسجن بأغمات قالت له ياسيدي لمَ قدمنا هنا ؟ فقال :

قالت لنا هنا هنـــــــــــــا ... مولاي ، أين جاهُنـــــــــــا ؟
قلت لها إلى هنـــــــــــــا ... صيَّرنا إلاهُنـــــــــــــا

وحكى أنها قالت له وقد مرض ياسيدي مالنا قدرة على مرضاتك من من مرضاتك ! ولما قال الوزير ابنُ عمار قصيدتَه اللامية الشهيرة في المعتمد والرميكية ، أغرت المعتمدَ به حتى قتله وضربه بالطبرزين ، ففلق رأسه وترك الطبرزين فى رأسه، فقالت الرميكية قد بقي ابن عمار هدهداً، والقصيدة أولـهـا :

ألا حيٌّ بالغرب حياً حـــــلالا ... أناخوا جمالا وحازوا جمـــــالا
وعرج بيومين أم القـــــــرى ... ونم فعسى أن تراها خيـــــالا

ويومين قرية باشبيلية كانت بها أولية بنى عباد ، ففي هذه القصيدة يقول معرضاً بالرميكية :

---

1) **التشوف** ص 469 ع 274 **والسعادة الأبدية** 2 : 114 .

تخيرتَـها من بنات الهجـــــان رميكية لا تساوى عقـــــالا
فجاءت بكل قصير العـــــذار لئيم النجاريْن عمّاً وخـــالا
قصار القدود ولكنهـــــــــم أقاموا عليها قروناً طـــوالا
أتذكر أيامنا بالصبـــــــــا وأنت إذا لحت كنت الهـــلالا
أعانقُ منك القضيب الرّطيـــب وأرشف من فيك مـــاء زلالا
وأقنع منك بدون الحـــــرام فتقسم جهدك أن لا حـــلالا
سأهتكُ عرضك شيئاً فشيئـــاً وأكشف سترك حالا فحـــالا

ومــنــهــا :

فياعامــرَ الخيـــل يازيــدهــا منعت القــرى وأبحتَ العيـــالا

وسبب قول ابن عمار هذه القصيدة أن المعتمد ندّر به وذيّل على قصيدته الرائية المذكورة فى القلائد بعد قوله :

كيف التفلتُ بالخديعة من يــدي رجل الحقيقة من بنى عمـــار

وسخر به في أبيات مشهورة .

كان المعتمد كثيراً ما يأنس بجاريته المذكورة ويستظرف نوادرها ، ولم تكن لها معرفة بالغناء ، وإنما كانت مليحة ، حسنة الحديث حلوة النادرة ، كثيرة الفكاهة لها في كل ذلك نوادر محكية ، ومن أخبارها القصَّةُ المعروفة في قوله (ولا يوم الطين) ، وذلك أنها رأت الناس يمشون في الطين فاشتهت المشي في الطين ، فأمر المعتمد ، فسحقت أشياء من الطيب ، وذرت في ساحة القصر حتى عمته ، ثـم نصبت القرابيـل وصب فيها مـاء الـورد عـلى أخلاط الطيب ، وعجنت بالأيدي حتى كانت كالطين فخاضتها مع جواريها ، فغاضبها فى بعض الأيام ، فأقسمت أنها لم تر منه خيراً قط ! فقال ولا يوم الطين ؟ فاستحيت واعتذرت ، وهذا مصداق قول نبينا (ص) في حق النساء : لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت ما رأيت منك خيراً قط ، ولعل المعتمد أشار في أبياته الرائية إلى هذه القضية حيث قال :

يطأن في الطين والأقدامُ حافيـــة كأنها لم تطأ مسكاً وكافـــــورا

من قصيدة مطلعها :

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا فساءك العيد في أغمات مأســورا
ترى بناتك في الأطمار جائعــــة يغزلن للناس لا يملكن قطميـــرا
برزن نحوك للتسليم خاشعــــة أبصارهن حسيرات مكاسيــــرا
يطأن في الطين والأقدام حافيــة كأنها لم تطأ مسكاً وكافـــورا
لا خد إلا تشكى الجدب ظاهـــره وليس إلا مع الأنفاس ممطـــورا
أفطرت فى العيد لا عادت مساءته فكان فطرك للأكباد تفطيـــــرا
قد كان دهرك إن تأمره ممتثـــلا فردّكَ الدهرُ منهياً ومامـــورا
مَن بات بعدك فى ملك يُسَرُّ به فانما بات بالأحلام مغــــرورا

قال في (النفح) : وقد جعل الله تعالى له كما قال ابن الأبار فــي (الحلة السيراء) رقة فى القلوب وخصوصاً بالمغرب ، فان أخباره وأخبار الرميكية إلى الآن متداولة بينهم ، وإن فيها لأعظم عبرة رحم الله الجميع .

ولما قال ابن عباد لما هبت الريح على صفحة نهر الوادي الكبير في إشبيلية :

حاكت الريح من المــــــاء زرد

ثم استجاز ابنَ عمار فارتجّ عليه ، فقالت غسالة في الضفة :

أي درع لقتال لو جمـــــــــد

فعلم أنها جارية لرميك فاشتراها كما تقدم .

وكتبت له مرة :

غرضى أن يكون منك وصـــول بخُطى تسبق الرياح حثـــات
ثم تعلو صدرى وتحرث بطنـــي . . . . . يخط كالمحـــــرات
وإذا ما حصلت . . . . فــرضى لم تدعنى الى بلوغ الثـــلاث

فبلغها مناها .

وقال المعتمد فيها هذه الأبيات المشجرة باسمها :

أغائبة الشخص عن ناظـــرى — وحاضرة في صميم الفــؤاد
عليك السلام بقدر الشجــون — ودمع الجفون وقدر السهــاد
تملكت مني صعب المــرام — وصادفت ودي سهل القيــاد
مرادي لقياك في كل حيــن — فياليت أنيّ أعطى مــرادي
أقيمي على العهد ما بيننــا — ولا تستحلي لطول البعــاد
دسست اسمك الحلو في طيــه — وألفت' فيه حروف اعتمــاد

344) إسحاق بن علي اللمتوني (السلطان)

اسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين ، لما بويع ابن أخيه ابراهيم بن تاشفين بن علي وألفاه المرابطون مضعفاً عاجزاً خلع وبويع عمه اسحاق المترجم ، وعلى هيأة ذلك وصل الموحدون إلى مراكش وقد ملكوا جميع بلاد المغرب عليه ، فخرج إليهم في خاصته فقتلهم الموحدون .

ذكره ابن خلدون (1) .

345) **اسحاق بن محمد : الهزرجي** ، أبو ابراهيم ، من أهل الجانب الشرفي من مراكش ، وبه توفى ليلة النصف من شعبان عام أحد وثمانين وخمسمئة ، ودفن خارج باب الدباغين ، وكان من الأفراد ، وهو صاحب الضريح الشهير هناك يعرف بسيدي إبراهيم السفاج حذفوا صدر الكنية كما فعلوا في سيدي أبي اسحاق البلغيثي .

قال في (التشوف) سمعت محمد بن أحمد الزناتي يقول سمعت الشيخ الصالح محمد بن تميم النجار يقول أخبرني أبو ابراهيم أنه رأى رب العزة في النوم ، فقال له يا إسحاق أنا آخذ بيد السخي كلما عثر ، أنا آخذ

---

1) أنظر ص 149 ع 3 من الجزء الأول من هذا الكتاب .

بيد السخي كلما عثر ، أنا آخذ بيد السخي كلما عثر ، يقولها ثلاث مرات ، فلما أصبح أبو إبراهيم تصدق بجميع ماله وأعتق مماليكه، وكان يتفقد الصبيان فى مكاتبهم فيسأل عن الأولاد الأيتام وأولاد الفقراء فيكسوهم ويشتري الطرف فى أول إبانها فيفرقها عليهم ، وأخبرني الشيخ الصالح يحيى بن أبى بكر الزناتي قال رأيته يجرد أولاده من ثيابهم ويكسو أولاد الفقراء ، وكان أبوإبراهيم شديد الصفرة من كثرة الصيام والعبادة ، فاذا صلى الصبح خرج إلى دكانه ليبيع الاسفنج والهريسة فيشمر أكمامه فاذا أخذ ما يقوم به وبأصحابه أطعم المساكين بقية الاسفنج والهريسة ثم يمرّ إلى بعض المساجد فيصلي الضحىويتفرغ باقيَ يومه للعبادة وزيارة إخوانه فى الله ، وكان له إخوان واخاهم فى الله تعالى فيقوم بمئونتهم ويجرى عليهم ما يكفيهم ، حدثنى محمد بن عبد الله وغير واحد من الثقات قالوا حدثنا محمد ابن تميم أنه كان تكلم مع أبى إبراهيم فى شأن القبلة وقد شرق أبو ابراهيم ، فقال له أبو ابراهيم لي منذ كذا وكذا سنة وأنا أعاين الكعبة .

سمعت محمد ابن تميم يقول لما مات أبو إبراهيم حملنا نعشه فى الغلس فخرجنا من باب الدباغين فأبصرت النعش فوق أيدي حامليه وكلهم يظن أنه كفاه غيره ورفعه عنه ، وقال لي عبد الله بن أبى بكر وكان رجلا صالحاً سمعت محمد ابن تميم يقول لما رفع نعش أبى إبراهيم سمعت هاتفاً يقول ارفعوا مَن رفعه الله ، قال عبد الله بن أبى بكر وحدثني موسى بن عبد الخالق قال رأيت أبا ابراهيم بعد موته فى النوم فقلت له ياأبا لإبراهيم لو رأيت احتفال الناس بجنازتك فانها حضرها خلق كثير ، فقال لي لو رأيت احتفالها فى الآخرة لرأيت أمراً عظيماً حضرها جبرائيل وإسرافيل ومدّ صوته باسرافيل حتى انتبهت من نومي .

وحدثنا محمد ابن تميم قال أخبرتني امرأة حضرت جنازة أبى إبراهيم قالت لما اصطفّ الناس للصلاة رأيت النخلات التى ببحيرة الرقائق تأخرت حتى صارت خلف الجنازة ، فلما سلّم الامام رأيتها قد عادت إلى موضعها .

وحدثني علـي بن موسى قـال سمعت يخلـف بن ورزج غيـر مـرة يقـول : رأيت أبا إبراهيم لمس عنبـاً في قفـة ليشتريه ثم اشترى غيره فاشتريت القفة التي قلبها وعصرت عنباً وجعلته في ظرف عادته أن يكون فيه عصير العنب يوماً وليلة فيصير سكراً فأشربه فمكث في ذلـك الظرف إلى أن مر عليه عام كامل وهو حلو لم يتخمر ، فمرَّ بي أبو إبراهيم يوماً وقال لي إلى متى تنتظر العصير أن يعود لك خمراً أشربه حلواً فانه لن يصير خمراً ، فشربته حلواً .

وحدثني عبد الله بـن موسى قـال بعثني أبـو إبراهيم مـع خديم له إلى رجل من أصحابي ببلد رجراجة فقال لي الرجل الذي بعثني معه عسى أن تصحبني إلى رجـل بهذه البلـدة لنزوره ، فذهبت معـه إليه ، فتحدث معه ساعة ثم قـال لي عند هذا الرجل دراهم صنعهـا ، فما ترى في حملها إلى مراكش لنصرفها ونقسمها أثلاثا لكل واحد منا ثلثها فانه يعرف الكيمياء ، فأعرضت عن قوله وقضيت الأمر الذي بعثني فيه أبو إبراهيم ونويت الرجوع إلى مراكش وحدي فأدركني صاحبي في الطريق ، فقال لي سألتك بالله العظيم إلا ما كتمت علي ما سمعته مني وسترتني عند أبي إبراهيم ، فقلتُ له لن أخبره بشيء من ذلك ، فوصلنا دار أبي إبراهيم بمراكش فقرعت الباب فخرج لنا أبو إبراهيم ، فقال لذلك الرجل اذهبْ عني ولا تأت أبداً ، فاني لا أصحب من يصحب أهل التدليس ، ثم قال لي بارك الله فيك ، وأنشأ يحدثني بكل ما جرى ، فعجبت من ذلك كل العجب ، وعلمت أنه كوشف بذلك .

قال عبد الله بن موسى وبعثني أبو إبراهيم ليلة إلى أبي حسون ليبيت عنده، فأتيت به وقال لي ونحن في الطريق أشتهي أن آكل عند أبي إبراهيم مثل الحوت الذي كنت أكلت عنده ، فلما دخلنا الدار قال لي أبو ابراهيم اِذهب إلى أحمد الحوات وقل له بعنا لنا الليلة حوتاً طيباً مثل الذي كان بعت لنا يأكله الليلةَ أبو حسون .

قال أبو عبد الله بن موسى وحضرت يومـاً بدار أبي إبراهيم إلى أن جاءته جماعة من الصالحين من أهل البادية لا أعرفهم ، فقال لي سق من

السوق اسفنجاً طيباً وعسلا ، فأتيتهم بذلك ، وقلت فى نفسي ليتنى دخل هؤلاء الصالحون بيتىِ لأتبرك بدخولهم فيه ، فلما فرغوا من الأكل قال لي أبو إبراهيم تقدم إلى منزلك لتدخل عندك هذه الجماعة كما تمنيت ، فتقدمتهم ودخلوا البيت فسمعوا بكاء ولدي كما فطم ، فقالوا لي ما لهذا الولد يبكى ؟ فقلت لهم قد فُطِم عن الرضاع فلم يفتر من البكاء ، فأمرنى أن آتيهم به فمسحوا على رأسه فسكت الصبي ولم يبكِ بعد ذلك على الرضاع (1) .

346) **إسحاق ابن ويعزان :** أبو ابراهيم من أهل رباط تاسماط من عمل مراكش ، وكان من الأولياء الأخفياء ، قال فى (التشوف) حدثني الثقة قال سمعت الشيخ عبد الله بن عثمان الصنهاجى يقول كان إسحاق ابن ويعزان ملازماً لمسجد تاسماط يواصل فيه سبعة أيام على الدوام ، فاذا قرب أوانُ الحج غاب أياماً ثم يظهر ، فيقال إنه كان يحج فى كل عام ثم انتقل إلى أغمات وريكة وبها مات رحمه الله تعالى .

حرام على الركب العراقي مسراه ... إذا لم ترد ماء العذيب مطاياه
وتلبث فيه اليعملات هنيئة ... وترتاح في أشجاره وخزاماه
سألت حداة العيسِ هل سقي الحما ... وطاب لهم ذاك الكثيب ومغناه ؟
يبثون ما ألقاه شوقاً إليهم ... جهاراً ولولا بينُهم ما جهرناه
أحنُّ إلى ذاك الكثيب وطيبه ... وأصبو إلى ذاك الكثيب ومغناه
وأشتاق إن هبت صباحاً نُسيمة ... تذكرنا من حاجر ما عهدناه (2)

347) **إسماعيل بن سعد السعود ابن عفير الأموي**

إسماعيل بن سعد السعود بن أحمد بن هشام بن إدريس بن محمد بن سعيد بن سليمان بن عبد الوهاب ابن عفير الأموي من أهل لبلة ، وسكن إشبيلية ، يكنى أبا أمية ، وبنو عفير ينتمون فى الصريح من ولد عثمان بن

1) **التشوف** ص 227 ع 96 **والسعادة الأبدية** 1 : 124 .

2) **التشوف** ص 220 ع 90 .

عفان رضي الله عنه ، ويقال إنهم من موالي الأموية ، ودارهم التى نزلوها أول دخولهم لبلة .

روى عن أبيه أبى الوليد وأبى بكر بن صاف، وأخذ عنه القراآت وسمع عنه صحيح البخاري وغير ذلك، وسمع بقرطبة أبا بكر ابن خير قرأ عليه بسابباط جامعها الأعظم صحيح مسلم وكتباً سواه ، ولقي ابن زرقون وابن بشكوال وأبا إسحاق ابن فرقد وأجازوا له كما أجاز له السهيلي وغير هؤلاء ، وولي قضاء مراكش فى الفتنة ثم صرف عنه وانصرف إلى إشبيلية ، وكان من أهل العلم والأدب مع النباهة والنزاهة ، حدث وأخذ عنه أصحابنا .

مولده يوم الخميس ثامن صفر سنة ثمان وخمسين وخمسمئة .

وتوفي سنة سبع وثلاثين وستمئة (1) .

348) **إسماعيل بن ابراهيم التونسي** أبو الطاهر ، أصله من تونس وأشخص إلى مراكش فقدمها ، ثم استقر أخيراً بتلمسان فأقرأ بها العلم وأعرض عن الدنيا وأهلها ، ومات بها عام ثمانين وستمئة ، وكان على سنن العلماء الفضـــلاء .

حدثنى عبد الله بن محمد قال سمعت أبا الطاهر يقول : رأيت أبا المعالي فى النوم فقلت له لقد تكلم فيك الناس من أجل ما قلته فى كتاب (البرهان) ، فقال لي يابني مَن عرض عقلَه على الخلق لم يأمن من القول ، وحدثنى أبو علي بن محمد قال حضرت مجلس أبى الطاهر وقد دخل عليه عمرو بن العباس المعروف بالحياك ، فقال له أبو الطاهر ياأبا علي أدنُ مني ، فدنا منه ، فقال له رأيتك ألبارحة فى النوم وأنت تنشدني :

أجيرونـــي فاني قـــد وحلـــت وفى نفـــي وإثـبـــات حصلـــت
أنـــزه خـــالقي عن ذا وعـــن ذا وأعرفـــه وليس كمـــن جهلـــت

---

1) التكملة 1 : 187 ع 496 .

فمَّ أجيرك ؟ فقال له سيدى ما وحلت إلا فى هذا ، فلما انقضى المجلس خلى بعمر فى حديث كان بينهما لم أعلمه .

349) إسماعيل بن الشريف العلوي (السلطان مولاي)

إسماعيل بن الشريف بن علي الحسني أمير المومنين أبو النَصر رضي الله عنه ، ولد سنة ست وخمسين وألف ، وبويع فى الساعة الثامنة من يوم الأربعاء خامس أو سادس عشر ذى الحجة الحرام متم عام اثنين وثمانين وألف ، وكان سنه يوم بويع ستاً وعشرينَ سنة ، وكان رحمه الله ملكاً عظيماً وسيداً مهاباً فخيماً ، دانت له الرقاب ، وعم نشره البقاع والرحاب ، واتسعت مملكته ، وعظمت على البغاة والعتاة صولته ، مع الكرم والجود ، والسعي فى تطهير هذه البقاع المغربية من أنجاس أهل الكفر والجحود ، ومن مآثره رحمه الله فتحه لعدة من المدن كانت بيد النصارى ، ومن ذلك المعمورة المسماة بالمهدية ، ومدينة طنجة ، ومدينة العرائش ، ومدينة أصيلة ، ومنها بناؤه لضريحي الامامين القطب مولانا إدريس الأكبر بزاوية زرهون ، والقطب مولانا إدريس الأنور بمدينة فاس ، وزيادة فيها مع التأنق فى ذلك غاية ، ومنها بمكناسة مسجد الرخام ، ومنها أمره بقراءة حديث الانصات يوم الجمعة بعد خروج الخطيب وجلوسه على المنبر وذلك سنة عشرين ومئة وألف الى غير ذلك .

توفي رحمه الله ظهر يوم السبت الثامن والعشرين من رجب عام تسعة وثلاثين وألف ، وتولى غسله سيدى أحمد بن أبى القاسم العميري ، وصلى عليه الفقيه العلامة سيدى الحسن ابن رحال المعداني ، ودفن بروضة الشيخ سيدى عبد الرحمان المجذوب من حضرة مكناسة الزيتون ، وضريحه الآن هناك مزارة عظيمة نفعنا الله به ، وقد أفرد العلامة اليفرني صاحب (النزهة) و (الصفوة) ترجمته بمؤلف مستقل فلينظر .

وقال فى (الروضة السليمانية) إن المترجم بلغ من تمهيد السوس إلى طاطا وآقاوتسنت وشنكيط ، وقدمت عليه وفود العرب أهل الساحل والقبلة مغافرة ودليم وبربوش ومطاع وجرار وودي ، وأدوا طاعتهم ، وفى ذلك

الوفد جاءته خناثة بنت الشيخ بكار ، فتزوجها وبنى بها ، وحجت ودوّن حجتها عبد القادر المدعو الجيلالى الاسحاقى ، ورحلته المذكورة موجودة بخزانة القرويين بفاس ، ثم إنه شبه قضية الحراطين بما فعله المعتصم بن الرشيد من جمع المماليك من الأتراك .

قال فى (المقصد الأحمد) ومما اشتهر من تصريفه يعنى سيدى أحمد بن عبد الله وانتشر ، وبرز للعيان وظهر ، حتى علم به الحاضرون والبادون ، والأقربون والأبعدون ، تصريفه فى أمراء الزمان ، وولاة الأوان ، ولى على يده غيبا باذن الله تعالى غير واحد منهم كسلطان الوقت مولاي إسماعيل بن الشريف الحسنني أيده الله وغير واحد من قواده حسبما تشتهر بذلك قضايا واقعة له فيه ، ويشير اليه كلامه فى بعض الأحيان أيضاً ، وقد صرح زمن محاصرة السلطان مولاي إسماعيل سدده الله لأهل فاس حيث ثاروا عليه بأنه أعطى مفتاح فاس فوجد أسنانه معوجة فقومها وفتح الباب للسلطان ، ثم قال انه رجل يعنى بيده أو من التصريف فليسددها ، صرح بذلك قبل زمن الصلح بين أهل فاس والسلطان المذكور ، وقال صاحبنا الكاتب سليمان بن عبد القادر الزرهوني بعد مضي زمن الصلح عند ما أراد السلطان إضرار عامة الناس ، قال له أما كنت تضرع الى الله وأنت في خبائك وحدك ، وتبكي وتعاهد الله إن رد عليك ملكك أن لا تضر أحداً ، ولم يوافق أحد يعني من أهل الله عليه حتى جاء الرجل يعنى نفسه ، وقال له أنا أضمنه يعني في شأن أهل فاس ، ثم قال للكاتب المذكور والى الآن اذا دار ندور ، وكان بعض البهاليل بجامع الأبارين يقول لم يبق مع هذا السلطان أحد الا ابن عباد فان يده عليه ، فكان سيدنا أحمد اذا ذكر ذلك يضحك منه ويقول انه خلط عليه ويشير الى أن المراد بذلك ابن عبد الله يريد نفسه كما بينه مرة لبعض أصحابنا اذ سأله عن ذلك وأنا حاضر ، وقد شاع وذاع ، وملأ الأفواه والاسماع، واشتهر على ألسنة القوم ممن ينتسب للكشف وغيرهم حتى العوام أن سيدي أحمد بن عبد الله هو الذى يده على هذا السلطان بحيث لا يقدر أن يخلص اليه أحد من أهل الزمان حتى نجد بعض أهل الرياسة والحسد يتمنون زوال يده عنه ليفسد ملكه فيمن فسد ، وما كان سيدنا أحمد يتجاوز أمر الله فيه

أويحيد عنه لمنافسيه لأجل ما لهم من المنى فيه ، (وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة) ، انتهى . ثم ذكر أنه كان يحضُ عن الجهاد السلطان المذكور بواسطة كاتبه المذكور الفقيه الكاتب الخير كاتب الدولتين سليمان بن عبد القادر الزرهوني ، فأمر به قائد القصر الكبير وبلاد الهبط عمر بن حدو البطوئى فحاصر طنجة أزيد من ثلاثة أشهر وأخذها والحمد لله عنوة ، ثم بعث القائد المذكور الى المعمورة فلم ينشب أن أخذ ما حولها ولحق به السلطان فأخذها ، وذلك غدوة يوم السبت حادى عشر ربيع الثانى سنة اثنتين وسبعين وألف ، ثم ذكر حصره لابن أخيه مولاي أحمد بن محـرز بمراكش ، ثم ذكر نص جواب سيدنا أحمد المذكور للمترجم بعد أن استدعاه لمعرفته واللقاء معه وطلب الدعاء ، وراسله بكتب شتى فما التفت لشيء من ذلك ، ثم راسله بكتاب أسند النظر إليه فى خارج روضة الشيخ سيدى علي بن حرزهم ليعطيها على يده لمن شاء ، فما قبل ذلك ثم طلب الجواب منه ملحاً الكاتب المذكور ، فكتب له جواباً قال فى آخره وما طلبه الأمير منا من الدعاء فها نحن داعون له آناء الليل وأطراف النهار بالسداد والتوفيق ، والجري على أقوم طريق ، وكل المسلمين يجب عليهم أن يدعو للأمير بخير ، ونحن من جملتهم ، فلما بلغ السلطان هذا الكتاب سُرَّ به عظيماً وقبله بفيه ورفعه على رأسه بعد أن أيس من ملاقاة صاحبه رضي الله عنه .

وما ذكره في قضية مفتاح فاس قد نقل نحو في (الالماع) وقال في (نشر المثاني) : أحيا الله بالامام مولاي اسماعيل رسوم الدين بعد دروسه ، وأضحك به وجه الزمان بعد طول عبوسه ، وأخمد به الفتن بعد تأجج نارها ، وأحيى به المعالي بعد الأخذ بثارها ، وبسط الله له اليد على رعيته فعلت أقداره ، ولاحت في آفاق الدنيا شموسه وأقماره ، وتكاملت في الحسن أنجاد المغرب وأغواره ، وشمخ فيه ملكه ، فدار بالنصر والتمكين فلكه ، فانتعش به كل الأرامل والأيتام ، ورسمت فيه للدين أئمة وأعلام ، وأولاه الزمان زمامه، وأكمل السعد واليمن مرامه ، فشدا بذكره صادحاً ، وما أحسن قول من قال فيه مخاطباً له ومادحاً :

وأطلت أيام السرور فلم يُصب	مَن قال أيام السرور قصار
وجبرت من جرح الزمان فكذبت	أقوالهم جرح الزمان جبار

ومن مفاخره ، وكريم مآثره ، أن هدَّ حصوناً في المغرب للكفرة ، وخرب دياراً لأهل الشرك والفجرة ، فمنها فتح المهدية بالمعمورة ، فأخذها عنوة يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الثاني عام اثنين وتسعين وألف قيل بقتال وقيل بغير قتال ، وانما أخذها بقطع الماء عنها ، ومن لطف الله أنه لم يمت أحد من المسلمين وغنم مَن كان بها من النصارى وجعل الله له ذلك من العمل المقبول الذى ينال به رضى الله عنه ، ومنها فتح طنجة ، ففى رابع وعشرين من المحرم عام تسعين وألف وقعت غزوته بها فمات من المسلمين نحو خمسين ومن الكفار نحو ثلاثمئة ، وأخذ لهم منها قصبة بأربعة أبراج ، ثم في ربيع الأول من عام خمسة وتسعين وألف أخذها من غير قتال ، فتركها الكفار وهربوا بما قذف الله في قلوبهم من الرعب منه بعد أن خربوا دورها ، جعل الله له ثوابها من الذخائر التى يجدها يوم لقاه ، ومنها فتح العرائش ، ففي آخر شوال عام مئة وألف أنزل عليها الجيوش وحاصرها ، ثم أمر بارسال البارود تحت أسوارها بحفر العملة ، ثم أرسلوا فيها النيران حتى تصدعت أسوارها ففتحها عنوة وغنم ما فيها من النصارى ، وكان عددهم ألفاً وسبعمئة ، ومنَّ على أميرهم بالعتق ، وفرح المسلمون بهذا الفتح وصحبهم منه سرور عظيم ، ومما قال في ذلك سيدنا الجد رحمه الله القصيدة التى هو مطلعها وذكر فيها الفتوحات المتقدمة ومدح مولانا صاحب الترجمة :

علا عرش دين الدين الله كل العرائش	وهدَّ بنصر الله حصن العرائش
وكل عريش منه ثلت عروشه	ورجت به رجاً صواعق نابش
وأسلم للاسلام من بعد كفره	بوقع سيوف لا برشوة رائش
أتاه من الايمان جيش مؤيد	فناجزهم ما بين راح ورائش
وثار عليهم كل شهم غشمشم	وكل كميٍّ مسرع الضرب باطش
علوهم بأسياف أسالت رؤوسهم	فساروا سريعاً بين طاو وطابش
وحاشوهم حوش البزاة بغاتها	وقد أثخنوهم فيه إثخان فاتش

فما لبثوا أن طالبوا الأمن في الوغا وذلوا لدين الله ذلة داهش
وهان عليهم كل هول وهائل وربقة أسر بعد طول تهاوش
ترى كلهم في الأرض بادي ذلة كسيفاً كئيباً بالُه غير ناعش
يساق بسوق الجيش سوق مهانة يهز خساه الخوف هزة راعش
يعض يداً وينتف الرأس واللحي لأن لم يمت من قبل موت الهوارش
كأنهم الغربان قصَّ جناحها وبلت بوبل من سواكب حافش
هنيئاً بعز المومنين وجمعهم واذلال أهل الكفر أهل الفواحش
بهذا ليهن عيش كل موفق بهذا ليفرح دائماً كل عائش
لنا النصر والبشرى لنا بامامنا هزبر الوغى غيظ العدو المناقش
أبي النصر اسماعيل ناصر ديننا وحامي الحمى بالمرهفات البواطش
زعيم سلاطين الثرى وهمامهم وسيد أقيال الورى دون حادش
مليك له يمن به سار كلنا يروح ويغدو في أجل معايش
مبارك ميمون النقيبة في الثرى له الفتح في أوساطها والهوامش
أباد حصون الكفر بالسيف والقنا وما أذعنتْ من قبله لمباشش
فسل غاوي معمورة عن فتوحه وسل طنجة من قبل هذى العرائش
لقد كان ديناً فتحها فانقضى به كذلك ما في الأرض من كل هامش
به سعدت أهل المعارف كلها فأشرق من جدواه لهفة عاطش
نعم انه من نبعة نبوية وفرع زكي طيب النشر عارش
لذاك ملوك الأرض طراً تهابه فكلهم ما بين مدهي وداهش
وما الترك الا في دواهِ دهتْهمُ صدورهم جاشت بأعظم جائش
له سطوة في أرضنا هاشمية يذوب لها قلب الحسود المخادش
لك الفتح ممدود فجاهد عدونا وحشهم وما أوفى لهم كل حائش
فلا تخش حياً ما حييت فانه لك النصر عند الملتقى والتهاوش
عليكم من الرحمان عين كلاءة تصاحبُكم عند اشتداد المداهش
ودام لكلٍّ المسلمين ظلالُكم ودمنا به في طيبات المعايش

وكانت بيعة مولانا اسماعيل رحمه الله في يوم الأربعاء خامس عشر ذى الحجة عام اثنين وثمانين وألف ، واشتد حزمه في تمهيد المغرب حتى تمهد

له من أقصا الظهراء الى وادى نون والساقية الحمراء ، ومن البحر الى أقصى الصحراء قبلة ، ورزق من بركة العمر ما ألحق به الأحفاد بالأجداد ، وكان فيه حياة الأغوار والأنجاد ، فكثرت عمارته جداً ، وجدد الناس في أيامه للعلــوم عهداً ، فكانت أسواق العلوم في دولته عامرة ، ونجوم أفلاكه نيرة زاهرة ، وأدرك الهناء في أيامه كثيراً مــن الضعفاء والأيتام ، وقــام فيه كثير مــن الناس بالعلم والدين أتم قيام ، وكان الناس في أيامه يغبطون حياته وذلك اغتباطاً بما أمد الله على رعيته من الظل الظليل ، ونالوا من بركته من العز الجليل ، كما نقول ذلك نحن في أيام المنصور بالله سلطان وقتنا هذا أدام الله مفاخره ، وخلد مآثره ، ونسأله اللطف والرحمة وجميل ستره أول كل أمر وآخره .

وكان ابتداءُ مرضه في ثاني يوم من شهر جمادى الأولى عام تسعة وثلاثين ومئة وألف ، وكانت وفاته يوم السبت ثامن وعشرين من رجب من العام المذكور ، وتولى غسله الفقهاء ومنهم سيدي أحمد بن سيدي أبي القاسم العميري ، وكان الذى تقدم إماماً للصلاة عليه العلامة سيدى الحسن ابن رحال المعداني ، وجعل الله له هذا المرض آخر عمره ليرفعه به أعلا الدرجات ، لأنه آخر ما يثاب عليه الانسان ، وسبحان من له البقاء والدوام ، رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به وبنسبه الطاهر آمين .

وكل ما قيدته هنا في هذه الترجمة وفي غيرها من الحوادث والتواريخ كله وجدته مقيداً بخط مَن يظن به الثقة ، والعلم عند الله تعالى في كل شيء وإليه ترجع الأمور .

وأمــا أمره في الحلــم والجود والشجاعــة وعلو الهمة وغيــر ذلك من خصال الكمال فمما لا يعبر عن لسان ، ولما خطب به أبو مديــن السوسي العلامة القاضي قال في الخطبة الثانية : لوزآه والده الجليل ، في هذا الجمع الحفيل ، لَقال الحمد لله الذى وهب لي على الكِبَر اسماعيل ، فأعجب به وخلع عليه ، وهو من جيد التورية التى يقل مَن يهتدى لها فــي مثل هذا .

ترجمه الأفـرانى وصاحب (الـدر السني) و (زهر البستـان) و (النشر) و (الأنيس المطرب) و الزياني ، والكنسوس ، وصاحب (نصرة العترة الطاهرة) وغيرهم ، وقد قدمنا ما يتعلق بدخوله لمراكش في ترجمة ابن أخيه مولاي أحمد بن محرز وما جرى له معه مفضلا . .

350) **الأشرف بن الأعز بن هاشم العلوي** النسابة من أهـل حلب ، ذكر أنه سمع جامع أبي عيسى الترميذي من الكروخي قال ابن النجار ولم يكن موثقاً به فيما يقوله ، اجتمعت به بحلب وأنشدني من شعره ، وقال أبو الخطاب ابن دحية : كان كذاباً ، وقال يحيى بن أبي طي أخبرني هذا الشريف ولقبه تاج العلاء ولد سنة اثنتين وثمانين وأربعمئة قال وقد اجتمعت بالقاضي علي بن عبد العزيز الصورى فسمعت عليه مجمل اللغة لأبي فارس وعمره يومئذ خمس وتسعون سنة وهو يفهم صحيح السمع والبصر مع تضعضع في أعضائه ، قال وذكر لي حال القراءة عليه أن ابن فارس قدم عليهم صدر سنة أربـع وأربعين ، فأفرد له الشيخ الشافعي أبو الفتح سليم الرازي داراً ، وسمع عليه المجمل من أوله الى آخره ، قال وقال لي تاج العلاء اجتمعت بالحريري صاحب المقامات سنة احدى وعشرين وخمسمئة بالبصرة وهذه جراءة عظيمة وغباوة ، كيف صدقه ابن أبي طي على ذلك والحريري قد مات قبل هذا التاريخ بمدة ، قال وصنف كتباً كثيرة منها كتاب في تحقيق غيبة المنتظر ، وشرح القصيدة الثانية للسيد الحميري ، وكان رافضياً ، مات سنة عشر وستمئة وهو بزعمه قد بلغ مئة وثمانية وعشرين عاماً ، ونقلت من مصنف لابن دحية أنه لقيه بالرملة فيقول : دخلت المغرب الأقصى ، وسكنت القيروان ، وأردت المشي منها الى مراكش ، فوصلت اليه في ستة أيام فقلت له في اليقظة قال نعم على جمل ! فقلت له بين القيروان ومراكش ثلاثة أشهر ، قال وجعل يذكر أسماء الصحابة الى أن قال : كان لدحية ابن خليفة أخ يقال له علي ، وله عقب كثير بالمغرب والشام ، قال ابن دحية وقد قيد أهل حلب عن هذا الرميلي أحاديث في النسب والحديث ، وكان يزعم أن البخارى ما روى عنه الا الفربري .

انتهى من لسان الميزان .

351) **أيوب بن عبد الله الفهري (أبو الصبر)** : من أهل سبتة ، قدم مراكش واستشهد في وقيعة العقاب منتصف صفر عام 609 تسعة وستمئة ، صحب أبا يعزى وأبا مدين وابن غالب، ورحل إلى المشرق، فلقي العلماء الفضلاء .

قال في (التشوف) سمعت أحمد بن ابراهيم الأزدي يقول : قال لي أبو الصبر رأيت عبد الله البكري المجاور بالحرم الشريف ينظر الى السماء ويقول : ألا تنظرون الى أبواب مفتوحة مالكم لا تنظرونها ؟ قال أبو الصبر : وأخبرني أبو محمد قال : غلبت في ابتداء أمري فان تكلمت هلكت ، وان سكت هلكت ، فذهبت إلى بلاد العجم فأتكلم بتلك الأشياء ولا يفهمونها لعجميتهم ، فلما سكن عني ذلك عدت إلى الناس .

سمعت حسن بن محمد الغافقي الصواف يقول : سمعت أبا مدين يقول: جاء أبو الصبر بصفحة كبيرة من عود من عمل الروم من مدينة سبتة إلى جبل ايرجان وهي على رأسه فأعطاها أبا يعزى، فكان أبو يعزى يطعم فيها الضيفان الواصلين إليه .

وحدثني حسن بن محمد الغافقي الصواف قال حدثني ابن راضيـة قال : كان لأبي الصبر أم من الصالحات ، فاذا غاب عنها وجاءها أخبرته بما جرى له في مغيبه (1) .

وقال في (المعزى) في ترجمته : كان هذا الامام كبير الشأن في العلم والعمل والزهد والورع ، مات شهيداً في وقعة العقاب في عام تسعة وستمئة في الهزيمة العظمى التى كانت على المسلمين في أيام محمد الناصر بن يعقوب المنصور ، ويحكى أن قواده جروا عليه تلك الهزيمة كذا ذكر ابن الخطيب وغيره من أئمة السير ، وكان هذا السلطان تحرك من مراكش الى بلد افريقية بجنوده فدوخها ومهدها لما نافق عربها ، وفتح ميورقة ثانية من بلاد الأندلس ، ثم انه حشد بعد وقعة العقاب وجمع جمعاً لم يجمعه مَن تقدمه من الملوك ولا بلغه ، فلما بلغ الى سلا أدركه هادم اللذات فمات وانقطع أمله

1) التشوف ص 431 ع 240.

ولم يمسح معرة الهزيمة ، ولكن قالوا الموت في طلب الثار ، خير" من الحياة مع العار (1) .

وكان هذا الامام أبو الصبر قرأ على ابن غالب شيخ أبي مدين الذى كان اذا أشكلت عليه مسألة علمية ينظر يميناً وشمالا في ركن بيته فيراها مكتوبة ، وكانت هذه الكرامة لجماعة من الأولياء حتى أن منهم من يرى الجواب مكتوباً في جبهة السائل ، ومنهم مَن يراه في الدواة والحائط الذى يقابله والحصير ، وما ذلك على الله بعزيز ، وصحب أيضاً أبو الصبر سيدي أبا مدين، ثم رحل الى الشرق فلقي به الأعلام من العلماء والفضلاء ، ثم حكى ما تقدم عن (التشوف) .

قلت ممن روى عن المترجم أبي الصبر من المشاهير : ابراهيم المعروف بابن الكماد المرادى الفاسي الحافظ .

وقال في (الجدوة) في ترجمة أبي الصبر : أيوب بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عمر الفهري من أهل سبتة ، يكنى أبا الصبر ، وهو الزاهد الورع الفاضل ، تجول في الأندلس وأخذ بقرطبة عن ابن بشكوال كثيراً ، وبمالقة عن السهيلي، وأبي العباس الأندرشي، وصالح الأوسي وغيرهم، وأخذ بغيرها من بلاد الأندلس وبسبتة عن عبد الله بن عبيد الله وأكثر عنه، وروى عن ابراهيم ابن قرقول وأخذ بفاس عن القاضي أبي عبيد الله ابن الرمامه ، وعن الحاج أبي الحسن بن حسن ، وأخذ الموطأ عن صالح الرعيني ، ورحل الى المشرق فحج ولقي في رحلته الميانشي وأبا عبد الله الحضرمي ، وأبا الطاهر ابن عوف، وأبا الفضل الغزنوي وغيرهم ممن ضمه برنامجه ، ولقي أعلاماً من الصالحين كأبي يعزى يلنور ، وأبي مدين ، وأبي الربيع المالقي وغيرهم رضي الله عنهم ، وأظن رحلته الى الشرق تكررت ، وكان محدثاً راوية شاعراً صوفياً جليلا من بقايا الشيوخ الصوفية السنية ، وأخذ الناس عنه كثيراً ، وقعد بجامع سبتة لتدريس العلم أعادها الله دار اسلام ، وعلا صيته وجل قدره،

---

1) هذا غير صحيح ؛ فان الخليفة الموحدى محمد الناصر لما هزم فى وقيعة العقاب وعاد الى مراكش اخذ البيعة لابنه يوسف المستنصر ؛ ثم دخل قصره فاحتجب عن الناس وانغمس فى ملذاته حتى سمته احدى جواريه فى كأس خمر فمات من حينه يوم الأربعاء 11 شعبان عام 610 (22 دجنبر سنة 1211 م) أنظر **الانيس المطرب بروض القرطاس** ص 240 .

واشتهر بالعلم والعمل ، وزاره الملوك بموضع سكناه متبركين برؤيته ، ولم يزل حاله على ذلك الى أن استشهد فى كائنة العقاب يوم الاثنين الرابع عشر من صفر عام تسعة وستمئة (16 يوليوز سنة 1211 م) ، فختم عمله بالشهادة .

أخذ عنه جماعة كثيرة كأبي الحسن الغافقي وأبي عبد الله الأزدي وغيـــرهم .

انتهى من الذيل لابن سعادة (1) .

352) **أيوب بن الحسن** : الولي الصالح الشهير دفين الحومة المسماة به يغتسل من محل من ضريحه من مرض الحمى بقصد الاستشفاء ، وبنى عليه السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام قبة صغرى .

لم أقف على تاريخ وفاته (2) .

353) **أبو جمعة الشامي** ، وممن لم أقف على تاريخ وفاته الولي الصالح المعروف عند العامة بسيدى بوجمعة الشامي وهو بقعر عرصة المسفيوي يميناً وعليه حوش متهدم (3) .

354) **أبو إسحاق الزهري** قاضي مراكش ، قال فى (الشهب اللامعة): ومن أحسن التيقظ ما أخبرنا به بعض الأصحاب من أن بعض ملوك المغرب أراد أن يقدم قاضياً بمراكش ، فنبه على جماعة من فقهائها فوجه عنهم ، وكان ممن وجه عنه القاضي أبو إسحاق الزهري ، فقال ذلك أقدح لأنه رجل معتدل ،

---

1) **التكملة** 1 : 202 ع 536 **وجذوة الاقتباس** ص 168 **والتشوف** ص 431 ع 240 **وشجرة النور الزكية** 1 : 184 ع 607 .

2) بهذه الترجمة تنتهى تراجم حرف الألف من هذا الكتاب ؛ وتجدر الاشارة الى أن المؤلف أدرج عدداً آخر من التراجم تحت هذا الحرف ؛ ولكن اصحابها اما مترجمون تحت كناهم كأبى بكـر ابن القصيرة وأبى بكر الصيرفى ؛ واما مترجمون تحت القابهم أو أنسابهم التى اشتهروا بها كابن مرج الكحل وابن مزاحم وابن المليح ؛ وأغلب هؤلاء المترجمين أعاد المؤلف ترجمتهم تحت أسمائهم الحقيقية ؛ فلهذا أخرناها الى أمكنتها الحقيقية اجتناباً للتكرار وحسماً لمادة الكنى البشيعة التى توقع الباحثين والدارسين فى أخطاء كثيرة وتقتضى منهم أوقاتاً ثمينة هم فى أشد الحاجة الى صرفها فى المجدى المفيد .

3) هذه الترجمة أثبتها المؤلف على عادته فى حرف الجيم ؛ فآثرنا اثباتها فى حرف الألف تبعاً للترتيب الجديد للكتاب ؛ ولم نتفطن لها فى الأول لنجعلها فى المكان الذى يجب لها .

فسأله بعض خاصته عما رأى من اعتداله ، فقال إني عددت خطاه عندما دخل فاذا هي بعدد خطاه عند ما خرج .

انتهى من آخر الباب الحادي عشر (I) .

حـرف الـبـاء

355) بلة ابن عزوز الرحماني المراكشي

هو مراد الشيخ محمد الحضيكي في تأليفه الذي ألفه في الرد عليه حيث قال : وبعد فلقد بلغنا عن شخص معرف ببلة ابن عزوز سكن مدينة مراكش حرست ووقيت كل مكروه ، أخبار تدل على بدعة صاحبها وزندقته عياذاً بالله تعالى ، وذلك أن كل مَن أتاه زائراً واعتقده ورءاه راغباً محترماً له ومعظماً لقدره حسن له في تـرك الأعمال الصالحة وطرح أحكام الشريعـة المحمدية من صلاة بشروطها وأركانها وأحكامها كلها ، ورفض القواعد الشرعية المعلومة من الدين ضرورة ، ويقول لأصحابه الذين اعتقدوه : صلوا واذكروا واقرأوا واعبدوا بعلومكم خاصة ، هذا هو المشروع المطلوب من العباد ، ولا تشرع عبادة غير هذه ، ولا يومرون بركوع ولا بسجود ولا قراءة بل بحركة لسان فقط ، وكذا لا تشرع لهم الطهارة مطلقاً لا لحدث أصغر ولا أكبـر ، فصار أصحابه على هذه الصفة وترك ذلك كله جملة وتفصيلا ، فلا يرى قط واحد منهم يصلي الصلاة المشروعة ولا ذاكراً الله تعالى ولا قارئاً ، قد تركوا الاسلام ونبذوه بجملته رأساً وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ، وبهذا أخبرنا غير واحد من الطلبة ، ومن جملتهم طالب قارئي للقرآن ثقة من طلبة هشتوكة، أخبرنا أنه قد وقع في حبالة ذلك الشخص واصطاده بها ، ثم تخلص منها للعناية السابقة ، ذكر أنه لما بلغه أمره أتاه في حانوته بالسوق ، فطلب منه

I) هذه الترجمة سقطت سهواً اثناء طبع الجزء الأول فآثرنا اثباتها هنا في آخر حرف الألف ؛ ولعلها مما الحقه غير المؤلف بالكتاب ؛ لأنها مكتوبة في الهامش بغير خطه هكذا : وفاته ابو اسحاق الزهري قاضي مراكش الخ .

أن يدخله في سلكه ، فقبله وأمره أن ياتي أصحاباً له في جبل كَليز خارج المدينة يعلمونه ويؤدبونه ووعده أن سيرى إذا استمرّ في طريقه أسـراراً تقوى حزمه وعزمه ، قال فلحقت بهم في كَليز ، فاذا هم في شر وبؤس شديد لا يأكلون إلا علقة من دقيق غير منخول ولا مطبوخ ، قال فمكثت عندهم على تلك الحالة لا يصلون ولا يتطهرون من حدث ولا خبث ، ولا يذكرون الله قط ، وقالوا هذه طريقة شيخهم يعنون بلة ابن عزوز ، وهي أقوم وأسهل ، وبها جاء الكتاب هكذا إلى يوم الجمعة ، فنزلنا إلى المدينة ومررنا بجامع المواسين ، وسمعنا دوياً عظيماً من أخلاط أصوات أهل الجامع في الذكر قبيل الخطيب ، فجزنا مسرعين ، وفي نفسي حزازة وحسرة فمضينا . . . . . أهل المدينة سموها جامع الفناء ، فتمرغوا فيها كالحمير ساعة ثم رجعوا إلى جبل كَليز على حالتهم المذكورة وعادتهم المعهودة ، حتى يوم الجمعة الثاني ، فنزلوا إلى المزبلة ليتمرغوا فيها على عادتهم ، فلما مروا في جامع المواسين ، وسمع المسلمين في الجامع يذكرون الله تعالى ، كل يجهد نفسه ولا يالوا جهداً في عبادة الله قال فندم وبكى واختفى عن أصحابه ورجع عن ضلاله إلى ديـن الاسلام من وقته ، قال فكتب قضيتي وما وقع لي إلى سيدي بن العربي إمام السلطان أعزه الله بجامع الكتبيين يسأله هل ارتدّ بفعله ؟ وهل يعذر بالجهل ؟ وما الحكم في نازلته ، قال فلم يجبني بشيء، فزادت حسرتي، ثم أتيته مشافهة بأمري كله إلخ . وهذا خبر هذا الطالب التائب تاب الله علينا بكرمه آمين ، ثم أتانا بعده آخر من حاحة مخفياً داءه ، والأول جاءنا نادماً متحسراً بما فرط منه ومما فرط في جنب الله ، فلما عثر على إلحاحي جعل ينكر معرفة بلة ابن عزوز أصلا ، فلما ثبت أنه من أصحابه جعل يكابر ويحمي صاحبه ويحترمه وينزهه عما شاع عنه فيما مرّ من الزندقة والضلال والاضلال ، ثم اعترف ببعض ما وقع فيه من الضلال المبين ولا شعر بما دهاه قبله ، (قل هـل أنبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ظل سعيُهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً) ، وقال لهم : ما مل قيدات يعني الرسالة التي جاءتنا من قبل الله تعالى كلمة لا إلاه إلا الله ، محمد رسول الله ، يقولها المكلـف بلسانه حتى تنزل في قلبه فحينئذ تركها رأساً ، وأما غيرها من الأذكار ومن

تلاوة القرآن والتسبيح والصلاة على النبي (ص) ونحو ذلك من تعلم وتعليم فلا يشرع ولا يفيد ، وكذا صلاة الجماعة في المساجد وأن بيت المومن قبله ، وإنما تعبد القلب خاصة فيما ذكر من جميع أنواع العبادات ، وكان هذا الرجل الحاحي تالياً للقرآن ومجتهداً يقوم به الليل فلما لقي بلة ابن عزوز زهده فيه فتركه ونسيه عياذاً بالله ، وهذا والعياذ بالله رفض للشريعة بالجملة وكفر صراح لا شك ولا مرية ونعوذ بالله من الخذلان و البدع المضلة ، ونسأله تعالى أن يكفي المسلمين شرَّ هذه الشرذمة الغاوية وان يخمد بدعتهم الحادثة، وقد تفرقوا في بعض القرى واشتهروا بترك الصلاة والطهارة على ما مر أباد الله خضراءهم ، واستأصل شافتهم ، وأراح منهم الاسلام قبل أن يظهروا ويكثروا ، ويجب على والي المسلمين أعزه الله ونصر به الدين أن ينظر في هذا الرجل بلة ابن عزوز وأصحابه ويرى فيه رأيه وينفذ فيه حكم الشرع ويحسم مادة هذه البدعة قبل أن تشيع نكالا له وردعاً لأمثاله ، وفي الخبر أن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، أي يدفع .

انتهى المقصود بلفظه .

ثم ذكر فصلا وقسمه إلى أبواب أربعة ، الأول في فضل القرآن وأهله ، الثاني في آداب التلاوة في الظاهر ، الثالث في الأعمال الباطنة عند التلاوة ، الرابع في جمعهم القرآن وتفسيره لا لرأي وغيرهم ، ثم قال فى آخره : ومن أظلم ممَّن ابتدع وتزندق ومرق من الدين جملة وتفصيلا ، ودعا عوام المسلمين إلى زندقته وكفره من بلة ابن عزوز وشيعته ، فجحدوا دين الاسلام وأنكروه وأبغضوا أهله ومن يعلم به ، ونبذوا الشريعة المطهرة جملة أصولها وفروعها ، وأبغضوا حملة العلم والشريعة وتراهم قد نزع الله منهم الاعتقاد في سائر الأولياء والعلماء والصالحين ، فلا تكاد تذكر لهم أحداً إلا جرحوه ووقعوا فيه ولا يحترمون واحداً من علماء المسلمين من متقدمهم ومتأخرهم ، لا فقيه ولا محدث ولا صوفي عندهم على ما بلغنا عنهم ، وقد شاهدنا بعضهم على ذلك الوصف أذلهم الله وأطفأ نارهم وقيض مَن يسْتأصل شافتهم من وال محتسب لله غيور ناصر لدين الله عاجلا ، وليس أولى بذلك من والي الوقت أعزه الله ونصر به الدين وأذل به الكفر وأهله آمين .

وهذه النسخة كتبها أحد تـلامذة المؤلف في أوائل حجة الحـرام عام 1195 ، وهي في أزيد من خمس كراريس من القالب الرباعي (1) .

356) **البشير بن عبد الحي البربوشي الصحراوي** دفين مراكش ، العلامة الفاضل الصوفي ، أخذ الطريقة المختارية عن الشيخ سيدى المختار الخليفة بن محمد بن المختار الكنتي ، وأخذ عنه الدعوات والأذكار ، وأخذ أيضاً عن الشيخ عبد الرحمان بن سعد بن عثمان بن سعد بن طاهر الطريفي شيخ رواق دار فور بالجامع الأزهر المتوفى عام ثمانية وثمانين ومئتين وألف ، وزار ولقي جماعة من الأبرار ، وممن لقي المترجم الشيخ الصالح سيدى هاشم بن سليمان المرقطاني المتوفى عام 1336 والشيخ المعمر الرحال سيدى أبو شعيب بن الجيلالى الدغوغي نزيل الدار البيضاء وصافحاه بمصافحته للشيخ عبد الرحمان المذكور بمصافحته للشيخ الفيومى الصعيدي للشيخ شمهروش بمصافحته لمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما هو مبسوط فى (الأنجم السوابق الأهلة) و (معجم السيد عبد الحي الكتاني) (2) قال أسعده الله الذى يظهر لي أن الفيومى المراد به الشيخ عبد العليم الفيومى المالكي الضرير المترجم فى معجم الشيخ المرتضى وتاريخ الجبرتى وغيرهما ، إلا أنه مات فى أوائل القرن المنصرم عام أربعة عشر ومئتين وألف فيبعد أن لا يكون بينه وبين شيخ رواق دار فور المذكور واسطة (3) ويقرب أنه المراد اشتهاره بعلوم الأسرار ومعالجة الجن ويحتمل انه غيره لأن الفيوم خرج منها جماعة من الأولياء ، وممن لقي المترجم أيضاً المعمر الفاضل حفيظ برادة وتلقى عنه بعض الأذكار ، ودفن المترجم بروضة الامام السهيلي بمراكش أو بروضة ابن العريف بها فى حدود التسعين من القرن الفارط ، وولده المهدي ترجمناه أيضاً.

---

1) هذه الترجمة كثيرة التصحيف والاضطراب كما يظهر ؛ وقد حاولنا جهدنا تقويم اعوجاجها ؛ ولو كان وقع لنا كتاب الحضيكى لصححناها منه .

2) فى الأصل ومعجم السيد أبى الاسعاد؛ وأبو الاسعادكنية الشيخ عبد الحى الكتانى الفاسى.

3) ليت شعرى كيف استبعد أن لا تكون بين البربوشى وبين الشيخ الطريفى واسطة بينما هو لا يستبعد مصافحة الشيخ الفيومى للقاضى شمهروش ؛ ومصافحة هذا القاضى الخيالى للنبى صلى الله عليه وسلم ؟ عجائب تضحك والله وتبكى على ما آلت اليه عقول المسلمين فى قرون الانحطاط .

357) **البشير بن محمد الدرقاوي** الحاج الأبر ، الولي الصالح ، الدال على الله بحاله ومقاله ، له زاوية وأتباع .

توفي أواسط العشرة الأولى من القرن الرابع عشر ، ودفن بزاويته بالمحل الذى تصنع فيه الحصر بمراكش .

358) البهلول بن علي بوسلهام الرحماني

البهلول بن علي بن سيدى مَحمد فتحاً بن الحسن الرحماني بوسلهام البوبكري المحمدي المراكشي الدار والقرار الفاسي الوفاة والمدفن ، أخذ القراءات والعلم عن الأستاذ الصالح سيدي محمد بن هدي السرغيني الزرادي بمدرسته باولاد زراد ، وعن غيره كسيدى عبد السلام الأزمى لما رحل لمراكش، وكانت مقروءاته مرسومة فى حائط مجلس درسه بجامع ابن يوسف قرب الباب فى جهة الجنوب منه .

كان المترجم عالماً مدرساً فاضلا ، وكان يسكن بالمحمديين من قبيلته ، ولما تلاقى بالمولى عبد الرحمان ورأى من علمه ما بهره ألزمه سكنى الحاضرة مراكش ، وقال له مثلك لا يسكن فى البادية .

ولد فى العشرة الأخيرة من القرن الثاني عشر ، وكانت له كلمة مسموعة فى قبيلته وعند المولى عبد الرحمان مع رفيقه الأستاذ ابن حمو الرحمانى قاضى الرحامنة ، وكان ولاه السلطان على أخذ زكاتهم وإليه ترجع أمورهم ، وكان السلطان يستشيرهما فى تولية عمال الحوز ، ويحضره في جملة العلماء فى قراءة البخاري بمجلسه ، وكانت له به عناية ويفضله على علماء فاس ويحتج به عليهم ، كان يدرس بجامع سيدى أبى العباس السبتي ، أخذ عنه أولاده الثلاثة عبد الرحمان ، وعبد الوهاب ، وعمر الفقيه المتوفى فى يوم الأحد فاتح ربيع الأنور عام 1296 ومولاي أحمد الدمناتى اليملحي ، والفقيه العدل سيدى محمد بن هاشم العلوي ، والفقيه السيد أحمد بلقزيز وغيرهم ، ثم وشى بهما عامل الرحامنة علال بن عبد الله الشيظمي وزروال زاعمين أنهما أعنى المترجم ورفيقه المذكور ما داما في الرحامنة لا يستقيم لها أمر ، فقبضا

عام سبعين بموحدة ، ثم رحلا لفاس ، وبقي المترجم به إلى أن مات عن نيف ثمانين سنة عام اثنين وسبعين ومئتين وألف ، ودفن بروضة العلماء هناك ، وقد وقفت على رسم إيصاءه الواقع فى حال مرضه بعدول فاس وخطاب القاضى مولاي عبد الهادي بن عبد الله العلوي المؤرخ فى 8 رجب عام 1271 هـ المحلى فيه بالفقيه الأجل العالم البركة المبجل الذى أسنده لزوجته زهراء بنت السيد عمر ولولديه السيد عبد الرحمان والسيد عبد الوهاب ولابن أخته السيد محمد بن رنون على أولاده من زوجته المذكورة السيد محمد وعبد العزيز وعمر ومن غيرها أحمد ورحال ومن مات منهم استغل الباقي . . . . (1) .

حـرف الـتـاء

359) **تاحضريت** دفينة درب الرماد من مراكش عن يسار الداخـل إليه ، وكان عليها بناء اندثر جله ، وذكر ابن خلدون أن أبا الحسن المريني سلطان المغرب أنكح ابنته تاحضريت العزيزة عليه عليّ ابن السلطان أبى علي المريني المكنى بأبي يفلوسن وولد له منها محمد الذى قتله السلطان أبو سالم خاله وهو في حجرها وحجره استرابة بما نمى عنه وولد له عبد الرحمان أيضـاً .

360) **تـانوت بن علي الأيلاني** أبو ولجوط من أهل حومة ثلاثا موسى ابن يلول من عمل مراكش ، مات عام أحد وسبعين وخمسمئة ، وهو شيخ عبد الغفور بن يوسف الآتية ترجمته ، وكان من أهل العلم والعمل ، وأقام معتكفاً على العبادة ثلاثين سنة .

ترجمه فى التشوف (2) .

---

1) كلمات بالهامش لا تقرأ .

وبعد هذا ترجم المؤلف بالهامش لبثينة بنت المعتمد بن عباد ترجمة قصيرة ثم ضرب عنها صفحاً وشطب عليها بالقلم الأزرق .

2) **التشوف** ص 236 ع 101 .

361) تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني الصنهاجي

أمه أم ولد رومية اسمها ضوء الصباح ، بويع فى الثامن من رجب سنة سبع وثلاثين وخمسمئة فى معظم أيام الفتنة ، وقد قام الموحدون وظهر أمرهم واشتد سلطانهم وملكوا كثيراً من بلاد العدوة ، فكانت بينهم وبين عبد المومن بن علي حروب عظيمة ووقائع كثيرة ، ولما خرج عبد المومن بن علي يريد فتح المغرب وخرج تاشفين من مراكش واستخلف عليها ولده إبراهيم فكان يتبع عبد المومن من حيثما توجه ، إلى أن وصل تلمسان ، فدخل تاشفين وأتى عبد المومن فنزل عليه بها ، فخرج تاشفين إلى قتاله ، فنزل عبد المومن بجيوشه بظاهر تلمسان مما يلي الجبل ، ونزل تاشفين بجيوش صنهاجة بالوطا مما يلي الصفصيف (1) فزحف الموحدون لقتال المرابطين ، فهُزم المرابطون وفرّ تاشفين إلى مدينة وهران ، فاتبعه عبد المومن ، فلما اشتدّ الحصار على تاشفين خرج ليلا ليضرب فى محلة الموحدين فتكاثرت عليه الخيل ففرّ أمامهم وكان بجبل عال على البحر ، فظنّ أن الأرض متصلة فهوى من شاهق عال بازاء رابطة وهران ، فمات فى ليلة مظلمة ، وهي ليلة السابع والعشرين لرمضان المعظم سنة تسع وثلاثين وخمسمئة ، فوجد من الغد بازاء البحر ميتاً ، فحُزّ رأسه وحُمل إلى تينملل .

وكان بطلا شجاعاً حسن الركبة والمشية ، وكان يسلك طريق الشريعة ، ولاه أبوه الأندلس على عهده ، فقوى الحصون وسد الثغور وأذكى العيون على العدو ، وآثر الجند ، لم تنل عنده الحظوة إلا بالغناء والنجدة ، فحمل على الخيل وقلد الأسلحة وأوسع الأرزاق واستكثر من الرماة وأركبهم وأقام هممَهُم ، وعني بالغزو ومباشرة الحرب ، فهزم الجيوش وافتتح الحصون وتهيَّبه العدو ، ولم ينهض إلا ظاهراً ولا صدر إلا ظافراً ، ومهَّد أحوالها بالحزم ، وملك نفوس الرعية بالمعدلة وقلوب الجند بالنصفة ، له فيها غزوات مشهورة ، ووقائع مذكورة ، هنأه الفقيه الكاتب يحيى الصيرفي

---

1) واد صغير يقع قريباً من تلمسان الى الشرق منها وبه يبتدىء سهل زيدور ؛ به قرية حديثة تسمى به ؛ كان قديماً يسمى سطفسيف .

بالسلامة من بعضها في قصيدة عينية ، وحذره من خدع الحرب ونبهه على أحكامها وما ينبغي أن يفعل فيها ، مطلعها :

يا أيها الملك الذى يتقنّع   من منكم البطل الهمام الأروع

وهي طويلة بليغة عدتها ستة وخمسون بيتاً أوردها فى الحلل الموشية (1) .

وكان له فى ممارسة الحروب مع الموحدين جملة سنين لم يستقر فيها ببلد ، ولا اجتمع بوالد ولا لد ، وسياتي بعضها فى ترجمة الصيرفي المذكور فى حرف الياء .

ترجمه فى (الحلل الموشية) و (الاحاطة) و (الجذوة) و (الشذرات) وغيرها (2) .

ومما يدل على اهتمامه بأمر دين ما حكاه فى بدائع السلك فى الحكاية الثابثة من المسألة السادسة من المطلب الأول من القاعدة السابعة عشرة من الباب الثاني من الكتاب الثانى قال : ذكر يعنى الرشاطي أيضاً عن ابنه يعنى ابن علي بن تاشفين ولي عهده أنه ركب يوماً فمرّ بزقاق متحصر ، واذا بصبي على زامل (3) هجين قد تعرض به فى ذلك الزقاق ، وهو لا يقدر على رده إلى الطريق ، وإزالته عن ذلك المضيق ، فوقف ولي العهد مدة حتى تهيأ للصبي الزوال دون أن يقال له في ذلك شيء ، وحينئذ مشى الى مقصده ، قال الحاكي فعجبت من ذلك وقلت له يامولاي : تكون ولي عهد المسلمين وتقف هذا الموقف لصبي صغير على زامل هجين لا يزحزح عن طريقك ؟ قال فقال لي وما يدريك لعل مقداره في الآخرة أرفع من مقدارنا ! فازددت تعجباً ، ثم إني حدثت بذلك أمير المسلمين والده ، فلما انتهيت الى قوله لعل مقداره

---

1) **الحلل الموشية** ص 103 .

2) **الحلل الموشية** ص 99 **والاحاطة** 1 : 446 **وجذوة الاقتباس** ص 170 طبع الرباط .

3) الزامل الدابة يحمل عليها ويركب ؛ مؤنثه زاملة ج زوامل ؛ استعاره عوام المغرب للطفل والشاب يركب الناس ظهره للفاحشة !

فى الآخرة أرفع من مقدارنا ، قال لي أمير المسلمين نعم ، ومن يعلم مجاري الأقدار ، وتصاريف الليل والنهار ، قال فازددت تعجباً من ذلك .

362) **تاشفين (الموسوس) بن علي المريني**، كان هذا السلطان محجوباً لوزيره عمر بن عبد الله الفردودي لا يملك معه ضراً ولا نفعاً ، أمه أم ولد اسمها ميمونة ، صفته طويل القامة ، عظيم الهيكل ، بعيد ما بين المنكبين ، أعين أدعج ، وكان فارساً بطلا قوي الساعد ، إلا أنه كان ناقص العقل ، بويع ليلة الثلاثاء التاسع من ذي القعدة سنة اثنتين وستين وسبعمئة ، وكان نقصان عقل تاشفين من أجل الأسْر الذى أصابه بوقعة طريف أيام والده السلطان أبي الحسن إلى أن افتدي وبقي ناقص العقل مختل المزاج ، ولمّا رأى وزيره المذكور أن الأمر لا يستقيم له بنصب الموسوس المذكور بادر باستقدام أبي زيان محمد بن أبي عبد الرحمان يعقوب بن السلطان أبي الحسن ، وكان عند الطاغية بدار الحرب ، فقدم وخلع الوزير المذكور سلطانَه الموسوس يوم الاثنين الحادى والعشرين من صفر سنة ثلاث وستين وسبعمئة ، وكانت دولته ثلاثة أشهر ويومين ، ومات وسنه ستون سنة (1) .

363) **التجاني بن بابا العلوي**

التجاني بن بابا بن أحمد بيب بن عثمان بن سيدى محمد بن عبد الرحمان بن الطالب يحم بن حبيب بن أبيج من قبيلة إد وعلي ، وهو مؤلف (منية المريد) .

قال شارحها عند قولها :

قال ابن بابا العلوي نسبه　　　　المغربيُّ المالكيُّ مذهبه

ما نصه : والعلوي نسبة لقبيلة إد وعلي ، وهي قبيلة معروفة من قبائل شنگيط ، وهم ينتسبون الى سيدي محمد ابن مولانا علي كرم الله

---

1) روضة النسرين ص 31 وجذوة الاقتباس ص 171 ع 127 .

وجهه ، وقيل الى علي آخر هو جد القبيلة ، والقبيلة عند قائل هذا منسوبة الى مولانا الحسن السبط رضي الله عنه ، هذا الذى سمعته من الناظم رحمه الله ، المغربي- نسبة الى المغرب القطر المعروف وذلك لأن بلدة شنكيط هي أقصى المغرب ، والمالكي نسبة الى عالم المدينة امام دار الهجرة على مشرفها أفضل الصلاة وأزكا التسليم ، امامنا وامام الأئمة مالك بن أنس رضي الله عنه ، وأراد رحمه الله بهذا البيت التعريف بنسبه ، وجرى في البداءة به على سنن المقتدي بهم فى تسمية أنفسهم أوائل تصانيفهم ، واشارة إلى ما يفيد التعريف بهم وبأنسابهم ومذاهبهم في تآليفهم ، وذلك كما هو اللائق بحسن الظن بهم للاعتماد عليهم لا للافتخار، فان الفائدة إذا عرف مفيدها عظم في القلوب موقعها، وفي ذلك فوائد أخرى يحتاج الى معرفتها عند أهل النظر ، وهي على قسمين : قسم يحتاج اليه داخل التصنيف ، وقسم لا يحتاج اليه الا خارجه عند أهل التعريف ، فمن فوائد القسم الأول معرفة عقل المصنف ودينه ليعلم هل هو ممن يوثق بنقله ويعتمد عليه فى قوله أم لا ؟ ومنها معرفة مرتبته فى العلم وخصوصاً في الفن المتكلم فيه ليعلم هل هو حجة في ذلك أم لا ؟ وذلك لأن قول الحجة حجة ، ومنها معرفة مذهبه ليتمكن من قبول كلامه أورده أو تضعيفه أو تصحيحه أو تشهيره وترجيحه ونحو ذلك ، ومن فوائد القسم الثاني التعرض لدعاء داع أو ثناء مثن أو وداد أخ ، قاله المحقق اليوسي رحمه الله تعالى . قلت وفى هذه الفوائد ما لا يخفى من البركات الماثورة والخير المتزايد أو التعرض لداع فانه من أجل ما يعتنى به اللبيب ،وأفضل ما يهتمُّ به الأريب ، لأنه من مظان الاجابة لما ورد من أن دعوة الأخ لأخيه فى ظهر الغيب مستجابة ، وأما الثناء فكذلك ، ويكفى أنه مما يستوجب به العبد الجنة بفضل الله تعالى لحديث من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة ، ولا سيما ان كان الثناء من أهل الخير كالعارفين والصديقين ، لما ورد أن شخصاً مات على عهد رسول الله (ص) فشهد الناس كلهم بالشر الا أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، فأوحى الله تعالى الى رسول الله (ص) أن الذين يشهدون فى فلان بالسوء صادقون ، ولكن الله تعالى أجاز شهادة أبي بكر تكرمة له ، ذكره الشعرائي فى (الميزان) ، وفيه أن الثناء من أهل الكمال ترجا بركته على كل حال .

لطيفـة :

ومن هنا يرجو بعض الناس بركة التحلية من أهل الخير والصلاح ، ويحصل له بها السرور والانشراح ، وربما يستأنس في هذا بما ذكره الفخر الرازي رحمه الله تعالى في تفسيره على قوله سبحانه وتعالى هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين الآية ، كيف سماهم الحق تعالى ضيفاً ولم يكونوا ، قال الفخر نقول لما حسبهم إبراهيم عليه السلام ضيفاً لم يكذبه الله تعالى في حسابه إكراماً له ، وأما التعرض لوداد الأخ في الله فانه من أخلاق الصالحين ومن مكارم الأخلاق التي تدلُ على لطف الشمائل وطيب الاعراق ، ولا يخفى ما فيه من الفضل ، وفي الحديث رأس العقل بعد الايمان بالله تعالى التودد إلى الناس ، واسم الناظم رحمه الله تعالى التيجاني سماه به والده على ما أخبرني به عن نفسه تبركاً باسم سيدنا الشيخ رضي الله عنه ، وذكر لي رحمه الله أن له أخوين اسم أحدهما الشيخ ، واسم الآخر أحمد ، قصد والدهم حصول بركة التسمية باسم الشيخ رضي الله عنه، والتسمية بأسماء الأنبياء والصحابة والأولياء من السنن الواضح المعروف قديماً وحديثاً،وفي الحديث"ولد لنا الليلة ولد" فسميته بأبي إبراهيم عليه السلام، ولما نزل قوله تعالى ياأخت هارون الآية قالوا يارسول الله كيف تكون أخت هارون وبينهما دهر طويل ؟ فقال عليه الصلاة والسلام إنهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم فهو هارون آخر مسمى باسم هارون النبي عليه السلام ، واسم والده بابا حسبما تقدم مصرحاً به في النظم ، وكان عالماً ناسكا فاضلا مشاراً إليه في بلده وجيله ، ملحوظاً بعين التعظيم في معشره وقبيله ، وأخبرني ولده الناظم رحمه الله أن له شرحاً على التحفة العاصمية وتكملة التكملة للديباج انتهى فيها إلى ذكر أهل القرن الثاني عشر فترجم للشيخ التاودي ابن سودة والشيخ عمر الفاسي وغيرهما ، وأخذ طريق الشيخ رضي الله عنه عن قريبه العلامة الكبير والقدوة الشهير سيدي محمد الحافظ العلوي وهو ابن نحو عشرة أعوام ، وهذه إحدى المزايا التي كان يلحظ من أجلها عند الخاصة من أهل الطريق ، وبالجملة فبيت الناظم رحمه الله بيت علم وفضل ، لأنه من ذرية علامة شنكيط سيدي الطالب العلوي الشهير الذكر ببلدهم ، ومن أولاده العلامة سيدي عبد الله بن الطالب كان قرأ على الشيخ أبي الحسن الأجهوري فكان أعلم أهل زمانه ، وإليه المرجع في إقليمه ، فالناظم رحمه الله التيجاني بن بابا بن أحمد بيبا بن عثمان بن عبد الرحمان بن الطالب

المذكور حسبما هو عندنا بخط يده ، وكانت له اليد الطولى فى العلم وخصوصاً فى فن السير والفقه والأصول والبيان والنحو والتصريف واللغة والمنطق والعروض وأشعار العرب وأيامها وغير ذلك من الأخبار والنوادر، وأما التصوف فقد رزق من الذوق الغريب فيه ما يشهد له بالتقدم التام ، وستقف فى نظمه هذا على بعض الرشحات والدقائق التى تحار فى دركها الافهام مع إفراغــه ذلك فى قوالب العقائد العلمية ، ستراً لما له مع الله تعالى من أحوال الخصوصية، ولم نظم ذكر فيه أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وبنيهن منه عليه السلام ، وما لبناته من بنين وبنات أيضاً قرأناه عليه وكتبنا عليه من إملائه فى مواضع منه ، وكتب لنا بخط يده فى مواضع من هوامشه كذلك أيضاً ، وأذن لنا فى شرحه ، وقد قيدنا عليه بحسب ما تيسر لنا فى الوقت ، وله عليه شرح نفيس فى مجلد أبدع فيه غاية ، ولم يمكنا كتبه لاستعجاله ، وله أرجوزة نظم فيها الورقات للشيخ أبى المعالى إمام الحرمين رحمه الله تعالى ، وله رحلة التزم فيها ذكر مَن لقيه من الأعلام فى وجهته لبيت الله ، وابتدأ بأشياخه الذين قرأ عليهم ببلده كوالده ووالدته وغيرهما رأيتها عنده وقد كمل منها مجلــد ، وذلك قبل أن يجتاز ببلاد الواسطة (1) والجريد وتونس والبلاد المشرقية ، وله هذه المنظومة المباركة نظمها بزاوية عين ماضي أيام اقامته بها بأمر من سيدنا العالم الفاضل الناسك العارف بالله تعالى أبى المواهب سيدى محمد الحبيب نجل سيدنا ومولانا الشيخ رضي الله عنه ، وقد أومانا إلى بعض ذلك فى طالعة الكتاب ، وأخذ الطريقة من العلامة الأوحد الفاضل الأمجد سيدى محمد المدعو محمد الملقب بالخليفة لقيامه بالخلافة فى إعطاء الطريق بعد وفاة شيخه سيدى محمد الحافظ رضي الله عنه ، وله خمسة جدود كل واحد أعلم أهل زمانه ، وهم أبو سيدى عبد الله بن سيدى أحمد الفغ (الفقيه) ابن سيدى محمد بن سيدى عبد الله المعروف بالقاضى وهو الذى تقدم لنا أنه قرأ عـلى الشيخ الأجهوري ابن علامة شنكيط سيدى الطالب المتقدم الذكر ، وفيه يجتمع نسبه مع الناظم رحمه الله تعالى ، وقد تقدم ذكر كيفية تلقينه إياه وما عامله به من

---

1) الواسطة فـى الاصطلاح المغـربى القديم بـلاد المغـرب الأوسط (الجزائر) والنسبة اليها واسطى ؛ ولا تزال الكلمة معروفة الى الآن .

الاعتناء فى ذلك ، وكان لهذا السيد على ما أخبرنى به الناظم رحمه الله باع فى العلوم ، وله فى مدح شيخه الحافظ ومولانا الشيخ رضي الله عنه قصائد كثيرة ، وكان يقال له حسان الطريق لقوله فى قصيدة يمتدح الشيخ رضي الله عنه ويرد على المنتقدين على طريقتنا :

وإنى لحسان الطريق وأهلها أذودُ أبا جهل النكير وأزجر

وكان الناظم رحمه الله تعالى من أعاجيب الدهر فى الذكاء والفطنة ومكارم الأخلاق وحسن الشيم وعلو الهمة عن الخلق والتجافى عن سفاسف الأمور ، مع ما هو عليه من الجد والاجتهاد فى طاعة رب العباد ، وكان اجتيازه بنا بمكناسة الزيتون عام سبعة وخمسين ومئتين وألف ، ومكث عندنا ثلاثة أشهر صاحبناه فيها وذاكرناه واستفدنا منه ما نرجو الله تعالى أن ينفعنا به فى الدين والدنيا والآخرة بفضله وكرمه ، وكانت وفاته رحمه الله أوائل العشر التى بعد الستين ومئتين وألف ، وذلك قبل وفاة والده بما يزيد على العشرة أعوام بالمدينة المنورة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام .

تكميل

ما قدمناه من الخلاف فى نسبة قبيلة الناظم رحمه الله تعالى سمعنا منه ما يرجح القول الثاني وأن النسبة إلى علي جد القبيلة وهو من ذرية مولانا الحسن بن مولاتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنهما ونفعنا بمحبتهما ، وذلك أنه أخبرنى مراراً وجد أهله وأقاربه ينتسبون إلى سيدى محمد ابن الخليفة نجل مولانا علي كرم الله وجهه ، فكان والده يسر إليه أنهم من أولاد مولانا الحسن ، وأن النسبة المذكورة هي إلى علي أحد أجدادهم لا غير ، وكان الناظم رحمه الله لا ينفكُ عن التردد فى ذلك فى باطنه حتى رأى ذات ليلة فيما يرى النائم كأنه دخل إلى بستان ، وإذا فيه ماء نهر يجري وإذا إلى جانب النهر حوض يجتمع فيه الماء وامرأة تتوضأ من ذلك الحوض كاشفة عن ساقيها حاسرة عن بعض أعضائها كما هي حالة المتوضيء ، وإلى جانبها شابان واقفان ينظران إليها فوقع فى باله أنها ليست بذات محرم منه ، فلا يحلُ له أن ينظر إليها ،

فأراد أن ينحرف عنها فأشارت إليه أن تقدم ، فزال عنه كونها ليست بذات محرم منه ، فتقدم إلى أن دنا منها فاستيقظ فقص رؤياه على بعض من كان مشهوراً بالتعبير ببلدهم ، وقال فى تعبيرها لعل لهذا الرؤيا نسبة إلى مولاتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها ، وهذه الرؤيا تحققها حيث لم تستتر منه ، والشابان الحسن والحسين ، وقد دعته إلى الدنو منها ، هذا ملخص ما عبر به المعبر ، فسر الناظم بذلك وزال عنه ذلك التردد لما كان يسره إليه والده ، لأنه بقي فى الظاهر على ما عليه عامة الناس فى ذلك كما هي عادة أهل الفضل والدين في عدم التظاهر بالأنساب والتفاخر بها ميلا منهم إلى ما هو شعار السلف الصالح من عدم التمييز عن أبناء الجنس وترك كل ما يشير إلى الرضى عن النفس رضي الله عنهم وأرضاهم آمين .

وقال فى (الوسيط) ظهرت عليه إمارة النجابة فى صغره واشتغل على والده فى أول أمره وعلى والدته العالمة الصالحة خديجة بنت المختار بن عثمان ، وتوجه إلى المشرق وهو شاب على طريق الغرب براً ثم نزل من مراكش إلى الجديدة فركب فى البحر إلى طنجة فأصابه الميل الشديد فعزم أن يحج براً وفعل ذلك ، ولما نزل فى طنجة توجه إلى مكناسة فى غالب ظني ، فقد أخبرنى بعض شيوخ مكناسة الزيتون حرسها الله أنه دخل عليهم فى زاوية سيدنا الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه وبات معه فسألوه عن طريقه فأخبرهم أنه رافق رجلا ودخلا مكناسة وترك عنده كتبه وفيها أربعون ريالا وهو لا يعرف اسمه ولا أين نزل،قال فقلنا له إن الكتب والدراهم مضت لسبيلها، قال لا يكون ذلك ، فانى قد حصنتها بثاية الكرسي ، قال فبينما نحن وقوف على باب الزاوية من الغد إذا بالرجل ماراً قال هاهو رفيقى ، فوجد عنده الكتب بحالها فقال فتعجبنا من ذلك ، ووجد فى الزاوية سيدى العربى ابن السايح الرباطي ووقعت بينهما محبة زائدة ، وهو الذى أحيا منظومته (منية المريد) بشرحه لها المسمى (بغية المستفيد) ثم قال حدثني العلامة عبد الجليل برادة رحمه الله تعالى سنة سبع عشرة وثلاثمئة وألف بالمدينة المنورة أن له فى ذلك العام ستين سنة وهو متوفى ، وأبرز لى ورقة صغيرة فيها مقطعة من نظم صاحب الترجمة وقد كتبتها منه ثم ضاعت مني قبل أن أحفظها وأولها :

الدهر يأتي بأفراح وأحـــــزان — وكل شيء على ظهر البـرا فـــان
والموت بئر جميع النـاس وارده — ولاحب فيه يمشي كل إنســـان
لو كان بالموت من عار ومنقصــة — ما مات أحمد عالي القدر والشان
أو كان في غيره عز ومنقبـــــة — ما عاش من بعده يوماً فلانـــان
قل للذين هما بموته شمتـــــا — قد مات جاراً لطه خير عدنـــان

وهي أكثر من هذا وقال : إن أحمد المذكور كان صديقاً لصاحب الترجمة فشمت به اثنان من شنكيط كانا في المدينة المنورة ، وكان يحسدان صاحب الترجمة ، قال ومدة إقامته بالمدينة سنة ، وتزوج بها إحدى بنات أهل المدينة ، وأخبرني أنه مات هو وصديق له اسمه المختار في يوم واحد ودفنا بالبقيع رحمهما الله تعالى ، ولم اعرف المختار ولا أحمد الذى ذكر في أبياته ، وقد رأيت قصيدة رائية عند العبدلاوي الفاسي فكنت أريد أن أنسخها منه فوقع مانع منع من ذلك وأول منظومته التى شرحها سيدى العربي ابن السائح رحمه تعـالـى :

قال ابن بابا العلويُّ نسبُـــــه — المغربـي المالكـي مذهبـــــــه
الحمـــد للجـاعل الأوليــــاء — ورثـة الكُمَّـل الأنبيــــــاء
والجاعل النبي خيـــر الأنبيـــا — وشيخنا أحمد خيـر الأوليـــا
حمداً يدوم بـدوام النعـــــم — على الخلائق وكل مسلـــم (1)

364) تميم بن بلقين الصنهاجي

تميم المستنصر ابن بلقين بن لقمان بن باديس بن حبوس الصنهاجي المالقــي .

قال في (الحلل الموشية) عند ذكر أخيه عبد الله المظفر بن بلقين بن باديس حين ذكر الجواز الثالث للأندلس ليوسف بن تاشفين ما نصه :

كان جوازه الثالث في سنة ثلاث وثمانين وأربعمئة ، سببه أنه لما كان على حصن لييط (2) نقل إليه عن ملوك الأندلس كلام أحفظه وأوغر صدره عليهم وهو الذى أزعجه إلى العدوة ، ولما تبين لهم تغيُّره عليهم وإعراضه عنهم نظر

1) **الوسيط** ص 69.

2) لييط وبالاسبانية Aledo حصين يقع الى الشمال الغربى من مرسى قرطاجنة بالاندلس؛ وقد صحف في **الحلل الموشية** الي لبيط وقلده المؤلف في التصحيف .

كل واحد منهم لنفسه بغاية حزمه ، فأول من شهر ذلك وتظاهر به وجد فيه (المظفر) عبد الله بن بلقين بن باديس ، واتصلت أنباؤه بيوسف بن تاشفين فاشتدّ غضبه وزاد حرجه عليهم ، ولما احتل بالجزيرة الخضراء وافاه ابن عباد فتلقاه بعادته من التعظيم ، واحتفل فى التضييف والتكريم ، وتوالت عليه الأخبار من الأمير عبد الله بن بلقين بما يغيظه ويحقده ، فاستنزل من مالقة أخاه (المستنصر) تميم بن بلقين وتوجه الى غرناطة فلقيه (المظفر) عبد الله بن بلقين خارج الحضرة فسلم عليه وترجل إليه ودخل معه البلد فسلم إليه الأمر وأقام ينظر في توطئة البلاد وتمهيد الأمور واحتمله وأخاه المستنصر تميماً الى العدوة وأسكنهما بأغمات (1) .

وقد استوفى الكلام فى هذا الأمير عبد الله بن بلقين فى الكتاب الذى ألفه فى دولة قومه (2) وحفيده يحيى بن حسن بن تميم ، ذكره فى صفحة 148 من (المعجب) كما ياتى ذكر أخيه عبد الله المذكور ، وسياتى ذكر حفيده الحسن بن علي بن يحيى بن تميم المذكور .

فائدة وتنبيه :

وقال في (الشهب اللامعة) في الباب الثامن : قلت وفي معنى هذا التحكيم في الأمانى المطلقة ومن الحزم أن لا يفعل فانه ربما أدى الى ما لا يرضى الملك كما حكاه صاحب الجذوة وغيره من أن الحسن بن الأشكري المصري قال : كنت رجلا من جلاس الأمير تميم بن أبى تميم المعز ، وممن يحف عليه قال : فأرسلني الى بغداد فابتعتُ له جارية رائقة فائقة الغناء ، فلما وصلت اليه دعا جلساء له قال : وكنت فيهم ثم مدت الستارة وأمرها بالغناء فغنت :

وبدا له من بعدما اندمل الهوى ... برق تألق موهنا لَمَعانُه
يبدو كحاشية الرداء ودونه ... صعب الذرى متمنع أركانه
فمضى لينظر كيف لاح فلم يطق ... نظراً اليه وصده أشجانُه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه ... والماء ما سحَّتْ به أجفانُه

1) **الحلل الموشية** ص 57 .

2) نشر الجزء الأكبر من هذا الكتاب — وهو كل ما عثر عليه لحد الآن — الأستاذ الكبير ليفى بروفانصال بالقاهرة سنة 1955 (مطبعة دار المعارف) تحت عنوان : مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بنى زيرى بغرناطة .

فأحسنت الجارية ما شاءت ، فطرب الأمير تميم ومن حضر ثم غنت :

ستسليك عما فات دولة مفضل أوائله محمودة وأواخره
ثنى الله عطفيه وألف شخصه على البر من شدت عليه مآزره

قال فطرب الأمير ومن حضر طرباً شديداً ، قال ثم غنته :

استودع الله في بغداد لي قمراً بالكرخ في فلك الأزرار مطلعه

وهذا البيت من نظم محمد بن زريق الكاتب البغدادي في قصيدة طويلة ، فلما اشتدَّ طرب الأمير تميم وأفرط جداً قال لها تمنيْ ما شئت ، قالت : أتمنى عافية الأمير وسلامته ، قال والله لا بد أن تتمنَّيْ ، فقالت على الوفاء أيها الأمير مما أتمنى ، فقال نعم ، فقالت أتمنَّى أن أغني بهذه النوبة ببغداد ، فامتقع لون الأمير وتغير وجهه وتكدر المجلس وقام وقمنا ، قال ابن الأشكري فلقيني بعض خدمه وقال لي ارجع فالأمير يدعوك ، فرجعت فوجدته جالساً ينتظرني ، فسلمت وقمت بين يديه فقال : ويحك أرأيت ما امتحناه به ؟ فقلت نعم أيها الأمير ، قال لابد من الوفاء لها ولا أثق في هذا بغيرك ، فتأهبْ لتحملَها الى بغداد فاذا غنت هناك فاصرفْها ، فقلت سمعاً وطاعة ، قال ثم قمت وتأهبت وأمرها بالتأهب وسرت بها الى العراق فلما وردنا القادسية أتتني خادمها فقالت تقول لك سيدتي أين نحن ؟ فقلت لها نزولا بالقادسية ، فانصرفتْ اليها وأخبرتْها ، فلم أنشب أن سمعت صوتها قد ارتفع بالغناء، فغنت الأبيات المذكورة ، فتصايح الناس من أقطار القافلة أعيدي بالله ، فما نسمع لها كلمة ، ثم نزلنا الباسرية وبينها وبين بغداد خمسة أميال في بساتين متصلة ينزل الناس بها فيبيتون ليلتهم ، ثم يبكرون لدخول بغداد ، فلما كان وقت الصباح اذا بالخادم قد أتتْني مذعورة ، فقلت ما لك ؟ فقالت ان سيدتي ليست بحاضرة ، فقلت ويلك وأين هي ؟ قالت والله لا أدري ، قال فلم أقف لها على أثر بعد ذلك ، ودخلت بغداد وانصرفت إلى الأمير تميم فأخبرته خبرها فعظم ذلك عليه واغتمّ غماً ، ثم ما زال بعد ذلك ذاكراً لها واجماً عليها (١)

انتهى نقل الشهب اللامعة .

---

١) خلط المؤلف عند ما نقل هذه الحكاية بين تميم بن بلقين الصنهاجى المترجم وبين تميم بن معد بن اسماعيل بن محمد بن عبيد الله الفاطمى شاعر بنى عبيد بلا منازع ؛ وأعجب من هذا الخلط ان المؤلف يصر فى السطور التالية على أن القضية وقعت لتميم الصنهاجى لا لتميم العبيدى ؛ سامحه الله .

وذكر الشريشي فى شرحه للمقامة الثامنة عشرة ص 348 من ج الأول قائلا : وأسكن من القرية التي ولد بها موسى عليه السلام وأشار الى هذه القصة فى صفحة 111 من ج الأول من (الوسيلة الأدبية) ونسبها لبعض ملوك مصر من العبيديين الفواطم الخ ، وهذا غلط فان القضية وقعت لتميم المذكور ابن أبى تميم المعز الصنهاجى لا للمعز العبيدي .

365) **تميمة بنت يوسف بن تاشفين** أخت علي بن يوسف ، تُكنى أم طلحة ، كانت كاملة الحسن ، راجحة العقل مشهورة بالأدب والكرم ، وسكنت مدينة فاس ، ورآها يوماً كاتب لها ، فبهت وكانت قد أمرت بمحاسبته ، فلما نظرت اليه عرفتْ ما دهاه ، ففطنت لما عراه ، فأومأت اليه وأنشدته :

هي الشمسُ مسكنها فى السمـاء   فعزِّ الفؤادَ عزاء جميـــــــــلا
فلن تستطيع اليها الصعــــود   ولن تستطيع إليك النـــزولا (1)

366) **التهامي بن أحمد المدغري المسعودي** صاحب الأزجال الشهيرة ، أخذ عن سيدى الغازي السجلماسي ، كان رحمه الله أديباً ماهراً فصيحاً بليغاً ، برع فى فن الأزجال وفاق بها أهل زمانه ، ويأتي فيها بالتخيلات العديدة والنوادر الغريبة ، مطلعاً على دواوين العرب والمولدين ، عارفاً بنكتهم ، عارفاً بالتاريخ ، مشيراً في ضمن قصائده الى قضايا بالتلميح والتصريح ، وكانت له معرفة بالعربية ، درسها في جامع ابن يوسف بمراكش ، وكان يقرض الشعر الموزون أيضاً ، كان نديم الفقيه القاضي السيد السعيد القاضوي ، وهو يأمره على لسان سيدي محمد بن مولاي عبد الرحمان في خلافته الصغرى بنظم الأزجال على الكيفية التى يحب ، فهام في الغيد الحسان حتى صار شيخ الغرام ، وقضيب الوجد والهيام ، ولما ختم الخليفة المذكور كتاب اقليدس في الهندسة عام 1271 قال فيه المترجم :

برزت على قدر لنا أشكالهـــــا   من صدرها في طيها أشكالهـــا
وحكت مقالتها المقادر بعدمـــــا   صحّت نتائجها وصحّ مقالُهـــا
أشكالها تحكى قباب محلــــــة   تحت الخليفة خيلُها ورجالُهـــا

1) **جذوة الاقتباس** ص 173 ع 130 .

أوخلتها شجراً صغيراً مثمـــــرا فاجْنِ الثمار ولو بدت عُذالُهـا
أو خلتها خيلا بدت عربيـــــة برباطها قبل العدا أبطالهـــا
ما شئت من قوس رنت أوتارهـا ترمي البغاة سهامُها ونصالهـا
رنت وأنّت في فنا أقطارهـــا وحمت مناشرها الحمى ونضالها
لكنها قد خيمت لمعاقـــــل صفت بمشكلها فعزّ وصالُهـــا
واستوطنت قنن الجبال صعابهـا فعلت بها بين الجبال جبالهـا
ورقت مفاخر مجدها في منعـــة فتكبرت وتجبرت أقيالهـــا
ظنت بأن الجو خالٍ من مــدى ظفر البزاة فلا تطيش نبالهـا
فعلت معاقلها الرجال وفلهـــا سيف الحجا فتمزقت أوصالهـا
بل لو رأت ليث الكتائب خلفهـا ضاقت مذاهبها وضاق مجالهـا
أو لو رأته لدرسها متهيئـــاً خضعت لديه سهولها ورمالهـا
ياهند غرتك السنية أوضحــت برموزها عجباً فبان جمالهـا
قد جئتنا في همة شماء فـــي أوج العلا مرفوعة آمالهـــا
فهوت بها أطيار ذهن ثاقـــب من جوها ياحبذا ارسالهـــا
وأتت به ليث الوغى ماســـورة حلت غنائمها وحل منالهـــا
فاقتضّها (١) قهراً وكانت قبلـه رتقاء لم تفتح اذاً أقفالُهـا
فغدت، حضيضاً صفصفا في كفـه لم يخف عنه حالها ومآلهـا
وغدت فتوح سرها طوعاً لــه اذ بايعته يمينها وشمالهـا
فانظر لهندسة تلاشى حصنهـا لولا الخليفة ما بدت أضلالهـا
لولا الخليفة بثّها في أرضنـا غربت حقيقة شمسها وخيالهـا
لولا الخليفة معرقاً في فنهـا محيت معالمها وقُدّ شكالهـا
لولا الخليفة لم تزل بغطائهـا لولا الخليفة ما استضاء جمالهـا
لو لا الخليفة ما سمت شرفاتهـا فوق الثريا واستنار هلالهـا
لولا الخليفـة ما علت أعلامهـا كلا ولا انتشرت لديـك ظلالهـا
لولا الخليفة ما علا مقدارهـا لولا الخليفة ما صفا منهالهـا
لولا الخليفة عطلت راياتهـا وعدت عـلى حذاقهـا جهالهـا
لولا الخليفة معتن بدليلهـا ضلت على وجه الفلاة جمالهـا

١) الاقتضاض بالقاف كالافتضاض بالفاء ؛ الا أن الأول يكون للصغيرات غير المطيقات ، والثانى يكون للكبيرات المطيقات .

لولا الخليفة قادها عن خبـــــرة ... تاهت على لجج الظلام وحالهـــا
لولا الخليفة جدَّ في إحيائهــــا ... هلكت فما ظفرت بهـا سؤالهـــا
لولا الخليفة ما استجـاد نظامهـا ... كف الزمان ولا بدا إقبالهـــــا
لولا الخليفة صانها بمراحهـــــا ... ضجئت نجائبها وضاع عقالهـــا
لولا الخليفة بالسياسة راضهـــا ... ضاعت على موج الفضا أحمالهـــا
لولا الخليفة قيدت أقلامـــــــه ... شرادها قُدت بها أغلالهـــــــا
لولا الخليفة حدها بحدودهـــــا ... كثرت طرائقها وطال جدالهـــــا
قل للخليفة حزت سبقاً فاحتمت ... بحما علاك نساؤها ورجالهـــــا
ظهرت علينا بالهنا أسراركـــــم ... عند الختام مفصلا إجمالهـــــا
خذها إليك خريدة أهدى لهـــا ... مسك الختام جنوبها وشمالهـــا

وله قصيدة من البسيط يخرج من أبياتها الأربع الأولى بيتان من الكامل ، ثم من الثلاثة التى تليها الطويل والمديد ، ثم من الثلاثة التى بعدها الوافر والهزج ، ثم من الخمسة التى تليها الخفيف والزجل ، ثم من الستة الباقية السريع والمنسرح ، وهي هذه :

ظبيُ الفلاة على البعـاد بالمُقـــل ... عمداً دهاني أسى بالسحر والكحل
ختلا دهاني فقلت يالقومـــــي ألا ... لمن رماني بنبل اللحظ عن عجــل
بالحظ زاد هوى بقلب ما عن أسا ... يشير جرحاً إلى جرح إلى علـــل
فافعل بغير سنان ما تشاء ففـــي ... لحاظك السمر فتك السمر والأسل
عطفا أيامائس الاعطاف مائلهـــا ... وياسنا بدر تَمٍّ فـاتك الشهـــل
بالغنج والحور الهندي نلت منـى ... وما على قدك الوسمى من خجــل
وما بدا من ندى مخجل الاصباح من ... شذاه والقمر السعدي والبجـــل
ألا ياظبي النقا بالوادي مرتعـــه ... أنت المفدى فدتك النفس من أمل
شاد كحيل بحق الغنج والـــود لا ... تهجر محباً حشاه من هواك صُلي
مشتبكا في حجى صاد يميل إلـى ... شمس المحيا من الميزان والحمل (١)

١) بقيت من القصيدة عشرة أبيات كثيرة التصحيف عجزنا عن تصحيحها فحذفناها مثلما عجزنا عن تصحيح كثير من كلمات الأبيات المتقدمة .

أما أزجاله فهي تشذ عن الحصر ، وبها يغنى المغنون ، ويتنافس فى حفظها أرباب الملحون .

توفي رحمه الله بفاس ودفن بضريح سيدى أبى نافع ضحوة يوم الأحد الواحد والعشرين من المحرم فاتح سنة ثلاث وسبعين ومئتين وألف .

367) **التهامي بن المهدي المزوار المكناسي** الفقيه العدل الكاتب كان أديباً ماهراً حائزاً قصبة السبق في الفصاحة والبلاغة ، ناظماً ناثراً هماماً لا يقاوم ، وماجداً لا يزاحم ، سما في سماء التوثيق بدراً ، وارتفع فى سلم العلوم سراً وجهراً ، ومن شعره قصيدة فى المولد الشريف أنشأها عام 1298 نصها :

هذى السعادة قد مدت إليك يداً — والوصل أنجز عزماً ما به وعـــدا
أم هذه نفحة الأحباب قد وفـــدت — من نحو ليلى وهذا عطفها وفـــدا
أهدت لنا طرباً أهدت لنا أربـــاً — أهدت لنا قرباً لا تنتهي أبـــــدا
قد طال ما كنت أرعاها وأرقبهـــا — قدماً وأطلب منها الوصل والرفد (I)
حتى غدوت بها فى كل آونـــــة — أهفو وألهج لا أخشى بهـــا أحـــدا
هيهات لي كيف أسلو عن هواها وهل — أقوى وهل أستطيع الصبر والجلدا
لا يسلنى أبداً عنها سوى شغفى — بمولد المصطفى أجل مَن ولـــدا
خير الورى وشفيع الخلق قاطبـــة — يوم الزحام إذا الاحجام عنها بـدا
أعلا الخلائق جاهاً عند خالقـــــه — وخير مَن يرتجا يوم القيام غـدا
أصل الوجود ومن لولاه ما خُلِقت — أرض ولا كان كون لا ولا وجـــدا
فهو البشير النذير المستغاث بـــه — وهو الذى رحم المولى به وهـــدى
كم آية ظهرت في آن مـولــــــده — كم نعمة بهرت دانٍ ومَن بعـــدا
ياسيد الرسل داركنا بمرحمـــــة — تكسو الجميع على مر المدى بـردا
واسدل على نجلك الميمون سيدنا — عطفاً وهيء له من أمره رشَـــــدا
هذا الامام الذى جلت مآثـــــره — عن أن يحيط بها مَن رامها عددا
هذا الامام الشريف الطيب الحسن الـ — برُّ الذى صهوة الاحسان قد صعدا
هذا ابن فاطمة الزهراء مَن شرفت — أخلاقُه وعلت في المعلوات يـدا
هذا هو ابنُ رسول الله كعبتنـــا — هذا الذى قد غدا في الحِلم منفردا

I) فى اتحاف اعلام الناس : والرغدا .

هذا الذى هو مأوى الخير أجمعِــه — هذا الغنى للذى أبوابــه قصــــدا
هذا الذى أسعد اللهُ الوجودَ بــه — فضلا ومناً فلم يترك بـــــه أودا
هذا الذى أصبحت فينا سيادتــه — كهفاً منيعاً وحصناً لم يزل سندا
هذا المؤيد والميمون طالعــــــه — هذا الذى بعلاه الخلق قد سعــــدا
فخر الملوك ومَن صارت مناقبُه الـ — ـغراء حرزاً بها نستدفع الكمــدا
فليهن علياك ياتاج الملوك ويـــا — ابن المصطفى ليلة خصت بكل ندى
خصت بمكرمة خصت بمرحمــــة — خصت بمرتبة قعسا وكل هــدى
نلنا بها من بها علياك كلَّ منـــى — نلنا بها الربح والأوطارَ والرشدا
دم سيدى لابساً ثوب السرور على — مر الدهور فما ترضاه قد وجــدا
لازال نصر وفتح يخدمان معـــــاً — هذا الجناب الذى أروى الورى مددا
واليمن والسعد والاسعاد يتبعــه — مــع السلامــة إصداراً وإن وردا
ما أمَّ ركبُ أمين الله رحمتـــــــه — فراح والعطف قد أولى إليه يـــدا

توفي رحمه الله (في محرم) عام 1310 بفاس (1) .

368) التهامي بن المدني كَنون

التهامي بن الحاج المدني بن علي بن عبد الله كَنون ، الفقيه العلامة النبيه ، فارس هيجاء مجالس العلوم ، وممارس السنة وعلمها المعلوم ، البدر الساطع خلال سحائب ، والبحر الفائض اللافظ بنفائس الغرائب ، مجالسته رحمة، ومذاكرته حكمة، ومثافنته نعمة، يقتطف من رياض المعاني كل نوع جليل، ويرصف من متقن المباني ما يشفي الغليل، لم تزل أفكاره فى بحار العلوم سابحة، وبروق ألفاظه من ثنايا التحقيق لائحة ، تخاله وقد ضمه المجلس أسـداً بين أشبال ، أو قمراً منيراً حواليه نجوم واضحة عوال ، أو شجاعاً ماهراً مارس الأهوال وقارع الأبطال ، أو خطيباً قام على منابر التبريز ناطقاً بالحكمة وفصل الخطاب ، وقد نظم ونثر من جواهر الألفاظ ويواقيت المعاني ما يسحر الألبـــاب .

1) له ترجمة أطول وأشعار أكثر فى **اتحاف اعلام الناس** 2 : 94 .

أخذ عن أخيه وأقرانه وعنه خلق كثير ، وله تآليف منها تعليق على الشفا سماه (المورد الأصفى) ، وتعليق على الموطأ سماه (أقرب المسالك) ، وتعليق على البخاري ، وآخر على مسلم ، وشرح على ابن يامون في آداب النكاح سماه (قرة العيون) ، و (نصيحة المومن الرشيد ، في الحضّ على تعلم عقائد التوحيد) ، و (هدية المحبين ، إلى مولد سيد المرسلين) و (هدية المحب المشتاق المستهام ، لرؤية مَن أثنى عليه الملك الخلاق في المنام) ، و (إرشاد الخلائق ، لآداب زيارة منبع الحقائق) وأربعون حديثا في لا إله إلا الله ، وأخرى في الصلاة ، وأخرى في الزكاة ، وأخرى في الصيام ، وأخرى في الحج ، وأخرى في فضائل يوم الجمعة ، وأخرى في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وتقييد في بر الوالدين ، وختمة للامام البخاري ، وأخرى للامام مسلم ، وأخرى للمرشد المعين ، حسبما تلقيته منه ونقلته من خطه .

قاله في الدرر البهية (1) .

ثم قال إن مرجع أولاد كَنون القاطنين بفاس إلى عبد الله الجد الرابع من الموجودين الآن ولا يعرف مَن عداه حسبما تلقيناه من أعيانهم وممن يعرفهم وغيرهم من الأعيان ، وقال أيضاً إعلم أن عندنا بفاس أولاد كَنون وهم من مشاهير عوام فاس وليسوا من النسب في شيء من صحيفة 16 من ج 2 منها ، ومن تآليفه شرحه على نظم التثبيت في ليلة المبيت ، ومنها تقييد في فضل البسملة وإعرابها ، وله أيضاً تتميم لبترات في حاشية ابن زكري على صحيح البخاري التي لم يكملها شقيقه الشيخ الامام ، وختمة لمختصر خليل ، وختمة لرسالة ابن أبي زيد القرواني .

سكن المترجم رحمه الله مراكش ، وكان عدلا بها أيام قضاء أخيه العلامة سيدي الحاج محمد بها .

ولد المترجم عام ثلاثة وخمسين ومئتين وألف ، وتوفي رحمه الله في 7 رجب عام واحد وثلاثين وثلاثمئة وألف ، ودفن بمطرح الجنة خارج فاس.

---

1) الدرر البهية 2 : 370 .

تـنـبـيـه

حدثنى الفقيه الحاج العربي انه سمع من المترجم أنه شريف ، وذكر المشرفي في (الدر المكنون ، في التعريف بشيخنا سيدى محمد كنون) في أواخره فصلا فيما يتعلق بشرفه وهو مطبوع ، ولكن بحث قضاة فاس الثلاثة فى نسب أولاد كنون بفاس بأن مرجع حججهم إلى أمرين السماع الفاشي والاقرار من الكنونيين، أما الأول فلا يتم، لكون السماع الفاشي ليس بمستفيض ، وهو لا يفيد كما في المفيد ، وأما الاقرار هنا فهو شهادة فيشترط فيه شروطها، وقد عدمت ، فلهذا أمروهم بالكف عن هذا الانتساب ، وأعلموا بذلك عالي الجناب ، فأمضاه فى شوال عام ست وعشرين وثلاثمئة ، وفى ليلة تاسع وعشري قعدة عام 1326 ، سرد علينا الفقيه المفتي الشريف سيدي الحسين بن محمد بن مولاي الوليد العراقي بعض تآليفه (صوارم المنون ، في قمع من نقص بالنسبة الشريفة الحاج محمد كنون) بناه على مقدمات ثلاث ومقصد ولواحق ثلاث ، المقدمة الأولى في بيان ما يجب على الأمراء من البحث عنه قبل تعميمه ، الثانية في بيان أن التحليات من العدول وغيرهم لا تحرز النسب بانفرادها ، الثالثة في أن بينة السماع لا تفيد الا الحائز ، ولا ينتزع بها من يد حائز ، المقصد في نقض ما زاده المشرفي المعرف للشيخ من النسبة الشريفة ، وتزييف الأقوال الضعيفة ، اللاحقة الأولى في موضوع النقابة ، الثانية فيما يجب على الأمراء من المحافظة على النسبة الشريفة ، الثالثة في التعريف بالدر المكنون ، الحاج محمد كنون ، وسرد علينا أيضاً بعض تآليفه المسمى (الشهب المحرقات ، أكبادَ مَن سوى بين شرف الآباء والأمهات) ألف هذا الكتاب عام ثلاثة وعشرين وثلاثمئة وألف ، وهو في نحو أربعة عشر كراساً ، كما سرد علينا في تلك الليلة الفقيه المفتي سيدي أحمد بن العباس تقييده في الشرف من قبل الأم ، وتأييد احترام صاحبه ، ونقل كلام البكري الصديقي في (عمدة أهل التحقيق) وكلام الامام الصبان في (اسعاف الراغبين) وغيرهما ، وهذا الفقيه سيدي أحمد توفي بعد ذلك رحمه الله في أواسط ذي الحجة الحرام عام 1337 بفاس ، وخلف خزانة حافلة من الكتب .

369) **التهامي بن عبد القادر ابن الحداد المراكشي** المكناسي النشاءة والاقبار ، استأدبه السلطان المولى الحسن لتأديب أولاده وإخوته ، فأخذ عنه المولى عبد الحفيظ والمولى المهدي ، وسكن مراكش مدة ، كان فقيهاً أستاذاً مجوداً عالما بقراءة السبع ، أخذ عن الأستاذ العربي والأستاذ الحاج فضول بن شمسي المكناسي ، ودرس بمسجد المواسين درب تزكارن ، وعين في دولة المولى عبد الحفيظ قاضي فاس الجديد ، وكان لا يباشر الأحكام ، وأناب عنه الفقيه السيد محمد بن عبد القادر ابن سودة ، وحج عام ثمانية وعشرين وثلاثمئة وألف ، ودخل مصر ، وشرح منظومة الياقوتة في الفقه في مجلدين ، وشرع في شرح على مولد شيخنا سيدى محمد بن جعفر الكتاني، وله تأليف فى الجهاد ، أخذ عن المفضل ابن عزوز والمفضل السوسي ، ومولاي عبد الله الكامل المراني ، والشيخ ماء العينين ، والفقيه الحاج محمد بن المدني كنون ، وسيدي محمد بن التهامي الوزاني ، وشيخنا سيدي محمد بن قاسم القادري ، وسمع من أبي جيدة الفاسي المسلسل بوضع اليد على الرأس عند قراءة آخر سورة الحشر ، وممن أخذ عنه السيد محمد السوسي ، وسيدي مشيش بن المختار الشبيهي .

توفي رحمه الله فى فاتح (1) شعبان عام ست وثلاثين وثلاثمئة وألف ، ودفن بضريح سيدي بوطيب (2) .

370) **تونارت ابن واجرم الهزميري** أبو ولجوط ، من أهل نفيس من عمل مراكش ، وبه مات فى حدود الثمانية وستمئة ، شيخه عبد الخالق ابن ياسين ، وكان أبو ولجوط في حداثته يغني في الأعراس ، ثم تاب إلى الله تعالى ، وكان يتكلم بالحكمة وهو مع ذلك أمي ، قال في (التشوف) وبت معه ليلة فى مراكش عند رجل من المريدين ، فقطع الليل كله بأنواع من الحكم والأمثال من غير تلعثم ولا تردد ، والفضل من الله يوتيه من يشاء ، وكان يتكلم على المصامدة فى الرباطات بمواعظ لا يهتدي إليها الخطيب المصقع :

---

1) الذى فى اتحاف أعلام الناس أن وفاته كانت يوم الاثنين آخر يوم من شعبان ؛ وهو الأصح .

2) له ترجمة أوسع فى **اتحاف اعلام الناس** 2 : 107 .

ما تقبلون لواعظ نصحـــــــــاً ... وهــو الطبيب وأنتم الجرحـــى
ياراقداً في ليل غفلتـــــــــه ... ضيعت رأس المال والربحـــا
ياخاسراً في بيع صفقتـــــــه ... والشيب قد أبدى له صبحـــا
إن أبعدوك فقف ببابهـــــــم ... متضرعاً واسألهم الصفحـــا

حدثني عمر بن يحيى رحمه الله قـال : حضرت ليلة بربـاط عقبة من بلد نفيس وهـو المعروف برباط سيدي شيكر ، فقام أبو ولجـوط وتكلم على المصامدة بلسانهم ، فوعظهم موعظة بليغة وزهدهم في الدنيا ، فكان من كلامه أن قال لهم : ياهاؤلاء ، إنما مثلكم مثل قوم نصبت لهم قنطرة يعبرون عليها فجاءوا إلى أعلا القنطرة فطلبوا الاقامة عليها في غير منزل ، وكذلك أنتم طلبتم الاقامة فى الدنيا وليست بدار قرار ، وإنما هي معبرة للآخرة ، والآخرة الموطن ، فلا ينبغي لكم أن تستوطنوا داراً لا قرار لها :

أرى أشقياء الناس لا يسأمونهـــا ... على أنهم فيها عراة وجُـــوَّع
أراها وإن كانت تحبُّ فانهـــا ... سحابة صيف عن قريب تقشَّــع

أخبرني الثقة عن مخبر أخبره قال : كنت مع أبي ولجوط بنفيس ، فسمعته يؤمن ولا أسمع الدعاء ، فلما فرغ من تأمينه سألته فقال لي إن الشيخ أبا يلبخت دعا بجبل دمنات فسمعت دعاءه فأمنت عليه رحمهم الله تعالى (1) .

حـرف الجيـم

371) **جابر المغربي** الولي الصالح الشهير دفين الخميس من مراكش، له قبة حافلة ومسجد ومرافق يرتفق بها فيه تدل على أنه كان للناس فيه اعتقاد تام ، واحتفال واهتمام ، وقد تلاشى الجميع فسبحان الباقي الدائم ، وأهل مراكش كانوا يزورونه كثيراً ويبيتون فيه بقصد الحفظ والبراعة في الانشاء والانشاد والقراءة ، وعليه دربوز ، وله مغارة ينزل إليها بدرجات يظهر أنها كانت محل معبده ، ولله في خلقه عجائب ، وأظنه هو تلميذ محمد بن محمد

1) **التشوف** ص 412 ع 223 .

القللوشي الآتي الترجمة الذي أجازه وحلاه بقوله : صاحبنا الفقيه النبيه الزكي المجتهد النحوي العروضي جابر ابن الشيخ الأجل المبرور المقدس المرحوم علي بن جابر الأنصاري ، وكتب له الاجازة بعد أن نسخ له قصيدته في نكت القوافي ، وبآخر الكتاب المفضوض عن خلاصة علم العروض ، ونقل منْ خطه جابر بن علي بن جابر الأنصاري بمدينة مراكش .

وقال المراكشي فى (إثمد العينين) وحدثني مَن أثق به قال حدثني الشيخ الفاضل المبارك جابر الشهير بابن درهم قال أردت الحج قلت لا أنصرف إلى الحج حتى استأذن فى ذلك سيدى أبا زيد ، وكان إذ ذاك بتلمسان ، وشددت وسطي حتى وصلته فاستأذنته فى ذلك فاذن لي ، وقال إذا أصابتك شدة فناد باسمي فودعته وانصرفت إلى الحج فحججت ثـم رجعت إلى أن بلـغت الاسكندرية ونحن قد استقبلنا المغرب ، فصعدنا فى سفينة فانكسرت بنا فغرق الناس فناديت ياسيدى أبا زيد خاطرك معي ، فأغاثنى الله عز وجل بصندوق من خشب قد انكسر وبقيت بجوانبه فتعلقت به وإذا بأبي عبد الله البقوري قد تمسك أيضاً بالجانب الآخر ، فلما رآنى أخذ يشجعنى ويقول لى كن رجلا ويقول لي أما سمعت قول الله تعالى (وأذنْ في الناس بالحج ياتوك رجالا) ، فما زلنا متشبثين بذلك الصندوق حتى خرجنا إلى الساحل ، فما كان من أبى عبد الله إلا أن قام وانصرف ، وأما أنا فرفعت رأسى إلى مسجد هنالك ثم أغمى علي فما أفقت الا فى دار شيخ بين أهله وأولاده وقرابته قد داروا بى جميعهم ، ورأيت منهم من الحنانة والشفقة ما يقصر عنه الوصف كأننى ربيتُ معهم ، وذلك ببركته رحمة الله عليه :

إذا زرت أرضاً زارها منك وابـل   فديتك لا ينفك منك مكـــــان
فأنت غياث للأنـــام ورحمـــــة   وحـرزهـمُ من دهرهـم وأمـــان

وممن يسمى بجابر المغربى جابر بن حيان مؤلف الارشاد والتعبير .

372) **جابر بن مخلوف الرياحي ثم الطليقي** وقد تصحف فى مطبعة المرآة بصابر ، الشيخ أبو جبر ، قال فى (الصفوة) من أهل الولاية والبركات،

وكان كثير الطعام ، وشوهدت من طعامه بركة عظيمة ، قال سيدى العربي الفاسي حدثنى غير واحد من رعاة غنمه أنهم ربما ذبحوا الشاة وفى الغد يجدونها فى الغنم يعرفونها ولا يشكّون فيها ، وكان قد صحب الشيخ يوسف الفاسي وانتسب إليه ، فكان يأمره بالبذل والمبالغة فى إطعام الطعام والضيفان. وكان مسكنه من شعر فزاد فى طوله حتى بلغ خمسمئة وأربعين ذراعاً فاتسعت حالته ، وكان صاحب الترجمة صحب أولاد سيدى محمد بن علي المختار من أصحاب ابن عيسى فكان يشير له بصحبة سيدى يوسف وهو لا يفهم إلى أن أمره بصحبته صراحة وسلب له الارادة (1) .

ومن كراماته ما ذكره فى (مرءاة المحاسن) قال قدمنا فى ركب لزيارة سيدى أبى سلهام فنزلنا على صاحب الترجمة إذ كانت منازله قريبة من سيدى أبى سلهام ، فوصلناه بعد جهد جهيد من ترادف الأمطار ، فقال لابدَّ أن تقيموا عندي ثلاثةَ أيام ، فقلنا له نخاف المطر ، فقال ضمِنتُ لكم رفعَ المطر حتى تصلوا الى فاس ، فأقمنا عنده حتى قدمنا وعرضت لنا إقامات أخرى فى الطريق ، فلما بلغنا فاس غيمت السماء من يومها وأمطرت من حينها .

توفي فى حدود ثلاثة وألف .

وترجمه فى المرآة وأزاهير البستان والنشر وطبقات الحضيكي ، ودخل مراكش مع شيخه سيدى يوسف الفاسي (2) .

373) **جلداسن بن إسحاق الركوني** صحب عبد الخالق بن ياسين ، وكان من الأفراد ، توفي ببلده برباط أوجدام من بلد ركونة عـام سبعين وخمسمئة .

قال فى (التشوف) سمعت أبا ابراهيم بن عبد العزيز يقول كان جلداسن أقطع اليدين من الكعبين ، وسبب ذلك أنه صعد وهو صغير على

---

1) **صفوة من انتشر** ص 41 .

2) **مرآة المحاسن** ص 221 **وطبقات الحضيكى** 1 : 175 .

شجرة تين فسقط منها على كفيه فانكسرت يداه فاعتلتا حتى سقطتا ، وكان مع ذلك يكتب فى خلوة ولا يدرى كيف يكتب .

وحدثنى أبى رحمة الله وغير واحد أنه كان يدخل فى الحائط ويخلو بنفسه ، فيسمع صوت الحفر والخدمة ، وكان يخدم حائطه بنفسه ولا يخدمه له أحد ، وحدثوا عنه أنه وجد مرة عند بئر وعلى وجهه أثر الماء من الوضوء ولا دلو عنده ولا آنية ، ويوثر عنه من الكرامات عجائب ، والفضل بيد الله يوتيه من يشاء (1) .

وسيأتى فى ترجمة شيخه عبد الخالق بن ياسين حكاية حلوله بمراكش .

374) **جعفر بن محمد ابن عطية القضاعي** من أهل طرطوشة ، وقيل من قطر دانية ، يكنى أبا أحمد ، كان من أهل الحفظ للحديث والمعرفة بالتوثيق ، وسكن مراكش فحظي عند علي بن يوسف بن تاشفين ، وولد له بها أولاد ، ولما انتقل الأمر للموحدين دخل فى طاعتهم على ما ذكره بعضهم ، ثم صلب وقتل بفاس عند محاصرة عبد المومن لها سنة أربعين وخمسمئة .

ذكره في الجذوة والسلوة (2) .

375) **جؤذر** : القائد أحد قواد أحمد (المنصور) السعدي من مماليكه الأعلاج ، وهو الذى استفتح بلاد السودان سنة تسع وتسعين وتسعمئة ، قال في (درة الحجال) ولقيت مولانا يعنى أحمد المنصور بقصيدة في هذا الفتح المذكور وتولى قراءتها بين يديه الفقيه الأستاذ أحمد بن علي الزموري :

خبرٌ من المسك المفتق أعطر ... عن غرة النصر المبارك يُسفر
يأيها المنصور أبشرْ بالمنى ... النصر حقاً من لوائك ينشر

---

1) **التشوف** ص 210 ع 80 .

2) **جذوة الاقتباس** ص 175 ع 133 **وسلوة الأنفاس** ص : 258 .

عقدت يمين النصر عنكم سنجقاً (1) فبذاك أهل الأرض طراً تقهـــر
فلذا كذا فتح البلاد إذا سعـــت همم الملوك إلى المـآثر يذكـــر
خيل رمت نحو الجنوب خيامهـــا فارتج مصرٌ والعــراق وتــــوزر
قطعت رؤوس المعتدين سيوفهـم من مات منهم فى الحواصل يُقبَـر
قادوا من الأبطال كل غصنفـــر أسد هصور في الكريهــة أكثــر
ملئت بهم عين الزمان وقلبــــه واسودَّ وجهُ الكفر فهو الأغبــر
أما الجنوب فان جندك لم يـــدع شخصاً بها ينوى الشقاق فيعـذر
أجليتهم منها وجسمك ثاويـــــاً مراكشاً هذا لعمــرك أكبـــــر
تركوا لك الأوطان دون منـــازع تالله إن التّرك مـوت أحمـــــر
لا زلت بالسيف المهند بانيـــاً شرفاً به نحن الموالي نفخــر (2)

وهناه وزير القلم عبد العزيز بن محمد الفشتالي (3) بقصيدة مطلعها :

هنيئاً لسلطان المغـارب قد أتـى بشير توالت بالســرور بشائــره

وجؤذر هذا ذو حزم وعزم وقوة على الحرب ، كان حياً سنة 999 تسع وتسعين وتسعمئة .

ترجمه فى درة الحجال ، وكان ذلك الفتح فى إحدى الجمادين منها ، فتح منه تنبكتو وكاغو وجنا وما والى ذلك ينيف على مسيرة أربعة أشهر من المعمور ، ذكره فى درة الحجال فى ترجمة سعيد بن عبد الله السملالي قاضى بعض جهات السوس .

376) **الجيلالى الروكي السفياني** ، كان من عرب سفيان رجلا خامل الذكر ساقط القدر ، حرفته رعْيُ البهائم ونحو ذلك من عمل أهل البادية ،

1) السنجق باللغة التركية هو اللواء .

2) **درة الحجال** 1 : 233 ع 348 .

3) القصيدة نسبها ابن القاضى فى درة الحجال لمحمد التورغى لا لعبد العزيز الفشتالى الذى له قصيدة قافية شهيرة فى موضوع فتح جؤذر للسودان .

فوكل به جني أو شيطان ففاه بالمخارق وتبعته العامة فثار ببلاد كُرْت
وتقدم إلى دار القايد عبد الكريم بن عبد السلام ابن عودة الحارثي السفياني
فى أخلاط من الأوباش بالعصى والمقالع ، فحاصر القائد المذكور فى داره من
الظهر إلى الغروب ، ثم اقتحم العامة عليه داره فقتلوه وقتلوا جماعة من إخوته
وبنى عمه ونهبوا ما وجدوا بداره وكان شيئاً كثيراً من المال والأثاث ،
وبقي أولئك القتلى مصرعين بفناء الدار ثلاثة أيام لم يدفنوا ، وافتتنت العامة
بهذا الروكي ونسبوا له الخوارق والكرامات من غير استناد إلى دليل ، ووعدهم
بأنه يستولى على الملك ويحكم المتمسكين بدعوته في الأحوال كيف شاء ،
وضاعت نفوس في تلك الفتنة ، ونهبت أموال ، واختلط المرعي بالهمل ،
وكنت حاضراً لهذا الخطب العظيم / فكان من افتتان العامة بهذا المعتوه
واعتقادهم فيه وجهلهم المركب في أمره ما لا يكاد يصدق به إذا حكي ، وكان
السلطان سيدي محمد رحمه الله يومئذ برباط الفتح ، فاهتزَّ لهذا الخطب ،
لأن الشيطان كان قد نفخ في أباطيل الروكي ، وشاعت في العالم حتى اهتزَّ
لها النصارى الذين كانوا بتطاون وحدثوا أنفسهم بالفرار ، ثم إن السلطان
رحمه الله أغزاه أخاه المولى الرشيد ، فلما سمع الروكي بمجيئه وعد أوباشه
بأنه سينتصر عليه وأن خيل السلطان تكون غنيمة له ، وقال لهم اتخذوا
الشكائم أي الأرسان من الدوم وأعدوها لتأخذوا بها خيل السلطان ، فاتخذ
جمع عظيم من العامة الحبال والأرسان ، وتوشحوا بها تحت الثياب وجعلوا
يتبعون الروكي أينما ذهب انتظاراً لوعده ، ولما قرب المولى الرشيد منه
أخذ أمره في النقصان وناموسه في البطلان ، ولما كان المولى الرشيد قرب
سوق الأربعاء من بلاد سفيان ، جعل الشكامة (1) يقربون من المحلة
ويتطوفون حولها مختفين بالأودية والشعاب والكدي ، ينتظرون هزيمتها
بخارق من خوارق دجالهم ، فأعلم المولى الرشيد بمكانهم ، فبعث الخيل
فالتقطوهم في ساعة واحدة ولم يفلت منهم إلا القليل ، وسيقوا الى رباط

1) الشكام صانع الشكيمة أو ماسكها ؛ والمفهوم من العبارة أنهم الأوباش الذين طلب منهم الفتان المذكور أن يعدوا الشكائم والأرسان لخيل السلطان التى يغنمونها بعد انهزام محلته . والشكام فى العامية المغربية هو الجاسوس .

الفتح فسجنوا به مدة ، وأما الروكي فانه قصد جبل زرهون ، ودخل روضة المولى إدريس الأكبر رضي الله عنه ، فاجتمع عليه جماعة من الأشراف الأدارسة والعلويين وغلقوا القبة وتقدم إليه شريف علوي ، ففتك به وأراح الناس من شره واحتزوا رأسه ويده وحملوهما الى السلطان ، فبعث بهما إلى مراكش ، فعلقا بجامع الفناء مدة ، وكان جهلة العوام لا يصدقون بموته ، وبقوا ينتظرون رجعته سنتين أو ثلاثاً ، (ومن يُضلل الله فما له من هاد) ، وكان مقتل الروكي في أواسط شعبان سنة ثمان وسبعين ومئتين وألف ولم تجاوز مدته أربعين يوماً .

وكان مما كتبه السلطان في شأنه ما نصه : وبعد ، فان فتاناً من سفيان مرق من الدين ، وفتن بأمور شيطانية مَن اغترَّ به من المسلمين ، وجمع عليه أوباشاً من أمثاله ، وأضرابه وأشكاله ، وتقدم بهم لدار خديمنا ابن عودة فقتلوه ، ثم تقدم بهم للشراردة فقاتلوه ، ثم تقدم بهم لزاوية مولانا ادريس فقاتله أهلها قتالا يرضى الله ورسوله ، ولم يحصل لهم من قتاله ضجر ، ثم قبضوا عليه وقتلوه وعلقوا رأسه بباب الزاوية المسمى بباب الحجر ، وأغلقوا الأبواب بعد ذلك على مَن دخل معه من أتباعه ، وأنصاره وأشياعه ، فقبضوا عليهم وجعلوهم في السلاسل والأغلال ، ونحن على نية اقامة الحد عليهم ان شاء الله جزاء وفاقاً على ما ارتكبوه من الفساد وقبيح الأعمال ، ومَن كان منهم حينئذ خارجاً عن الباب تخطفته الأيدي ، وجنوا ثمار ما سعوا فيه من البغي والتعدى ، وقطع دابر جميعهم ، فالحمد لله حق حمده ، وما كلُّ نعمة الا من عنده ، وأعلمناكم لتكونوا على بصيرة ، اذ ربما يبلغ المرجفون على عادتهم النازلة على غير وجهها والسلام .

في ثامن عشر شعبان المعظم عام ثمانية وسبعين ومئتين وألف .

انتهى من الاستقصاء (1) .

1) الاستقصا 9 : 108 طبع الدار البيضاء .

حـرف الـحـاء

377) حازم بن محمد الأنصاري القرطاجني

حازم بن محمد بن حسن بن محمد بن خلف بن حـازم الأنصاري القرطاجني ، قال فى (بغية الوعاة) ما نصه بعد ذكره القرطبي النحوي : أبو الحسن هنيء الدين شيخ البلاغة والآداب ، قال أبو حيان : كان أوحد زمانه فى النظم والنثر والنحو واللغة والعروض وعلم البيان ، روى عن جماعة يقاربون ألفاً، وروى عنه أبو حيان وابن رشيد، وذكره فى رحلته فقال : حَبر البلغاء، وبحر الأدباء ، ذو اختراعات فائقة ، واختيارات رائقة ، لا نعلم أحداً ممن لقيناه جمع من علم اللسان ما جمع ، ولا أحكم من معاقد علم البيان ما أحكم من منقول ومبتدع ، وأما البلاغة فهو بحرها العذب ، والمتفرد بحمل رايتها أميراً فى الشرق والغرب ، وأما حفظ لغات العرب وأشعارها وأخبارها فهو حماد روايتها وحمال أوقارها ، يجمع إلى ذلك جودة التصنيف وبراعة الخط ، ويضرب بسهم فى العقليات ، والدراية أغلبُ عليه من الرواية .

صنف سراج البلغاء فى البلاغة ، وكتاباً فى القوافى ، وقصيدة فى النحو على روي الميم ، ذكر منها ابن هشام فى (المغني) أبياتاً فى المسألة الزنبورية ، وقد ذكرناها فى الطبقات الكبرى مع أبيات أُخَر .

مولده سنة ثمان وستمئة ، ومات ليلة السبت الرابع والعشرين من رمضان سنة أربع وثمانين وستمئة .

ومن شعره :

من قال حسبى في الورى بشــــر فحسبي الله حسبي اللــــــــه
كم آيــــة للالاه شاهــــــــــدة بأنــــه لا إلاهَ إلا هــــــــو

وقال من الجزء الأول من (نفح الطيب) وكان جماعة من أعلام الأندلس رحلوا منها فلما وصلوا إلى العدوة أقاموا بها ولم يذهبوا إلى البلاد المشرقية ، منهم الشيخ النحوي الناظم الناثر أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجني ،

ثم قال له رحمه الله عدة تآليف ، وولد سنة 608 وتوفي ليلة السبت 24 رمضان سنة أربع وثمانين وستمئة بتونس ، وممن أخذ عنه الحافظ ابن رشيد الفهري وذكره في رحلته وأثنى عليه كما أثنى عليه العبدري في رحلته فقال حازم ، وما أدراك ما حازم ، وقد عرفنا به في (أزهار الرياض) بما يغني عن الاعادة ، وكان هو والحافظ محمد ابن الأبار فرسيْ رهان ، غير أن ابن الأبار كان أكثر منه رواية .

وقال في الجزء الثاني منه : ولما ألف ابن عصفور كتابة (المقرب) في النحو انتقده جماعة من أهل قطره الأندلسيين وغيرهم ، منهم ابن الصائغ وابن هشام الجزيري ، وله عليه (المنهج المقرب ، في الرد على المقرب) وفيه تخليط كثير وتعسف :

وفي حسد من يحسد الشمس نورها ويأمل أن يأتي لها بضريـــــب

. ومنهم ابن الحاج ، وأبو الحسن حازم القرطاجنى الخزرجي وسماه (الزيار ، على جحفلة الحمار) وابن مومن القيسي وبهاء الدين ابن النحاس .

ومن شعر حازم الأندلسي :

لم تدر إذ سألتك ما أسلاكهـــا أبكت أسى أم قطعت أسلاكها (1)

وعارضه التجاني بقوله :

ياساحر الألحاظ يافتاكهـــا فُتيا جواز الصدّ مَن أفتاكَهـا ؟

انتهى المقصود .

وقد وقفت على معارضة أبي الحسن ابن فرحون لتصدير حازم لقصيدة امرىء القيس (2) حيث أنه لم يعن بترتيب أبياتها وسقط من أبياته ستة أبيات ثابتة عند المشارقة في جميع الروايات ، ونصها :

---

1) تنظر القصيدة كاملة في **قصائد ومقطعات صنعة حازم القرطاجنى** ص 176 ع 38 .

2) كان من واجب المؤلف أن يثبت القصيدة التى صدر بها حازم معلقة امرىء القيس ؛

خليلي إن وافيتما خير مرسـل (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)
ولا تبكيا ظلماً ولا منزلا عفـا (بسقط اللوى بين الدخول فحومل)
فطيبة أولى أن تحنا لربعهـا (لما نسجتها من جنوب وشمـأل)
فحب قلوب العالمين بربعهـا (وقيعانها كأنه حب فلفـل)
وقفت بها أبكي ذنوبي كأنهـا (لذى سمرات الحي نافق حنظل)
وزم أصيحابي الركاب بمـا رأوا (يقولون لا تهلك أسى وتجمـل)
ولا تغش رسماً غير رسم محـرم (فهل عند رسم دارس من معول)
فقلت لهم حسبي بطيبة منـزلا (وجارتها أم الرباب بمـأسـل)
فمكة قد فاقت بطيب نسيمهـا (نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل)
على بعدها أيضاً دموعي قد جـرت (على النحر حتى بلّ دمعيَّ محملي)
ألا حبذا وقت بمكة قد مضـى (ولاسيما يوم بدارة جلجـل)
رحلنا إليها العيس تحمل شوقنـا (فياعجباً من رحلها المتحمـل)
وقد عذلتني النفس أن جد شوقها (فقلت لك الويلات إنك من جلي)
ولو غير هذا القصد عنّ لردنـي (عقرت بعيري ياامرأ القيس فانزل)
ولكن جوابي أن أقول لها ارحمـي (ولا تبعديني من فناك المعلـل)
بثثتُ لها شوقي وصدق تلهفـي (فألهيتها عن ذي تمائم مغيلـي)
ولما رأتني قد شغفت تحولـت (بشق وشق عندها لم يحـول)
على أنها أبدت ملامي وأعتـدت (عليَّ وآلت حلفة لـم تحلـل)
فناديتها لما دهاني دلالهـا (أفاطم مهلا بعض هذا التدلـل)
فقلت لها خليّ الملامَ وأقصري (وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي)
ويانفس إني بالمدينة قاطـن" (فسلّي ثيابي من ثيابك تنسل)

لا معارضة ابن فرحون له ؛ لكن المؤلف سامحه الله أغفل قصيدة من يترجم له ؛ وأثبت قصيدة من لم يترجم له .

تنظر قصيدة حازم ومطلعها :

لعينيك قل ان زرت افضل مرسـل (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)

في **ازهار الرياض** 3 : 178 **ونفح الطيب** 5 : 520 **وقصائد ومقطعات صنعة حازم القرطاجني** ص 179 ع 39 .

وقصيدة حازم احلا وأبلغ من قصيدة ابن فرحون .

ولا تحسبي أني ببيْنِكِ باخـــل (وأنكِ مهما تأمري القلب يفعل)
قليتك فاستبقي وإن شئت فاضربى (بسهميكِ فى أعشار قلب مقتل)
تعرض لي منهم أمـور عظـائــم (تعرض أثناء الوشاحِ المفصل)
يعز عليهم أن نضوت ملابســـي . (لدى الستر إلا لبسة المتفضل)
أيا عاذلي دعني فلست كهيأتـــي (وما أن أرى عنك الغواية تنجلي)
فكم قد جررنا نحو طيبةَ في الفلا (على إثرنا أذيالَ مرط مرجـل)
وكم فدفد جبنا إليها وكم نبـــا (بنا بطن حقف ذى ركام عقنقل)
وكم غادة رامت سلوي وأشرفــت (علي هضيم الكشح ريا المخلخل)
مهاة تغير البدر منها محاســـنٌ (ترائبُها مصقولة كالسجنجل)
وتبدي محيا يخجل الشمس قد سطا (بناظرة من وحش وجرة مطفل)
فليس فؤادي من هواها بسالـــم (إذا هي نصته ولا بمعطـــــل)
وزينت بقد ثم جيــد وفــاحـــم (أثيث كقنو النخلــة المتعثكل)
ضللت بها دهراً عن الرشد مثلما (تضل العقاص فى مثنى ومرسل)
وغودرت مفتوناً بخصر كرقتـــي (وساق كأنبوب السقي المزلل)
إلى أن هدى نفسي الالهُ وكم غدت (نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل)
وما هي قد أضحت تشابهُها ضنى (أساريع ظبي أو مساويء أسحل)
تسوق إلى أرض تضيء كأنهـــا (منارة ممسى راهب متبتـــل)
وقد هجرت فى حبها كـل طفلـة (إذا ما اسبكرَّت بين درع ومجول)
منازل وحي الله أولى بصبوتـــي (غذاها نمير الماء غير محلـــل)
صبوتُ إليها لا أتوق لغيرهـــا (وليس فؤادي عن هواها بمنسل)
فيا مَن نأى عنها أطعْ قول عاذل (نصيح على تعذاله غير مؤتلـي)
فكم كربة للدهر ذادت وقد عـدا (علي بأنواع الهمـوم ليبتلـــي)
وأضحت ملاذاً لي وقد جر حـده (وأردف أعجازاً ونـاء بكلكـل)
فبادر وقل للعزم إن كنت حـازماً (ألا أيها الليل الطويل ألا انجل)
إليها رسول الله هاجر فاستتــر (بصبح وما الاصباح منك بأمثل)
محبته بالقلب نيطتْ كأنمـــا (بكل مُغار الفتل شدت بيذبل)
عقلت فؤادي عن هوى غير أحمـد (بأمراس كتان إلى صم جنـدل)

تحملت فيه كل ضيم وشـــدة (على كاهل مني ذلول مرحـــل)
ويارب سبروت إليك قطعتـــه (به الذئب يعوي كالخليع المعيل)
أقول لخدنى سر وإلا فكلنـــا (قليل الغنى إن كنت لما تمول)
إذا لم تواف ِ المصطفى لم تنل غنى (ومن يحترث حرثي وحرثك يهزل)
رسول دها بالرعب مَن راح واثقاً (بمنجرد قيد الأوابد هيكـــل)
وتزهق من خوف قلوبُ عـــدوه (كجلمود صخر حطّه السيلُ من عل)
إذا برز الليث استزلّ فـــؤاده (كما زلت الصفواءُ بالمتنـــزل)
يقود من الأملاك جيشاً كأنـــه إذا جاش فيه حميه غليُ مرجـــل)
على سابحات لا تكلُّ ولم يعـــل (أثرن غباراً بالكديد المركـــل)
أقلهم يبتزُّ مَن شاء نفســـه (ويلوي بأثواب العنيف المثقل)
وقد أشمت الأعداء عدتهم فتـــى (يقلب كفيه بخيط موصـــل)
إذا أدبروا شدوا كشد نعامـــة (وإرخاء سرحان وتقريب تنفل)
وقد تركوا خوف الهلاك نفوسهم (بضاف فويق الأرض ليس بأعزل)
وناسبهم حسناً وخبث سرائـــر (فداك عروس أو صلاية حنظل)
دماؤهم أضحت تسيل كأنهـــا (عصارة حناء بشب مرجـــل)
أيسطو بحزب الله قوم كأنهـــم (عذارى دوانٍ فى الملاء المذيل)
وقائده خير الورى والذى سمـــا (بجيد معم فى العشيرة مخول)
نبي له دانت نفوس أبيـــة (جواهرها فى صرة لم تزيـــل)
فكم من عدو قد سقاه بسيفـــه (دراكاً ولم ينضح بماء فيغسل)
كريم السجايا كم أجاد لضيفـــه (صفيف شواء أو قدير معجـــل)
وقد زانه خلقٌ كريم وخلقـــه (متى ما ترق العين فيه تسهل)
نظمت مديح المصطفى وتلوتـــه (وبات بعيني قائماً غير مرسل)
حكى الشمس نوراً لا كبرق وميضه (كلمع اليدين في حبي مكلـــل)
هداه مضيء لا كمصباح راهـــب (أهان السليط بالذبال المفتـــل)
فقد عم أهل الأرض ما بين مغـــرب (وبين العذيب بعدما متأمـــل)
وأيمنه فى الشرق قد ذاع ســـره (وأيسره على الستار فيذبـــل)
فكم ملك أضحى مطيعاً لأمـــره (يكبُّ على الأذقان دوح الكنهبل)

وكم طود ملك قد تأبّى بجهلـــه (فأنزل منه العصم من كل منزل)
ولم يبق للأعداء حصناً يقيهـــم (ولا أطماً إلا مشيداً بجنـــدل)
فذو الفقر بالاسلام أضحى مملكاً (كبير أناس في بجاء مزمـــل)
وصار غدير الكفر تعلوه قيمـــة (من السيل والغثاء فلكة مغـزل)
نزلت على خير الخلائق كلهـــم (نزول اليماني بالعياب المحمل)
وأطرب أعضائي المديحُ كأنمـــا (صبحت سلافاً من رحيق معلفل)
كأن فؤاداً عاينهم بطيبـــــة (بأرجائه القصوى أنانيش عنصل)
فصلى إلاهُ الخلق بدأ وعـــودة (على من ثوى فيها وحسبى به ولي)

وأورد في (أزهار الرياض) في ترجمة المترجم أن وجيه الدين منصوراً كتب اليه رحمه الله بقوله إني أجزت لحازم بن محمد ، صدر الأفاضل والامام السيد ، مجموع ما رويته فرويته عن ألف شيخ من رواة المسند ، في مصرها مع شامها وعراقها وحجازها من متهم أو منجد ، وجميع ما صنفته وجمعته في علم فقه الشافعي محمد ، فليرو عني ما رويت رواية مشروطة بتوثق وتشدد ، ولين في روض العلوم منعماً بسعادة وسيادة وتأيد ، ثم قال بعد سياق كلام السيوطي ولنوردْ نحن ما أمكننا حيث لم يوف السيوطي بحقه في الطبقات الصغرى لأنها مبنية على الاختصار ، ولم نقف على الطبقات الكبرى التى أحال عليها فنقول : قال بعض المؤرخين هو حازم بن مُحمد بن الحسن بن حازم الأنصارى فجعل والد الحسن حازماً وجعله السيوطي محمداً ، فلا ندرى هل هذا من النسبة الى الجد ؟ فيرجع مـع ما عند السيوطي الى وفاق أم همـا مختلفان ؟ القرطاجني منسوب الى قرطاجنة من سواحل كورة تدمير مـن شرقي الأندلس ، وهو خاتمة شعراء الأندلس الفحول مع تقدمه في معرفـة لسان العرب وأخبارها ، ونزل افريقية بعد خروجه من بلده ، فصار له بهـا صيت وعمر الى أن مات بتونس حضرة ملوكها ليلة السبت الرابع والعشرين من رمضان من سنة أربع وثمانين وستمئة ، وفى بعض المجاميع الأدبية من تأليف ابن المرابط نزيل تونس ، أنه كان بحضرة مراكش أيام الرشيد ، قلت : وله فى الرشيد أمداح كثيرة أنشدها في (الاشادة) ، ومدح الأمير أبا زكرياء صاحب افريقية وولده أبا عبد الله المنتصر ، وله المقصورة الشهيرة

وقصر محاسنها على مدحه ، ومدح أخاه أبا يحيى ، ومن بديع نظمه رحمه الله قصيدة جيمية غريبة المنزع ، لها صيت عظيم عند الحذاق من الفضلاء ، عارض بها في المعنى رائية ابن عمار الوزير للمعتمد بن عباد وفضل غير واحد هذه الجيميةَ الحازميةَ على تلك الرائية العمّارية وهي :

أدرِ المدامةَ فالنسيمُ مـؤرج   والروض مرقوم البرود مدبج (1)

ثم أوردها ، ثم قال ومن قوله من قصيدة :

فتقَ النسيم لطائم الظلمـاء   عن مسكة قطرت مـع الأنـداء (2)

وقال سامحه الله من قصيدة في المنتصر :

أمن بارق أورى بجنح الدجا سِقطا   تذكرت مَن حلَّ الأبارق فالسقطا (3)

وله مطلع من قصيدة :

سلطان جيش عليه للصبا علـم   إذا رأته جيوش الصبر تنهـزم

وقال رحمه الله يصف الوردة البيضاء :

ومبيضّة الأثواب تدعى بـوردة   تقلُ لها الأشباهُ عند التماسها (4)

ومن بديع نظمه رحمه الله تضمينه قصيدة امرئ القيس وصـرف معناها الى مدح المصطفى (ص) وهي من أعز القصائد :

لعينك قل ان زرت أفضل مرشـد   (قفنا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)

وقد أوردها كلها في (النفح) أيضاً ، ثم قال رحمه الله في مثل هذا

---

1) تنظر القصيدة فى قصائد ومقطعات صنعة حازم القرطاجنى ص 105 ع 10 .

2) تنظر القطعة فى الكتاب السابق ص 75 ع 2 .

3) تنظر القصيدة فى الكتاب السابق ص 154 ع 28 .

4) تنظر بقية القطعة فى الكتاب السابق ص 145 ع 26 .

الغرض مؤدياً من مدح رسول الله (ص) بعض المفترض ، مضمناً قصيدة أخرى لا مرىء القيس :

أقول لعزمي أو لصالح أعمالـــي (ألا عِمْ صباحاً أيها الطللُ البالي)

ثم أوردها كلها ، وقال عقبها قلت هكذا وجدت بخط بعض أعـلام مراكش نسبة هذه القصيدة لحازم المذكور ، واعتمدت على هذه النسبة ، ثم بان لي خطؤها ، وأما هذه القصيدة فهي من نظم الفقيه العلامة أبى بكر ابن جزي الكلبي الغرناطي حسبما نصَّ على ذلك غير واحد ، وهو ولد أبي القاسم ابن جزي صاحب التفسير المؤلف له الأنوار السنية ، وذكر العبدري في رحلته أنه قرأ على أوحد البلغاء علي بن ابراهيم التجاني التونسي قصيدة حـازم الأندلسي القرطاجني التى أولها :

لعينيك قلْ إن زرت أفضلَ مرسل (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)

قال أجاد فيها وأبدع ماشاء ، ورام منه المرام الصعب فطاوع الانشاء ، وهي مما ينبغي أن يقيد ولا يهمل ، فلذلك رأيت اثباتها وحدثه بها عن منشئها المذكور ، واقتصر الشريف الغرناطي في شرح المقصورة على نسبة تضمين المترجم جميع قصيدة امرىء القيس قفنا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ، راجع ص 101 من الجزء الأول منه ، وقال في تاريخ الدولتين : وفي السادس والعشرين لذى الحجة من السنة المذكورة يعنى سنة 684 توفي حازم القرطاجني شاعر الحضرة ، وذكر وفاة الغرناطي الشريف المذكور في 14 ذى الحجة سنة 692 ، انتهـى .

وقال في (كشف الظنون) :

منهاج البلغاء في علم البلاغة والبيان لحازم بن محمد القرطاجنـي المتوفي سنة ، قلت وقع في نسختي الطبقات السيوطية انسراج البلغاء والعلم عند الله .

وما تقدم عن (أزهار الرياض) فى قرطاجنة نحوه فى حاشية الشمس على المغني ، قال القرطاجني بفتح القاف وراء ساكنة وطاء مهملة فألف فجيم مفتوحة فنون فياء نسبة من قرطاجنة الأندلس لا من قرطاجنة تونس ، انتهى .

نقل ترجمته في الشذرات ، وراجع ص 38 من ج 6 من طبَقات ابن السبكي ، وممن نقل عن كتابه في البلاغة والبيان الشريشي فى ص 317 ج 1 من شرحه للمقامات عند ذكر التجنيس .

378) الحبيب بن عبد الهادي العلوي

الحبيب بن عبد الهادي ابن هشام بن قاسم بن أبي بكر بن عبد الله بن محمد السعيد بن محمد بن يوسف بن مولاي علي الشريف العلوي الفقيه العلامة ، كان من العلماء العاملين ، والأخيار الكاملين ، تولي الخلافة بفاس والخطابة بمسجد القرويين ، صاهره أمير المومنين مولانا سليمان ببنته السيدة أسماء ، ثم رجع لفيلالة ، وتوفي بمراكش سنة 1257 سبع وخمسين ومئتين وألف ، وهو ابن ست وثمانين سنة ، ودفن بضريح مولاي علي الشريف .

ترجمه في الاشراف ، والدرر البهية ، وذكره الزياني في الفهرسة في تلامذة مولانا سليمان قائلا والعالم الشريف مولانا الحبيب ، أخذ من علومه كل نصيب ، والمترجم هو جد مولانا ادريس بن الطيب بن حمادي بن الحبيب المترجم ، وقد وقفت على رسم تضمن أن ولده سيدي حمادي تعاوض مع مولانا عبد الرحمان بالقصبة المخلفة عن المترجم بعرصتها بوادي يفلي قرب بلدة صوصو وأخنوس التي ورثها من زوجه السيدة أسماء المذكورة ، وحاز ثلاثة ديار فى زاوية سيدي أبي العباس وعرصة بباب تاغزوت بمراكش ، غير أن الشهادة المذكورة فيها اجمال في المشهود به وفى مستنده ، فليس فيها الشهادة بالملك ولا بشروطه ولا مستند التعاوض ، هل بالاقرار أم بالسماع الفاشي المنزل منزلة القطع ولا بيان الديار ولا معرفة المشهود لهم وعليهم .

379) **الحبيب بن علي بن عبد الواحد العلوي** ، من ذرية مولاي أحمد بن علي بن طاهر ، دخل مراكش ، وكان عالماً كبيراً ، وصلى هناك اماماً صلاة الاستسقاء ، وبها توفي ، وولده الصالح سيدي أحمد قرأ على مولاي محمد القاضي وطبقته ، وكان جواداً تولى نيابة القضاء بمدغرة ، دخل مراكش لأخذ ميراث أبيه ومنها توجه لقراءة العلم ، توفي أواسط العشرة الأولى من هذا القرن عن أربعين سنة .

380) **الحبيب بن التهامي بن حمدون ابن كيران الفاسي** أصلا المراكشي مولداً ووطناً ووفاة ، قدم جده حمدون من فاس لمراكش عام الثلاثين ومئتين بعد الألف ، فاتخذها دار قراره ، ومات ولده التهامي في جمادى الثانية عام واحد وثمانين .

ولد المترجم عام ستين ومئتين وألف ، وأخذ النحو عن مولاي أحمد بوغربال ، قرأ عليه الألفية بموضح ابن هشام قراءة تحقيق خمسة وعشرين بيتاً فى الدرس ، وعن سيدي عبد الله ابن وقاص ، ثم وجهه والده لمصلوحة (تامصلوحت) فحفظ بها مختصر خليل على سيدي أحمد الشتوكي وقرأ عليه الحساب بشرح الرسموكي والفرائض بالعمل ، ثم رجع لمراكش فأخذ العربية وجمع الجوامع والتلخيص على ابن وقاص والسيد عبد الوهاب ، وأخذ الفقه عن القاضي ابن المدني وابن المعطي والسيد ابن الفاضل ، والفقه والحديث عن السيد سعيد جيمي والسيد علي المسفيوي والسباعى ، وعن الحاج محمد زنيط الفقه والعربية ، لازم القراءة على شيوخه المذكورين نحواً من عشرين سنة عدى جيمى فانما قرأ عليه أخيراً ، وكان له ادراك تام ، وأجازوه كلهم عدا المتوكي ، وكان رفيقه فى القراءة السيد الطاهر ابن جلون ، ثم فى عام1297 حين ولي القاضي ابن خضراء على قضاء مراكش تولى خطة التوثيق ، وله تقييد فى الباغية لما قام فساد الرحامنة فى موت المولى الحسن ، وولي الخطابة بالحضرة الشريفة وبقي يخطب بعده إلى أن مات وولي عدلا مع مقدمي الربيعة العباسية قبل موته بمدة قليلة ، كان المترجم فقيهاً وجيهاً عدلا رضى عاقداً للشروط مقصوداً فى ذلك نجيباً نبيلا نبيهاً حافظا للأمهات المتداولة ومختصر خليل وجمع الجوامع والتلخيص والرسالة ولامية الزقاق ، وكان يكتب بخطه كثيراً من التآليف التى كان يقرأ بها .

توفي رحمه الله في ليلة الجمعة منتصف رجب عـام ثمانية عشر وثلاثمئة وألف .

381) **حجاج بن يوسف الهواري** ، وبنوه ينتسبون في تجيب ، قاضي الجماعة بمراكش وخطيبها ، وهو من ناحية بجاية ، كان من أهل العلم والأدب فصيحاً مفوهاً بليغاً مدركاً ، ونال دنيا عريضة وأورث عقبه نباهة ، دخل الأندلس مراراً ، وروى عن علمائها ، وأخبر عنه بحكاية أبو عبد الله ابن المجاهد .

وتوفي مكفوف البصر في الطاعون بمراكش أول سنة اثنتين وسبعين وخمسمئة ، وصلى عليه السلطان وحضر دفنه .

ذكره في التكملة وفي الحلل الموشية (1) .

382) **حكـم المدعو خير الدولـة بن محمد المعتمد بن عبـاد** ، يكنى أبا المكارم ، قرأ على مالك بن وهيب وتأدب به ، ومال إلى الهجاء في خموله فتحومي لسانه وتجول بأقطار المغرب ، ثم أستقر بمدينة فاس يكتب الوثائق كأخيه يحيى إلى أن توفي .

وكتب إليه بعض أصحابه (2) :

تتسامـى الحِكَمُ ... مذ وشاها حَكَـم
فخر الطرس بـه ... وتباهـى القلـم
وزهت لخم بــه ... فهو فيها علـم
من صناديد عـلا ... بالثريـا خيمـوا
آل عبـاد وقـل ... آل أمـجـاد هـم
إن سطا الدهر بهم ... فكفـى مجـدهـم

1) **التكملـة** 1 : 279 ع 745 **والحلـل الموشيـة** ص 132 **والمعجـب** ص 150 وفيـه حجاج بن ابراهيم التجيبى من أهل مدينة اغمات من أعمال مدينة مراكش ؛ **والأنيس المطـرب بروض القرطاس** ص 206 طبع الرباط .

2) لم يذكر المؤلف القصيدة وجوابها في الأصل ؛ بل أحال على (الحلة السيرا) فرجعنا اليها ونقلناهما منها .

فجاوبه بقوله :

ما لمجد علم　　والزمان حكم
وقضاياه غدا　　جورها يحتكم
رائد الشؤم به　　محبر أو قلم
ونبيه فطن　　بيت شعر ينظم
درس الفضل به　　وتفانى الكرم
وغدا كل أخ　　وده يتهم
غير خل ماجد　　فضله منتظم
سفرت عنه لنا　　كلم بل حكم
عظمت اذ نظمت　　مجد قوم عدموا
صاح إنا عرب　　ملكتها عجم
كل فضل ونهى　　عدم عندهم
آه من دهر غدا　　حره يهتضم
آل عباد بهم　　غائر نجمهم
لعب الدهر بهم　　ومحا رسمَهم
ليت شعري والمنى　　خُلَّبٌ أو حلم
هل إلى أندلس　　نظرة تغتنَم ؟

وسياتي (1) خير الدُولة هذا فى ترجمة والده (2) .

383) حمدون بن عبد الرحمان ابن الحاج السُلَمي

حمدون بن عبد الرحمان بن حمدون بن عبد الرحمان الشهير بابن الحاج السُلَمي أصلا وحسباً المِرداسي نسباً الفاسي داراً ومنشأ الشيخ الامام العالم العلامة الهمام المفسر المحدث الصوفي الفقيه ، المبجل المعظم الوجيه النزيه ، أديب الزمان ، وفريد العصر والأوان ، العارف بالله ، القائم بسنة رسول الله ، الممد بالمنح الالهية ، والمواهب الاختصاصية .

1) فى الأصل : وتقدم اعتباراً للترتيب القديم .

2) الحلة السيرا 2 : 77 .

كـان رحمه الله ممن انتهت إليه الرياسة في جميـع العلـوم ، قال ولده سيدي الطالب ابن الحاج في (رياض الورد) مترجماً لحال والده الشيخ حمدون في المبدإ والعنوان في خمسة أبواب .

الأول في نشأته في البداية وما منّ الله عليه من أسرار العلوم في النهاية ، قرأ العلوم على جلة شيوخ عصره حتى صار علامة الدنيا في أقرب مدة ، فصار يقرىء غيره وهو ابن نيف وعشرين سنة ، كان سيدي حمدون يستحضر حديث الصحيحين وجل الكتب الستة لا يعزُب عنه من صحيح البخارى حرف ولا كلمة ولا ما يتعلق به من اللغة وغيرها ، وتعليقه للبخاري مضمنه ذكر كل من اتفق معه في اخراج حديثه ومناسبة كل ترجمة لما قبلها وما بعدها ومصداق كل حديث من كتاب الله .

ولد الشيخ حمدون عام 1174 ، وقرأ التفسير عـام 1208 باشارة نبوية رآها العارف سيدى إبراهيم المعروف بالرباطي ، كان هذا الشيخ يختم دلائل الخيرات في اليوم مرات ، ودفن في المدينة المنورة .

قال الشيخ سيدى أحمد التجاني في سيدى حمدون إنه سيد علماء وقته ، وإنما أسأل الله تعالى أن يكتبه في ديوان لا يتصرف فيه مخلوق ، وسيدي الطيب ابن كيران كان يعده من نظراء البوصيرى وابن الخطيب ، وكتب مولانا السلطان لعلماء فاس في قضية — أجاب عنها سيدى حمدون — ما نصه : أشهد بالله أن هذا الكاتب أديب الزمان ، ولا يوجد في المغرب ولا الديار المصرية ، ولولا الأدب لَعينتُ جميع الأقطار وإن كان الكمال فضل رسول الله وفيضـه .

أخذ عنه الكوهن التفسير بالبيضاوي والمواهب اللدنية والاكتفـاء لسليمان الكلاعي ، والحكم لابن عطاء الله وميمية في السير ووترياته وهمزية البوصيرى ، ومختصر السعد مرتين بحاشيته عليه ، والمحلى ومختصـر السنوسي في المنطق والصغرى في التوحيد .

ومن أشياخ المؤلف سيدي الطالب ابن الحاج ، وتلاميذة والـده العلامة الرحلة الأديب البارع اللغوي الكاتب سيدى العربي الدمناتي .

والباب الثاني في أحواله السنية وأخلاقه السنية ، كان عاملا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تالياً لكتاب الله في الحزب وسلكة في كل أسبوع وفي العواشر ربما ختم سلكة في اليوم واليومين ويتهجد ويلازم الاذكار . . . . وهنا تكلم على العلم دون العمل ، ونقل كلام القرافي المشهور والقلشاني وتكلم على فضل التعليم قال المؤلف أدركته رضي الله عنه في آخر عمره يقرأ صحيح البخاري في ضريح مولانا ادريس بعد صلاة الصبح ثم يقرأ مختصر خليل فى العاشرة بجامع القرويين مع تداول شروحه التتائي والخرشي والزرقاني وحواشيهم والحطاب والمواق وشرح الشيخ جسوس يعارض بين الأدلة ويرجح ويضعف ويصحح ويبين أصل كل صورة من الكتاب والسنة ، ثم يقرأ بين الظهرين تلخيص المفتاح بالمطول والمختصر وحواشيهما، ثم يقرأ بعد صلاة العصر التفسير بالبيضاوي وحواشيه زاده والأسيوطي وزكرياء مع مراجعة الكشاف وحواشى الطيبي والسعد وزكرياء مخرج أحاديثه ومختصراته كأبى السعود ، وكان يعتمده ويبتهج بذكره وابن كمال باشا والنسفي ويراجع النيسابوري وابن عرفة وابن عادل والثعالبي وابن كثير والبقاعي ، وأحكام ابن العربي الخ ، ثم يقرأ بين العشاءين التفسير أيضاً ولا يتقيد بتفسير ، بل يذهب حيث ما ذهب التحقيق ، وكان يحضُ على علم السير ومطالعة كتبه وممارستها ، لا ريب إن مدح الأفاضل ، تعرض لاحسانهم الهاطل ، وكان يحضُ على قراءة علم التصوف والاكباب على مطالعة كتبه وكان يحب الأشراف محبة شديدة ، وكان متصفاً بمكارم الأخلاق ، كان شجاعاً جواداً باع جناناً كبيراً له بالمرج بألفيْ مثقال وأنفقه في سبيل الله ، وكان شديد الاقدام على السلطان فى الصدع بالأمر المعروف والنهي عن المنكر فيما يرتكبه الولاة من الجور ، وقد أمر مرة بسل لسانه فنجاه الله منه ، وقال له مرة أتعرف الحالة التى قتل عليها ابن زمرك ؟ ولم يكن يرده ذلك فى الغالب عن مخاطبته بما ذكر لصدق نيته وحسن طويته وربما تناعس وأنشد لنفسه :

دع الأمير وسوقه　　فانما نحن سوقه
يلقى جزاء هواه　　وجوره وفسوقه

قال أخبرني الشريف العالم الأديب أحمد بن ادريس العبدالسلامي أحد تلامذة الشيخ أنه كان هجا الشيخ بأبيات وسامحه لشرفه وأعطيت له بدرب جنيارة بفاس دار مناصفة بينه وبين العلامة المحقق البليغ محمد بن عمر الزروالي ، فآثره على نفسه في حظه ، وسلم له فيه لله ، وكان سيدى حمدون من الزاهدين العارفين ، وانقبض عن الدولة بعدما كان له بها الجاه العريض ، وكان قبل ذلك خيره السلطان على تولية خطة الأحكام بنواحي الغرب وأقعده فى ثغر العرائش وطار بعد له طائر الاشتهار فى سائر النواحي من القرى والأمصار ، ثم استعفاه بقصيدة رائية من مجزو الكامل فأعفاه ، وكان متصفاً بالحرية الخ .

هذا ما تيسر من سيرته السنية ، والمجمل من أخلاقه السنية ، وختم هذا الباب بقصائد له ثلاث ، الأولى عارض بها لامية ابن الماوردي ، والثانية فى معارضة لامية الطغرائي ، ولم يكمل هذا التأليف رحمه الله .

وقد وقفت على ديوان المترجم ، وفيه قصائد ، منها قصيدة عارض بها قصيدة ذى الوزارتين ابن عمار : أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى الخ فى مدح مولانا سليمان ، وقال وقد أتاه البشير ، بغنيمة بدوام النصر تشير ، وقد كان وافقاً فى قراءة التفسير على قوله تعالى : واعلموا أنّ ما غنمتم الخ وقال يصف حالته وما وقع له مع أهل الغرب حين كان عاملا عليه وقد خرج لجباية زكاتهم وأعشارهم وذلك عام 1219 وقال يتشفع له أن يخلصه من عمالة العرائش وأحوازها فأعفاه أول عام 1221 وقال مولدية قرئت بين يديه ، وقال منها عن أمره قضبان النور المسمى بالفن بالقدود ، من الجواري الأسيلات الخدود ، وقال فى نور الفن أيضاً يستعطفه على أديب سلا سيدى محمد بن الفقيه شارح الشمقمقية ، وقال يهنئه عند قدومه من سفر ، ويبشر مَن رأى طلعته المنيرة بالمنى والظفر ، وقال عند ورودهم على صخرة الرجافة :

أتينـــا على ريـــح رخـــاء لصخــرة ... لصخرة بيت القدس كادت تفاخر
بملك سليمان علت وتقدســـــت ... بجيش كأنه البحور الزواخـــــر

وقال وقد سأله وهم طالعون بحضرة مراكش قاضيها سيدي أحمد السوسي وهو معهم ، وهو بأرض يقال لها الجدي :

أقاموس علم فاض فينا عبابُــــه　　وفي كل فن رق در له ثــــدي
أتاني لغيزٌ منك كالدر نظمـــه　　عنيت به أرضاً يقال لها الجـدي
رسمنا بآثار الخيول أهلــــة　　بها فارتقت فما يفاخرها جـدي
وحلّ بها شمس الملوك مباهيــاً　　لشمس وبدر في الدياجي له هدي

وقال قد جاءه نساء أهل الحوز يطلبن منه أمان حيِّهن :

عرضت غزلان لما أبصرنـــــه　　فيك من نور أحمد كالغزالــــة
طالبات الأمان عن صائديهـــا　　فذكرنا بها حديث الغزالـــة

وقال يوم ختمه كتاب الكشاف طالباً منه أن يرد لأهل العلم ما كان منحهم قبل من الأوقاف ، وقال ينعي على البرابرة وقد فروا لرؤوس الجبال ، وقد خافوا منه الدوائر ، وقال مولدية قرئت بين يديه مطلعها :

عيد السرور لأول ولآخـــــر　　يوم تجلت فيه شمس مفاخـــر
يوم به ولد النبيُّ محمـــــد　　بدر البدور وفخر كل مفاخـــر

وقال يوم ختمه لتفسير البقاعي مستشفعاً له أن يردّ سيدي العربي ابن المعطى لوطنه بسلام ، وأن يصلح ثغور الاسلام :

طاب المقامُ وطاب السيرُ والسفرِ　　وما تشاءه فيه النصر والظفـــر

وقال يستدعي المحب الصديق من حفدة مولانا عبد الله بن علي بن طاهر السجلماسي المدغري بحضرة السلطان مولاي سليمان :

أزكى تحية تبــاري المنـــدل　　والند والرند وعرفُ الصنـــدل
والعنبر الشحري ومسك داريـــن　　وعطر ورد نافح ونسريـــــن
وقسمة الثغور من أبكــــار　　من شفة المزاح بالاسكــــار
على مقام نخبة الأشــــراف　　وزينة المجالس الظـــــراف

الأنبه الدراكة النبيـــــــــه ‏ روض العلـــوم العـادم الشبيـه
الصادق الفراسة الصديـــــق ‏ أبي العلاء سيدي الصديـــــق
وبعد فلتُجبْ أمير المومنيـــن ‏ مرْ السحاب إن يُقَسْ به ضنين

وقال يستعطفه ولد أخيه مولاي الحسين بن اليزيد ، وقال عند ما قدم عليها أهل الريف برؤوس من أهل الكفر في السلاسل والأغلال ، يحثه على تحصين الثغور وإزالة ما بطلبة العلم من الاعلال ، وقال مولدية مظهراً ما وقع له الظفر ، على مَن طغى وكفر :

كفاك فخاراً أنك ابن محمـــــد ‏ سليل هدى سليل ملك مسرمــد

وقال منبهاً على الأعداء ، الذين جاوزوا الحد في الاعتداء ، ومشيراً لما له من النكت على تفسير البيضاوي ، وقال مظهراً اشتياقه لرؤيته ، وطالباً منه الغض من زلته ، وقال مهنئاً لقدومه من سفر ، ويستعطفُه على الفقيه السيد علي بن عبد الله المتيوي وقد شهد له بالنجابة ، وقال في جواب له حين استدعاه بأن يقدم عليه في بعض أسفاره لمكناسة الزيتون برسالة أولها

ســيـدي :

لك البشارةُ فالبسْ بردة الظفر ‏ واخلع سواها فما بالدهر من غير

وقال في بطانة السوء الدائرة بأمير المومنين ، وقال يستعطفه على قبيلة بني ورياغل لما راغوا عن محاربته ، واحجموا على محاربته ، وقال يستعطفه ويحثه على الصبر لما توفي ولده الطالب الأمجد الخير الأحب سيدى محمد ويرثيه :

برداء صبر يرتـــــــــدى ‏ من بالبنوءة يهتـــــــــدي

وقال على لسانه هذه القصيدة الغرا ، التي قلدت جيد الأدب يواقيت ردرا ، يعظ فيها سعود الوهابي وينذره ، وينبهه من سنته ويذاكره ، لما عاث في أقطار الحجاز ، وتعدى عتوا الى الحريين الشريفين ، ووجه كتباً الى أقاليم أهل السنة يدعوهم لاتباع مذهبه الفاسد ، وسوقه الكاسد ، ومن تأمل في

هذه القضية وأنصف ، علم أنها فى نحور الوهابية سنان مرهف ، لظهورهم فاقره ، ولبطونهم باقرة ، ولآذانهم واقرة ، وللسانهم عاقره ، وهي تناهز 200 بيــت .

وقال يحثه على الصبر لما توفي أخوه مولاي عبد السلام ويرثيه في سنة 1227 .

فيكم لنا خلـق" عن كل مَن سلفا   والله يبقيكـم ذخراً لنــا وكفــى

وقال مجيباً عن مضمون سؤاله عن وجه قراءة هشام إبراهيم بفتح فى بعض المواضع دون البعض ، وقال لما ألف السلطان كتابه المسمــى بالأسماع بتحرير ما التبس من حكم السماع :

هذه حضرة الرســول تجلـــــت   عن جنان قد أزلفت وأظلـــــت

وقال يستعطفه على الفقيه سيدى التهامي بن حمادى ، وقال وقد وقفت على سيدى أبى القاسم الشاطبي ، قل للأمير مقالة الخ ، وقال يمدحه وولده مولاي إبراهيم وقد كسر شوكة أعدائه ، ورمى شياطينهم بثاقب من ملك سمائه :

اليوم أخمدت الضلالة نــارهـــا   واستعمرت دار الهــدى عمارهـــا

وقال يهنيه بقدوم ولده المذكور من الحج معارضاً لقصيدة الرياحي :

بشراك إبراهيــم بالأقبـــــال   وبنيل سؤال ما جرى فى بــــال

وقال فى صدر رسالة جواب كتبه أبيه :

أتاني أمير المومنين كتــــاب   كريم لنا فيه الهدى والثـــواب

وقال لما قام ابن الشريف على ملك الجزائر :

ملك الجزائر لا محالة اندثــــرا   وسلكه بانتظام جــوره انتثــــرا

وقال يشكوه بعض الظلمة من الولاة :

الملك ملك إلاه العرش محتــرس　　　من الشياطين بالشهــاب والرصد

وقال عن أمره قصيدة بعثها لأهل الجزائر :

حمداً لمن نصر الاسلام فانتصــرا　　　وبدد الكفر والضلال فانتشـــــرا

وقد يشكوه بعض الظلمة ·

أمطلع ملك الله مخجلا الشمســـا　　　بك الله مبد فى خليقته أنســــا

وقال فى خطيب كانت نفسه لا تطيب إلا بالخطابة بحضرة السلطان :

إذا كنت الخطيب تطيب نفســـا　　　فطب نفساً فأنت هــو الخطيـــب

وقال مولودية قرئت بين حضرته ، وقال عن إذنه يهجو ديكـا رآه بحضرته ، قال فى آخرها :

لا أطيل القــول فيه فكفـــــى　　　له هجواً أنه ينكــر ناســـــه

وقال فى جواب رسالة بعثها إليه فى شأن قبض الفقيه سيدى عبد السلام المسناوي من جملة فصولها، لو تشفعت فيه بسطر بيت لرددت عليه ماله وأمثـالـه :

كلام المليك مليك الكــــــلام　　　وفهمــه للحـــد مــاضي الحسام

وقال فى صدر رسالة جواب كتاب بعثه إليه فى شأن المسناوي :

أياملكـاً له كل اهتمـــــــام　　　بكل الرعايا بمحــو اغتنـــــام

وقال رافعاً له شكاية ببعض الأشراف من بعض قضاة العصر ، وبها ختم ديوانه الجامع له فى الأمداح السليمانية ، وقد وقفت منه على أزيد من ست كراريس من القالب الرباعي ، وستأتي حائيته التى ذكرها فى سفره لمراكش مطلعها :

خيمة ما بها سـوى قـائـــل آح　　　وبهـا مـد صوتـه وترنـــــــح

فى ترجمة سيدى محمد بن عمرو الزروالي .

ورأيت في ديوان الفقيه ابن ادريس قصيدة فى مدح المترجم أولها :

أما ودر نظيـم تحت شاربـــــه　　　وريق ثغـر غدا خمراً لشاربــــه

إلى أن قال :

شيخ المشايخ حمدون الذى حمدت　　　به المعالي وراقت من مناقبـــه
وعالم المغرب الأقصى وسيــــده　　　وشاعر العصر فى الدنيا وكاتبـه
محاسن العصر بعض من محاسنــه　　　وزينة الدهر بعض من مواهبـــه
مبوأ من ذرى العليـاء أرفعهـــا　　　فليس يدرك قرب من مناصبـــه

وختامهـا :

واسلم لدهر غدوت شمسه شرفاً　　　ودم عزيزاً رفيعاً فى مراتبـــــه

وعدتها سبعة وثلاثون بيتاً .

من تلامذته العلامة سيدى الوليد العراقي لازمه فى التفسير كثيراً والبُخاري ومختصر خليل وتلخيص المفتاح مع شرح السعد عليه بحاشيته فيه وفى شرحه على ميميته وغير ذلك كما فى مؤلفه (الدر النفيس) .

وقال فى رحلة الفتح المبين .

منقبة وبشارة لسيدى حمدون المتقدم أول السند .

قال عبيد ربه جعفر مقيد هذه الرحلة لمؤلفها سمعت من الفقيـه الأجل ، العالم العلامة الأفضل ، سيدى المهدي ابن العالم سيدى محمد ابن العالم سيدى حمدون ابن الحاج المذكور أنه سمع من الفقيه العالم الزاهد الورع سيدى الحاج أحمد كنبور الجايي أنه رأى فيما يرى النائم كأن النبي

صلى الله عليه وسلم وسيدى حمدون جالسان على كرسي وتحتهما خلق كثير ، وسيدى حمدون يقرر للمذكورين مسائل من العلم ويلتفت عقب كل تقرير للنبي صلى الله عليه وسلم ويقول هل هذه المسألة كما قررت ؟ فيقول له نعم ! وانه قرأ على سيدى حمدون المذكور أن الرؤيا المذكورة كانت فى حياته ، توفي سيدى الحاج ابن الحاج المذكور فى نصف ليلة الخميس ثامن عشر ربيع الثاني سنة 1283 ودفن بزاوية مولاي عبد الرحمان الشريف بالجاية قرب العصر من اليوم المذكور ، وحضر جنازته خلق كثير من سلاس والجاية وبني زروال ، والحياينة ومزيات ، وأذن مولانا المنصور بالله سيدى محمد بن عبد الرحمان بالبناء عليه فى رسالة كتبها لخدامه بالجاية ، وحج معنا ولده الطالب سيدى الحاج عبد السلام فى حجتنا هذه كما حج معنا فيها الشريف سيدى محمد بن سيدى علي الحمومي دفين البليدة وابن عمه سيدى محمد بن سيدى عبد السلام .

قال السيد عبد الحي الكتاني عن قوله الحاج أحمد كنبور فى موضعين : صوابه الحسن .

وهذا ظهير أمير المومنين المقدس مولانا سليمان فى حق المترجم ونصه :

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه وسلم تسليما

ثم الطابع الشريف

وبعده شد الله ذو القوة المتين أزره ، وأبقى فى سماء المعالي شمسه وبدره ، يستقر كتابنا هذا السمي بالله بيد ماسكيه قبيل العلامة الأفضل ، القاضي الأعدل الأنبل ، السالك أقوم المحاج ، العارف بالله سيدى أحمد ابن الحاج ، المتشعبين من فصوله ، والمفترعين من أصوله ، من أهل فاس وتطوان ، صانهما الله من طروق العدوان ، يعلم الواقف عليه ، والواصل إليه ، أننا جددنا لهم حكم ما بيدهم من ظهائر أسلافنا الكرام الأعلام ، الحامين بيضة الاسلام ، من إجرائهم على منصة التوقير والاحترام ، وحملهم على كاهل المبرة والاكرام ، رعياً لنسبهم الزاهر المستنير ، المنتهى إلى العباس ابن مرداس

الصحابي الشهير ، ولمن كان منهم من العلماء المتميزين ، والقادة المتبرزين ، فرسان الأقلام والمحابر ، وثمرات أعواد الكراسي والمنابـر ، الطالعيـن بالعدوتين طلوع المشرقين ، بل زدناهم توفيراً واحتراماً ، وإجلالا وإكراماً ، رعياً لجانب مَن له الحظوة المحظوظة ، والمكانة المحوطة المحفوظة ، الذى أثمرت أفنان علومه ونفعت ، وطلعت شمس آدابه وبزغت ، ذاك محبنا فى الله المحبة الوثيقة ، ورضيعنا فى ثدي العلوم الدقيقة ، أبو عبد الله حمدون ابن الحاج ، سلك الله بنا وبه أقوم منهاج ، ومن اطلعت لهم زمام التصرف والأحكام، من حملة السيوف والأقلام ، أن يقتدوا بما رسمنا ، ويقتفوا لما زعمنا ، ومن خالف منهم ذلك خاف على رأسه ، ولا لوم إلا على نفسه ، والله تعالى يتولانا وإياهم بما عليه المدار ، مما يسعدنا فى الدار الآخرة ونعم عقبى الدار .

وكتب فى أواخر ذى الحجة الحرام متم عام ثمانية ومئتين وألف .

وبخط الأمير المذكور أعلا الظهير هذا شيخنا ومحبنا فى الله السيد حمدون عندنا فوق ما هو مرسوم .

سليمان بن محمد بن عبد الله كان الله له وللمسلمين فى اليـوم المعلـوم .

نقله فى شرح الظهير الحسني حفيده أبو العباس سيدي ابن الحاج ، ثم قال فيه : وهذا مولانا المقدس مولانا سليمان مدحه جدنا الشيخ حمدون ابن الحاج رحمه الله بقصيدة فأعطاه داراً كبيرة متهدمة من دور بني مرين بأعلا عقبة ابن صوال ، وجعله خليفة فى ثغر العرائش وما والاها مدة من عامين عدى ثلاثة أشهر ، وسامحه فى زكاة وأعشار تلك المدة ليبني بذلك الدار المذكورة وبناها وبقيت بيد ورثته يفعلون بها ما أرادوا إلى عام أربعين المتصل الفروط ، فتنازع الورثة فى السكنى ، وأراد بعضهم البيع ، ورفع أمره لمولانا المقدس مولانا عبد الرحمان فأذن من له خبرة بتقويمها فقومت بقيمة العصر وزاد لهم غبطة خمس القسمة واشترى الورثة بذلـك دوراً ، وما شاع أنه انتزعها من الورثة باطل .

وقال ابن إدريس يمدحه أيضاً فى تهنئة بعيد قصيدة مطلعها :

بوجودكم تتزيــن الأعيـــــاد وبمجدكـم يتطـرز الانشـــاد

وقال فى (السلوة) :

كان رحمه الله ممن انتهت إليه الرياسة فى جميع العلوم ، واستكمل أدوات الاجتهاد على الخصوص والعموم ، أحرز قصبات السبق فى مجـال الاستنباط ، وارتبطت بذهنه العلل ومسالكها أي ارتباط ، وانفرد بالمهارة والتبحُّر في جميع الفنون وخصوصاً التفسير والحديث والتصوف المؤيـد بالكتاب والسنة والأصلين وعلوم العربية مع الخشية والخضوع والوقار والبكاء والاعتبار والاستغراق فى مجد العشق المحمدي والخبرة فيه بدلالة المهتدي والمقتدي ومحبة أهل البيت ، والانحياش لأهل الخير الحي منهم والميت ، وناهيك بقول الشيخ سيدى أحمد التجاني رضي الله عنه من رسالة بعثها لبعض أصحابه : إنه سيد علماء وقته ، وأنا أسأل الله أن يكتبه فى ديوان السعداء وأن لا يتصرف فيه مخلوق ، وكان الشيخ سيدى الطيب ابن كيران يعده من نظراء البوصيري فى الأمداح النبوية وابن الخطيب فى أمداح الملوك ، وكان رحمه الله تولى حسبة فاس وبالغ فيها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان أتم الأمور عنده الصلاة ، فكان يقيم الناس من حوانيتهم لاقامتها وأداء فريضتها ولا يدعهم يتركونها ، ثم تولى قيادة الغرب فأحيى فى أهله السنة وأزال الظلمات التى كانت قبله ، وقبض الوظائف الشرعية وترك المغارم المخزنية ، وقام على ساق الجد معهم فى الصلاة التى هي أساس جميع العبادات حى قام بها مَن وفقه الله منهم ، ثم عزل نفسه واشتغل بالتدريس ، ورحل إلى المشرق وحج وزار ورجع بعلم غزير وفضل كثير ، وكان رضي الله عنه كثيراً ما يرى النبي صلى الله عليه وسلم فى عالم نومه ، ويستمدُّ من بحره ومرائيه كثيرة ، كان فى أول أمره يقيدها ثم كفَّ عن ذلك ، وفى ميميته حين استطرد الكلام على السادات العراقيين :

وقـد رأيتـه في نومي وأخبرنـي بأنهـم بضعـة منه ولـم أنـــم

أخذ رحمه الله عن صاحب الترجمة قبله (1) وشاركه في عدة من شيوخه كالشيخ بناني والشيخ التاودي وسيدى عبد الكريم اليازغي وسيدى عبد القادر ابن شقرون، وأجازه الشيخ سيدى محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي والشيخ سيدي مرتضى الحسيني شارح الاحياء والقاموس ، وألف تآليف عديدة ، كالحاشية على تفسير أبي السعود ومتبوعه البيضاوى ، وعلى مختصر السعد ، وتفسير سور من القرآن ، ومنظومة ميمية في السيرة على نهج البردة اشتملت على نحو أربعة آلاف بيت وشرحها له في خمسة أسفار ، وأرجوزة في المنطق ، واخرى في علم الكلام ، ومقصورة في علمي العروض والقوافي ، ونظم الحكم لابن عطاء الله ، ونظم مقدمة ابن حجر وشرحها له في سفر سماه نفحة المسك الداري ، القارىء صحيح الامام البخاري (2) إلى غير ذلك ، وله أنظام كثيرة وقصائد شتى ووتريات على نسق وتريات البغدادي ، ومن شعره في ميميته المذكورة :

وقل لمن نابه خطب وضاق بـه ... أكرم بني المصطفى تكرم بمغتنم
فان مَن أكرم البنين يكرمـه ... جزماً أبوهم ومن يضممهم يضم

ولد كما ذكره في (رياض الورد) بفاس سنة أربع وسبعين ومئتين وألف ، وتوفي عشية يوم الاثنين سابع ربيع الثاني في عام اثنين وثلاثين ومئتين وألف ، وكان لجنازته مشهد عظيم ومحفل كريم شهدها الأكابر والأصاغر ، ودفن عند قبر شيخه سيدى الطيب ابن كيران باذن مولوي .

ترجمه في امداد ذوى الاستعداد وغيره ، وألف فيه ولده سيدي محمد الطالب تأليفاً سماه (رياض الورد ، الى ما انتهى اليه هذا الجوهر الفرد) تعرض فيه لنفسه ولشيوخه وتلامذته وأحواله من الولادة الى الوفاة وما يتبع ذلك (3) .

---

1) يعنى الشيخ الطيب ابن كيران .

2) طبع بفاس عام 1329 هـ بأمر السلطان عبد الحفيظ .

3) سلوة الأنفاس 3 : 4 .

384) **حمزة بن علي بن عبد الله المراكشي دفينها** ، حلاه سيدي أبو عمرو المراكشي بسلطان الزهاد كما في (شمس المعرفة) ، وقال الحضيكي في طبقاته بعد ذكره ما نصه : الولي العارف بالله زاهد زمانه ووريعه ، وحليف الفضل وصنيعه ، كان رضي الله عنه عالي الهمة ، له قدم راسخ في مقام الزهد والورع ، وكان رضي الله عنه درّاراً يعلم الصبيان كتاب الله ، وكان الملوك والأمراء يأتونه من بعيد للزيارة والتبرك به ، فاذا سلموا عليه رد عليهم السلام بلفظ السلام فقط ، ولا يكلم أحداً كان مَن كان حتى يتفرغ من تعليم الصبيان ، فاذا انصرفوا عنه التفت الى مَن جاءه وكلمه وسأله عن حاله ، وكان لا يقبل من أحد شيئاً ، قائماً على الجادة في مقام الزهد والورع والتعفف عن الدنيا حتى خرج منها ولم يلتصق به منها شيء .

قال الفاضل عبد الرحمان ابن تودة العمراني جاء الخبر الى السلطان محمد الشيخ بأن الشيخ حمزة في النزع ، فقال لأولاده اذهبوا لحضور هذا الولي ، فذهب السلطان عبد القادر والسلطان محمد المعروف بالحران فذهبتُ أنا معهما ، فدخلنا دار الشيخ حمزة ، فوجدناه قد فاضت نفسه ولم يكن بداره سوى حصير بال وهيدورة عليها نحو الصاع من شعير يشمس كان يقتات به ، فقال السلطان عبد القادر اليوم شاهدنا رجلا من الأولياء عاش في الدنيا وخرج منها ولم يتعلقْ به منها شيء ، قال فبكينا على أنفسنا وحضرنا جنازته وقد حشر الناس اليها من كل مكان ، قال العمراني وكنت أطلب منه الدعاء في كل وقت أن يثبتني في باب الجهاد في سبيل الله تعالى ، فيقول لي إن شاء الله تعالى ، إلى يوم من الأيام فجيئته على العادة ، فقال لي ياأخي قد أجيبت الدعوى ، والله سيبلغك مرادك من الجهاد فيسبيله ، فقال فمن ذلك اليوم وأنا مستبشر بما وعد لي ، إلى أن تغلب السلطان محمد الشيخ الشريف على سائر أقطار المغرب فقلده ولاية الثغور الهبطية ، فكان من أمره ما هو مشهور في الغزوات والوقائع ونكاية الكفرة .

توفي الشيخ حمزة رحمه الله في أواخر العشرة الخامسة من القرن العاشر ، ودفن بازاء ضريح الشيخ سيدي عبد العزيز التباع ، وقبره مزارة مشهورة نفعنا الله بهم (1) .

---

1) **طبقات الحضيكي** 1 : 179 .

ومقامه صار اليوم محلا للزمنى والمرضى لا يكاد يخلو منهم خصوصاً النساء ، وفيه قلتُ متوسلا :

يار بنا أنت الغفـــور ... عني أزل كلَّ الشـــرور
فبحق حمزة ذي التقـــي ... قد فاق في الزهد البـــدور
في غاية الورع ارتقـــى ... وتسنَّم الفضل الكبيـــر
ليس الركون لغيركـــم ... من دأبه طول الدهـــر
قد كان دراراً لـــدى ... وقت العشي وفي البكـــور
فتولني بحياطـــة ... وعناية تولي الحبـــور
بحلى الفضائل حلنـــي ... واسق الحشا خير الخمـــور
وأنل صلاتك كلهـــا ... خير الورى القرم الشكـــور
ذاك النبي المُجتَبَـــى ... الطاهر النسل الطهـــور
سلم عليه وآلـــه ... ما دام في الجنات حـــور
وأنـل عبيـدك سُؤلَـــه ... يامَن غدا نعم النصيـــر

385) **الحسن بن عبد الأعـلى الكـلاعي** ، الفقيه ، قال القاضي عياض في (الغنية) بعد ذكر ما تقدم ما نصه : من أهل صفاقس ، سكن المغـرب كثيراً والأندلس في بلاد المصامدة ، واستوطن بلدنا أخيراً ، وشاوره بها بعضُ القضاة وأريد على قضاء الجزيرة فامتنع ، وكان منقبضاً فاضلا لم يجلس الى التدريس ولا تصدر للفتيا ، تكررت عليه وجالسته كثيراً وأخذت عنه غيـر شيء وانتفعت به ، وكان محققاً فقيهاً أصولياً متكلما عارفا بعلم الهندسة والحساب والفرائض وغير ذلك من المعارف ، وكان تفقه بأبي الحسن اللخمي وعليه كان اعتماده ، وأخذ أيضاً عن ابن سعدون الجياني وغيرهما من مشايخ إفريقية والمغرب والأندلس .

توفي بأغمات في محرم سنة خمس وخمسين وخمسمئة ، وترجمته في (التكملة) أيضاً نقلا عن عياض وخط ابن حبيش ، وزاد على ما تقدم الى سماعه عن اللخمي كان ببلده صفاقس وأنه سمع من أبى علي الغساني (1) .

---

1) **التكملة** 1 : 269 ع 716 .

386) الحسن بن علي ابن باديس الصنهاجي

الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيرى بن مناد ، لما مات والده علي ولي بعده ابنه الحسن غلاماً يفعة ابن اثنتي عشرة سنة ، وقام بأمره مولاه صندل ، ثم مات صندل فقام بأمره مولاه موفق ، وكان أبوه أصدر المكاتبة الى روجار عند الوحشة يهدده بالمرابطين ملوك المغرب لما كان بينه وبينهم من المكاتبة ، واتفق أن غزا أحمد بن ميمون قائد أسطول المرابطين صقلية وافتتح قرية منها فسباها ومثل بأهلها سنة ست عشرة (وخمسمئة) فلم يشك روجار أن ذلك باملاء من الحسن، فنزلت أساطيله إلى المهدية وعليهم عبد الرحمان بن عبد العزيز وجرجي ابن مخائيل الأنطاكي ، وكان جرجي هذا نصرانياً هاجر من المشرق وقد تلعم اللسان وبرع في الحساب وتهذب في الشام بأنطاكية وغيرها ، فاصطنعه تميم واستولى عليه ، وكان يحيى يشاوره ، فما هلك تميم أعمل جرجي الحيلة في اللحاق بروجار فلحق به وحظى عنده واستعمله على أسطوله ، فلما اعتزم على حصار المهدية بعثه لذلك ، فزحف فى ثلاثمئة مركب وبها عدد كثير من النصرانية فيهم ألف فارس ، وكان الحسن قد استعدً لحربهم ، فافتتح جزيرة قوصرة (1) ، وقصدوا الى المهدية ونزلوا الى الساحل وضربوا الأبنية وملكوا قصر الدهانين وجزيرة الأملس ، وتكرر القتال فيهم إلى أن غلبهم المسلمون وأقلعوا راجعين إلى صقلية بعد أن استحرً القتلُ فيهم ، ووصل بأكثر ذلك محمد بن ميمون قائد المرابطين بأسطوله فعاث في نواحي صقلية ، واعتزم روجار على اعادة الغزو الى المهدية ، ثم وصل أسطول يحيى بن العزيز صاحب بجاية لحصار المهدية ، ووصلت عساكره في البر مع قائده مطرف بن علي ابن حمدون الفقيه ، فصالح الحسنُ صاحب صقلية ووصل يده به واستمد منه أسطوله ، واستمد الحسن أسطول روجار فأمده وارتحل مطرف إلى بلده ، وأقام الحسن مملكاً بالمهدية ، وانتقض عليه روجار وعاد الى الفتنة معه ، ولم يزل يردد اليه الغزو الى أن استولى على المهدية

1) جزيرة بساحل تونس تحتلها ايطاليا وتسميها بانتيلاريا .

قائد أسطوله جورجي ابن مناسل سنة ثلاث وأربعين وخمسمئة ، ووصلها بأسطوله في ثلاثمئة مركب ، وخادعهم بأنهم إنما جاءوا مدداً له ، وكان عسكر الحسن قد توجه صريخاً لمحرز بن زياد الفادغي صاحب علي بن خراسان صاحب تونس ، فلم يجد صريخاً فجلا عن المهدية ورحل واتبعه الناس ودخل العدو الى المدينة وتملكوها دون دفاع ، ووجد جرجي القصر كما هو لم يرفع منه الحسن الا ما خفّ ، وترك الذخائر الملوكية ، فأمّن الناس وأبقاهم تحت ايالته ، ورد الفارين منهم إلى أماكنهم ، وبعث أسطولا إلى صفاقس فملكها ، وآخر الى سوسه فملكها أيضاً ، ثم إلى طرابلس كذلك ، فاستولى روجار صاحب صقلية على بلاد الساحل كلها ، ووضع على أهلها الجزية ، وولي عليهم كما نذكره ، إلى أن استنقذهم من ملكة الكفر عبد المومن شيخ الموحدين وخليفة امامهم المهدي ، ولحق الحسن بن علي بن يحيى بعد استيلاء النصارى على المهدية بالعرب من رياح وكبيرهم محرز بن زياد الفادغي صاحب القلعة فلم يجد لديهم مصرخاً ، وأراد الرحيل الى مصر للحافظ عبد المجيد ، فأرصد له جرجي ، فارتحل الى المغرب وأجاز الى بونه ، وبها الحارث بن منصور وأخوه العزيز ، ثم توجه الى قسنطينة وبها سبع بن العزيز أخو يحيى صاحب بجاية ، فبعث اليه من أجازه الى الجزائر ، ونزل على ابن العزيز فأحسن نزله وجاوره الى أن فتح الموحدون الجزائر سنة 547 بعد تملكهم المغرب والأندلس ، فخرج الى عبد المومن ، فلقاه تكرمة وقبولا ، ولحق به وصحبه إلى افريقية في غزواته الأولى ثم الثانية سنة 557 ، فنازل المهدية وحاصرها أشهراً ، ثم افتتحها سنة خمس وخمسين وخمسمئة ، وأسكن بها الحسن وأقطعه رحيش ، فأقام هنالك ثماني سنين ، ثم استدعاه يوسف بن عبد المومن ، فارتحل بأهله يريد مراكش وهلك بتامسنا في طريقه إليها بآبار زلو سنة ست وثلاثين ؟ والله وارث الأرض ومَن عليها ، وهو خير الوارثين ورب الخلائق أجمعين . انتهى (1) .

---

1) هذا النص منقول بالحرف من **تاريخ ابن خلدون** 6 : 330 طبع بيروت .

وقال في (القرطاس) : فلما وصل عبد المومن الى الجزائر بجيوش الموحدين وجد فيها الحسن بن علي المذكور ، فخرج اليه وبايعه وصاهره عبد المومن وحمله الى مراكش فأقام معه الى سنة ثلاث وخمسين .

انتهى المقصود منه نقله عن البرنسي .

387) **الحسن بن محمد بن الحسين البطليوسي** ، قال ابن عبد الملك : سكن مراكش وكان مقرئاً نحوياً تصدر لاقراء ذلك ، وروى عن أبى بكر ابن خير ، وكان حياً سنة ست وسبعين وخمسمئة .

نقله في (البغية) .

388) **الحسن بن حجاج بن يوسف الهواري** ، وأهل بيته ينتمون في تحبيب ، أصله من ناحية بجاية ، وسكن مراكش ، روى عن أبيه وغيره ، وتفقه بالقاضي أبي موسى بن عمران ، ودخل الأندلس مراراً وباشبيلية ولي الخطبة بعد أبي الحسن ابن المالقي فى سنة ثمانين وخمسمئة ، وكان بليغاً فصيحاً ، سماه أبو الربيع ابن سالم في مشيخته ، وقال لي ابنه عبد الرحمان بن الحسن إنه توفي بمدينة فاس سنة ثمان وتسعين وخمسمئة ، واحتمل بعد أشهر الى مراكش فدفن بها .

ذكره في (التكملة) و (الجذوة) ، وقال في (السلوة) بعد نقل كلام (الجذوة) ما نصه : ونحوه لبعضهم فى تاريخ له قديم ، نقلا عن ابن صاحب الترجمة عبد الرحمان ، وتقدمت ترجمة والده قاضي مراكش وستاتى ترجمة ولده محمد (1) .

389) **حسن بن علي المطغري** (2) المؤذن ، قال فى (التشوف) نزل عندنا بالجانب الشرقي من مراكش ، ثم رحل إلى المشرق على قدميه فحج ،

---

1) **التكملة** 1 : 271 ع 722 **وجذوة الاقتباس** ص 180 ع 140 **وسلوة الأنفاس** 3 : 259 .

2) كذا فى بعض نسخ **التشوف** ؛ وفى بعض نسخه كتب اسمه هكذا : أبو علي حسون بن علي المطعون .

ثم أراد الرجوع الى المغرب فمات بالأسكندرية عام ثلاثة وستمئة ، وكان عبداً صالحاً يعيش من كد يمينه ، وإذا أراد أحد أن يستأجره على دبغ الجلود وغير ذلك يشترط على مستأجره أن يتوضأ متى انتقض وضوءه وأن يصلى الظهر والعصر مع الجماعة ، فاذا أخذ أجرته أخذ منها قوته ويتصدق بالباقي على المساكين ، وكان إذا انتقض وضوءه جدده ، فقيل فى ذلك ، فقال : أخاف أن يأتي أمرُ الله وأنا على غير طهارة ، وأصابته فاقة شديدة فقال له بعض جيرانه هلا أعلمتني بحالك ؟ فقال : أتريد أن يبتليني فاشكو اليك ! وكان الغالب عليه التفكر والاعتبار ، فاذا قام بالسحَر الى الصومعة ليؤذن سبح وهلل ، ثم ركع ركعات قليلة وقعد وأدخل رأسه فى جبته يتفكر إلى طلوع الشمس (1) .

390) حسن بن محمد ابن كسرى الأنصاري

حسن بن محمد بن علي الأنصاري من أهل مالقة ، يعرف بابن كسرى ، أخذ عن أبي بكر بن ميمون القرطبي بمراكش وصحبه هنالك ، وسمع من أبي عبد الله الرصافي ديوان شعره ، وكان أديباً صاحب منظوم ، روى عنه أبو عمْرو بن سالم وغيره .

توفي بمالقة سنة ثلاث أو أربع وستمئة .

ذكره في التكملة (2) .

وقال فى (نفح الطيب) ما نصه : ووفد الحسن ابن كسرى المالقي الشاعر المشهور على ملك اشبيلية السيد ابراهيم بن أمير المومنين يوسف بن أمير المومنين عبد المومن بن علي فأنشده قصيدة طار مطلعها في الأقطار كل مطار وهـــو :

---

1) التشوف ص 392 ع 205 .

2) التكملة 1 : 264 ع 700 .

قسماً بحمص إنه لعظيـــــــــم فهـي المقـام وأنت ابراهيـم (1)

391) **حسن (2) بن عبد الله ابن يابو الأندلسي** من أهل أغمات وريكة ، وبها مات عام أربعة وستمئة ، قدم مراكش ، وكان عبداً صالحاً أدرك علي ابن حرزهم وخدمه ، ولقي بأغمات الامام أبا بكر بن العربي .

قال في (التشوف) : سمعت علي بن عيسى يقول : سمعت ابن يابو يقول حضرت عند أبي بكر بن العربي بأغمات ، وقد وصل اليه بعض فقهائها ، فقال له أريد أن أصلي بحضرتك حتى ترى هل أحسن الصلاة أم لا ؟ فلما فرغ من صلاته قال له صلاتك مكروهة بالاجماع ، فقال له ما أخللت بشيء من الفريضة والسنة ، فقال له أبو بكر : بلى فان القراءة فى الركعة الثانية أطول من القراءة في الركعة الأولى ، والسنة أن تطول قراءة الركعة الأولى وتكون الثانية دونها .

وحدثه علي بن أحمد الصنهاجي قال : جلست مع عبد الله بن محمد القناع وأبى الحسن العربي وجماعة من المريدين ونحن بمراكش الى أن قال لنا القناع حدثتني نفسي أن ابن يابو يموت ، فلنذهب الى أغمات نحضر جنازته ، فذهبنا الى أغمات ، فدخلنا عليه فوجدناه مريضاً ، فأردنا أن نبيت عنده فقال لنا لن أموت الليلة وانما أموت غداً ان شاء الله تعالى بالليل ، فانصرفنا عنه ، فلما أصبح أتينا اليه فاقمنا عنده وهو في النزع الى العتمة ، قال علي : فقلت له ياأبا علي : حسِّن ظنك بالله عز وجل ، فانك أفنيت طول عمرك في طاعة الله تعالى ، فقال لي : ياقوم لا تغروني وذكروني بالله تعالى ، ثم قال : أي وقت هذا ؟ فقلنا له هذا أول وقت العتمة ، فاستقبل القبلة وتوجه وقال الله أكبر ، فخرجت نفسه رحمه الله تعالى ، فحضرنا جنازته ورجعنا الى مراكـش .

1) **نفح الطيب** 3 : 399 وانظر أيضاً **المقتضب من كتاب تحفة القادم** ص 91 .

2) فى النسخة المطبوعة من **التشوف** : حسين لا حسن .

وحدثني علي بن أحمد الصنهاجـي قال : رأيت بأغمات رجلا ملهوفاً يستغيث بالمسلمين فسألته عن شأنه ، فقال لي أنا من أهل فاس ، احترق ما كان عندي بقيسارية فاس فانقلبت الى مراكش وصرت دلالا بقيساريتها ، فسمعت أن زوجتي وأولادي قد وصلوا من فاس فخرجت من مراكش لأتلقاهم فاستعرت فرساً ألقاهم عليه ، فلقيني عبيد فنزعوا مني الفرس وسلبوا مني ثوبي ، فلم أزل أتبع أثرهم الى أغمات فما وجدت منهم أحداً ، فقلت له تطهر وتأهب لأحملك الى رجل صالح يدعو لك ، فلعل الله تعالى أن يرد عليك ما سلبت ، فتطهر الرجل ودخلت به الى ابن يابو فأخبره الرجل بشأنه ، ورغب أن يدعو له ، وكان ابن يابو متربعاً ، فجلس على قدميه وأطرق ساعة ، ثم قال له لو دخلت مراكش اليوم لوجدت ما سلبت منه ، ولكن بت الليلة هاهنا ، فاذا انصرفت غداً وجدتـه ان شاء الله تعالى ، فبات عنده تلك الليلة فلما أصبح عاد إلى مراكش ، فلقيته بعد ذلك ، فحدثني وقال : خرجت من أغمات فلما وصلت باب أغمات من مراكش وقفت متحيراً ، فأتاني رجل وقال لي أنت الرجل المسلوب ، فقلت له نعم ، فقال لي سر معي لأريك الدار التى فيها العبيد الذين سلبوك ، فأقعدني عند باب دار فقرعت الباب وذهب الرجل الى الحرس ليأتيني بهم ، فخرج من الدار رجل فلما رآني عرفني ، فدخل اليهم ، ثم خرج وقال : استرنا ونحن نرد لك ما سلبناه ، فأخرجوا الفرس والثياب ، فأخذت جميع ذلك منهم وانصرفت (1) .

392) **الحسن بن علي بن محمد الأغماتي** وأصله من تلمسان ، روى عن أبى عبد الله بن عبد العزيز اللخمي من أصحاب أبى الحجاج القضاعي ، وسار إلى جزيرة ميورقة قبل الستمئة واقام فيها وقتاً ، ثم خرج منها وعاد إليها ثانية وأقرأ بها العربية وأخذ عنه إلى أن سُعي به عند واليها وبجماعة معه فأزعجهم منها ، واجتاز علينا ببلنسية فى سنة خمس عشرة وستمئة ، فلقيته حينئذ بدار الامارة منها ، وسمعت منه بعض منظومه ، ولم يكن بالقوي ، وبلغنى أنه توفي بمراكش بعد ذلك بيسير (2) .

---

1) **التشوف** ص 402 ع 216 .

2) **التكملة** 1 : 271 ع 723 .

393) الحسن بن علي ابن الفكّون القسنطيني

الحسن بن علي بن عمر القسنطيني المعروف بابن الفكّون ضبطه الحضيكي بضم الفاء والكاف المشددة ، الشيخ العلامة .

قال في (نفح الطيب) بعد ذكره أحد أشياخ العبدري صاحب الرحلة : وله قصيدة مشهورة عند العلماء بالمغرب ، وهي من در النظام وحر الكلام ، وقد ضمنها ذكر البلاد التي رءاها في ارتحاله من قسنطينة إلى مراكش (1) .

قلت فيه نظر ، العبدري لم يلقه ولم يجدْ مَن يروى عنه قصيدته وإنما لقِي مَن أدركه ، قال العبدري في رحلته سألت عنه (يعني ابن الفكّون) حسن بن بلقاسم بن بادس بقسنطينة ، فذكر لي أنه أدركه وهو طفل صغير ، ولم يحفظ له مولداً ولا وفاة ، ورمتْ أن أجد مَن أروي عنه قصيدته المشهورة في رحلته من قسنطينة الى مراكش فلم أجده فقيدتها هناك غير مروية (2) .

ثم اعترض عليه في هذه القصيدة في مواضع منها في ترجمته .

وقال في (الجذوة) ودخل مدينة فاس في رحلته لمراكش ، لـه قصيدة مشهورة في رحلته من قسنطينة إلى مراكش كتب بها إلى أبي البدر ابن مردنيش وهو بقسنطينة ، وهي :

ألا قـل للسريّ ابن السـريّ ... أبي البدر الجواد الأريحـيّ
أيا مغنى السيادة والمعـالي ... ويابحرْ الندى بدر النـديّ
أما وبحقـك المبـدي جـلالا ... وما قـد حـزت من حسَبٍ علـي
وما بيني وبينك من ذمـام ... وما أوتيتَ من خلُـق رضـي
لقد رمت العيـون سهـامَ غنـج ... وليس سوى فؤادي من رمـيّ
فحسبك نار قلبي من سعيـر ... وحسبك دمع عيني من أتـيّ
وكنت أظنّ أن الناس طـراً ... سوى زيد وعمْرو غير شـي

---

1) نفح الطيب 2 : 483 .

2) الرحلة المغربية ص 33 طبع الرباط .

فلما جيئت ميلة (1) خيـــر دار … أمالتني بكـل رشا أبـــــي
وكم أورت ظباءُ بنـــي ورار (2) … أوار الشـوق بالريـق الشهـي
وجيئت بجاية (3) فجلت بـــدوراً … يضيق بوصفهـا حرفُ الــرويّ
وفي أرض الجزائر هام قلبــي … بمعسول المـراشـف كـوثـري
وفى مليانة (4) قد ذبتُ شوقـاً … بلين العطف والقلب القســي
وفى تَنَس (5) نسيت جميل صبري … وهمت بكل ذي وجه وضـــي
وفى مازونة (6) ما زلت صبّـاً … بوسنان المحاجر لوذعــــي
وفي وهران قد أمسيت رهنـاً … لظامي الخصـــر ذي ردف روي
وأبدت لي تلمسان بــــدوراً … جلبن الشوقَ للقلب الخلـي
ولما جئت وجدة همتُ وجـداً … بمنخنث المعاطف معنـــوي
وفى تازا (7) غزا قلبي مليـــح … وقال اعشقْ عن الأمر السمــي
وحلّ رشا الرباط (8) رشا رباطي … وتيّمني بطرف بابلـــــي
وأطلع قطر فاس لي شموســاً … مغاربهُن في قلبي الشجـــي
وما مكناسة إلا كنـــــاس … لأحوى الطرف ذي حسن سنـــي

---

1) ميلة مدينة عتيقة تبعد 49 كلم عن قسنطينة الى الشمال الغربى منها .

2) وفى بعض النسخ : بنى اوار ؛ ولم نستطع تصحيح الاسم ولا تحديد موقعه ، وهو واقع بين ميلة وبجاية .

3) بجاية من حواضر المغرب العربى الكبرى وعواصم ممالكه ؛ مدينة ساحلية تقع بين الجزائر وعنابة .

4) مليانة احدى حواضر المغرب الأوسط ؛ تقع فى الجنوب الغربى لعاصمة الجزائر فى الطريق بينها وبين الاصنام .

5) تنس بفتح التاء والنون مدينة ساحلية جميلة بالقطر الجزائرى واقعة فى منتصف الطريق الساحلى بين الجزائر ووهران ؛ وكثيراً ما تلتبس كتابتها على النساخ بتونس وتنيس .

6) مازونة : قرية شهيرة بعمالة وهران قريبة من مرسى مستغانم ؛ اشتهر أهلها بالعلم وتبحرهم فى الفقه ؛ واليها نسبة (النوازل المازونية) .

7) هذا البيت يرد فى بعض الكتب دون بعض ؛ ويظهر أنه أقحمه شاعر ظريف فى القصيدة ليثبت جميع محطات الرحلة وهو يجهل أن الرباط المذكور فى البيت التالى لا يعنى محطة أخرى غير تازة .

8) الرباط يراد به رباط تازة ؛ وبه كانت تعرف مدينة تازة الحالية فى القديم .

وإن تسأل عن أرض سلا ففيهـا ظباء صائدات للكمـي
وفي مراكش ياويح قلبـي أتي الوادي فطمٌ على القـري
بدور بل شموس بل صبـاح بهيٌ في بهيٌ في بهـي
أتحن مصارع العشاق لمـا سعيْن به فكم ميت وحـي
بقامة كل أسمر سمهـريٌّ ومقلة كل أبيض مشرفـي
إذا أنْسَونِيَ الولدانَ حسنـاً أنسيّهم هوى غيلان (1) مـي
فها أنا قد تخذت الغـربَ داراً وأدعى اليوم بالمراكشـي
على أن اشتياقي نحو زيـد كشوقي نحو عمرو بالسـوي
تقسمني الهوى غرباً وشرقـاً فيالَلْمشرقي المغربـي
فلي قلب بأرض الشرق عـانٍ وجسم حلٌ بالغرب القصـيٌّ
فهذا بالغدو يهيمُ غربـا وذاك يهيم شرقاً بالعشـي
ولولا الله متُّ هوى وشوقـاً وكم لله من لطف خفـيٌّ

قال في (عنوان الدراية) عند ذكر الشريفة عائشة في ترجمة والدها أبى الطاهر عمارة بن يحيى ابن عمارة ما نصه : ومن شعر الشريفة عائشة رحمها الله .

أخذوا قلبي وسـاروا واشتياقي أودعونـي
لا هَنَا إن لم يعـودوا فاعذروني أو دعونـي

ويقال إنها بعثت بهما الى ابن الفكون شاعر وقته ، وقالت عارضْهما أو زد عليهمـا ، فكتب لهـا معتذراً عن الجـواب أن الاقتصار عليهما هـو الصـواب (2) .

وذكر في (نفح الطيب) حفيده عالم قسنطينة وصالحها وكبيرهـا

1) هو الشاعر المشهور ذو الرمة ومية صاحبته .

2) عنون الدراية ص 48 طبع بيروت .

ومفتيها سلالة الأكابر ، ووارث المجد كابراً عن كابر ، المؤلف العلامة سيدي عبد الكريم الفكون عالم المغرب الأوسط غير مدافع ، المائل للتصوف (1) .

وقال في (عنوان الدراية) : كان المترجم الحسن ابن الفكون من الأدباء الذين تستظرف أخبارهم ، وتروق أشعارهم ، غزير النظم والنثر ، وكأنهما أنوار الزهر ، رحل الى مراكش وامتدح خليفة بني عبد المومن ، وكانت جائزته عنده من أحسن الجوائز ، وله رحلة نظمها في سفرته من قسنطينة الى مراكش ، ووافق في مقامه بمراكش طلوع الخليفة لزيارة قبر الامام المهدي رضي الله عنه فنظم في ذلك (2) ، وله ديوان شعر وهو موجود في أيدى الناس ومحبوب عندهم ، وهو من الفضلاء النبهاء ، وكان رفيع المقدار ، وممن له الحظوة والاعتبار ، وكان الأدب له من باب الزينة والكمال ، ولم يكن يحترف به لاقامة أود أو لاصلاح حال ، وأصله من قسنطينة من ذوي بيوتاتها ، ومن كريم أروماتها ، وتواشيحه مستحسنة ، ومن مليح شعره :

دع العراق وبغداداً وشامَهُمُ ... فالناصرية ما إن مثلها بلد
بر وبحر وموج للعيون به ... مسارح بأن عنها الهمُّ والنكَد
حيث الهوى والهواء الطلق مجتمع ... حيث الغنا والمنى والعيشة الرغد
والنهر كالصل والجنات مشرفة ... والنهر والبحر كالمرءاة وهو يد
فحيثما نظرت راقت وكل نوا ... حي الدار للفكر والأبصار تتقد
إن تنظر البرَّ فالأزهار يانعة ... أو تنظر البحرَ فالأمواجُ تطرد
ياطالباً وصفها ان كنت ذا نصف ... قل جنة الخلد فيها الأهل والولد

والناصرية هي بجاية واشتهرت بالناصرية في ذلك العصر نسبة الى مجددها .

---

1) نفح الطيب 2 : 480 وترجمة عبد الكريم الفكون توجد فى صفوة من انتشر ؛ ورحلة العياشى ؛ واليواقيت الثمينة 1 : 232 .

2) ربما كانت هى القصيدة التى أوردها عبد الواحد المراكشى غير منسوبة فى كتابه المعجب .

ثم قال : ومن نظمه رحمه الله تعالى هذه القصيدة القافية والقطعة الميمية التى ذكر بعدها ، نظمها في بعض سادات بني عبد المومن رحمهم الله تعالى ، قال في سياق ذكره وقد ذكروا جمال قصر الربيع :

عشونا إلى نار الربيع وإنمـــا عشونا الى نار الندى والمحلـــق
ركبنا بواديه جيـــاد زوارق نزلنا اليها عن ضوامر سبـــق
وخضنا حشاه والأصيل كأنـــه بصفحته يبدو مروق زنبـــق
وسيدنا قد سار فيه كأنـــه بزورقه إنسان مقلـــة أزرق
فقلت وطرفي يجتلى كل عبـــرة وزورقه يهوي به ثم يرتقـــي
أياعجباً للبحر عبٌ عبابـــه تجمع حتى صار في بطـــن زورق
ولما نزلنا ساحة القصر راعنـــا بكل جمال مبهج الطرف مونـــق
فما شئت من ظل وريف وجـدول وروض متى تلمم به الريحُ يعبـق
وشادٍ مغاني الحسن في نغماتـه يجاوبه شدوُ الحمام المطـــوق
فياحسن ذاك القصر لا زال آهـلا ورياطيب ريا نشره المتنشـّـــق
رتعنا به في روضة الأنس بعد مـا هصرنا به غصن المسرة مـــورق
ويضحكنا طول الوصال وربمـــا يمر على الأوهام ذكر التفـــرق
فتضحي مصونات الدموع مدالـة ونحن على طرف من الدهر أبلـق
لمثلهما من منزه ونزاهـــة يجرر ذيلَ الدل كل موفـــق
فلله ساعات مضين سوانـــح عليهن من زي الصبا أي رونـــق
خلعنا عليها النسك إلا أقلـّــة وان عاودت نخلع عليها الذى بقي !

ولما نضب ماء الأصيل ، ورق نسيمه العليل ، وهم العشي بانصرام ، ووداع النهار بسلام ، وأرخى الليل فوقنا سدوله ، وجرد على الأفق ذيوله ، عدنا الى زورقنا ذلك ومحيا الجو غير محتجب ، ووجه الأفق غير متلفع بثوب الغمام ولا منتقب ، وقد تشكلت الكواكب في الماء ، فكأنما يجري بنا زورقنا في السماء ، فأمروا أعزهم الله بوصف تلك الحالة ، فبادرتهم بهذه العجالة :

وليل مسرة ما زلت منهـــا أمرُّ على صراط مستقيـــم
لبست ثيابه عزاً الـــى أن تحدرت الرجوم من النجـــوم

بنهر كالسجنجل قد تــــــــراءت | على شطيه جنات النعيـــــــــم
يسر النفس في نظر وشـــــــم | من المرأى الوسيم أو النسيـــم
تشكلت الكواكب فيه حتـــــــى | جرت في قعره شهب الرجـــوم
وأشكل منظراً علواً وسفـــــــلا | من الفلك الأثير الى التخـــوم
فما تمتاز أرض من سمـــــــاء | وحوت الماء من حوت النجوم (1)

394) الحسن بن عبد الرحيم المرادي

الحسن بن عبد الرحيم بن محمد بن علي بن عبد الرحمان البكرى المراكشي ثم الدمشقي ، بدر الدين بن النجم سبط الشيخ أبي شامة ، ولد في جمادى الأخيرة سنة 660 ، وكان جندياً وسمع من ابن عبد الدائم مشيخته تخريج ابن الظاهري ومن ابن أبى اليسر وجماعة ، وأجاز له عبد الكريم بن عبد الصمد الخرستاني وعبد الله بن أحمد بن طعّان وغيرهما وحدث .

ومات في 28 ربيع الأول سنة 722 .

ذكره في الدرر الكامنة (2) .

395) حسن بن قاسم ابن أم قاسم المرادي

حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المراكشي ، الامام العالم النحرير بدر الدين المالكي الشهير بابن أم قاسم لامرأة تبنته تدعى أم قاسم ، كـانت من بيت السلطان ، كـان اماماً في العربية ، شرح ألفية ابـن مالك والتسهيل وغيرهما ، وصنف كتاباً في معانى الحروف نظماً وشرحه ، ورأيت بخط العلامة شهاب الدين الأبذى ما صورته ، قال محمد بن أحمد بن حيدرة الأنصاري معرفاً للشيخ المرادي انه شـرح الجزولية والكافية والشافيـة والتسهيل والفصول لابن معطي والحاجبية النحوية والعروضية والشاطبية ، وكان عارفاً بالفقه المالكي والأصول ، وله كرامات كثيرة ، منها أنـه رأى

---

1) عنوان الدراية ص 334 ع 103 .

2) الدرر الكامنة 2 : 100 ع 1514 .

النبي (ص) في النوم فقال له : ياحسن اجلس انفع الناس بمكان المحراب بجامع مصر العتيق بجوار المصحف ، انتهى .

وقد ذكره العفيف المطري في ذيل طبقات القراء فقال المصري المولد الأسفي المحتد ، اللغوي الفقيه البارع بدر الدين المعروف بابن أم قاسم ، وهي جدته أم أبيه واسمها زهراء ، وكانت أول ما جاء تمن الغرب عرفت بالشيخة ، وكانت شهرته تابعة لشهرتها .

وقال أخذ العربية عن أبي عبد الله الطنجي ، والسراج الدمنهوري ، وأبي زكرياء الغماري ، وأبي حيان ، والفقه عن الشرف المغيلي ، والأصول عن الشيخ شمس الدين ابن اللبان ، وأتقن العربية والقراءات على المجد اسماعيل الشستري ، وصنف وتفنن وأجاد ، وذكر من مصنفاته غير ما تقدم شرح المفصل وسمى كتابه في حروف المعاني بالجنى الداني ، وذكر أن وفاته يوم عيد الفطر سنة 749 ، وقد رايت بخطي ولا أدري من أين نقلته وكانت وفاته سنة 755 فالله أعلم .

انتهى من الدرر الكامنة (1) .

وذكر أبو الخير محمد بن محمد الجزار المتوفي سنة 833 في (غاية النهاية) في طبقات القراء في ترجمة المترجم : وله تفسير القرآن في عشر مجلدات أتى فيه بالفوائد الكثيرة ، وإعراب القرآن ، وأفرد باب وقف حمزة في مصنف ، وذكر فيه احتمالات أكثرها لا يصح ، ثم ذكر بعد تاريخ وفاته ودفن بسر ياقوس .

وذكره في (حسن المحاضرة) في أئمة النحو واللغة الذين كانوا بمصر (2) .

1) الدرر الكامنة 2 : 116 ع 1546 .

2) المترجم ليس مغربياً وان كان أصله من اسفى أو مراكش ؛ فلست ادرى لماذا ذكره المؤلف وهو ليس من شرطه ؛ المجرد انتمائه الى أصل مراكشى ؟

396) **الحسن بن عمر الفودودي** الوزير ، كانت بينه وبين ولي العهد أبى زيان محمد بن السلطان أبى عنان نفرة مستحكمة لما بلوا من سوء طويته وشر ملكته، فاتفق الوزير المذكور مع مَن كان على رأيه من أهل مجلس السلطان على تحويل الأمر عنه إلى غيره من أبناء السلطان، فأجمعوا أمرهم على الفتك به والبيعة لأخيه أبى بكر السعيد طفلا خماسياً ثم أغروا الوزير مسعود بن عبد الرحمان ابن ماساي بتطلب أبى زيان ولي العهد فى نواحى القصر والتقبض عليه ، فدخل اليه وتلطف فى إخراجه من بين الحرم وقاده الى أخيه السعيد فبايع ، وتل إلى بعض حجر القصر فأتلفت فيها مهجته ، واستقلّ الحسن ابن عمر بالأمر يوم الأربعاء الرابع والعشرين من ذى الحجة من سنة 759 والسلطان أبو عنانٍ أثناء ذلك يجود بنفسه ، وارتقت الناس دفنه يوم الخميس والجمعة بعده فلم يدفن ، فارتابوا وفشا الكلام ، فدخل الوزير — زعموا — إليه بمكانه من قصره ثم غطه حتى أتلفه ودفن يوم السبت ، وحجَب الحسن بن عمر الولد السعيد المنصوب للأمر ، وأغلق عليه بابه وتفرد بالأمر والنهي دونه ، وهذا أول مرض نزل بالدولة المرينية (1) .

وقال فى (الجذوة) : توفي السلطان أبو عنان قتيلا خنقه وزيره الحسن بن عمر الفودودي يوم السبت الثامن والعشرين من ذى الحجة سنة تسع وخمسين وسبعمئة وسنه يوم توفي ثلاثون سنة ، ثم إن أخاه السلطان ابراهيم المريني لما استولى على ملك فاس والمغرب عقد للحسن بن عمر على مراكش ووجهه إليها تخففا منه وريبة بمكانه من الدولة ، فاستقر بها وتأثلت له بها رياسة نفسَها عليه أهل مجلس السلطان وسعوا فيه عنده حتى تنكر له وأظلم الجو بينهما ، وأحسَّ الحسن بن عمر بذلك فخشي على نفسه وخرج من مراكش فى صفر سنة إحدى وستين وسبعمئة فلحق بتادلة منحرفا عن السلطان ومرتكبا للخلاف ، فتلقاه بنو جابر من عرب جشم وأجاروه واعصوصبوا عليه ، فسرح اليه السلطان ابراهيم وزيره الحسن بن يوسف الورتادي فاحتل بتادلة وانسحب الحسن بن عمر الى الجبل بها فاعتصم به ومعه كبير بنى جابر، الحسين بن علي

---

1) تاريخ ابن خلدون 7 : 621 طبع بيروت .

الورديغي ، فأحاطت به العساكر وأخذوا بمخنقهم ، وداخل الوزير بعض أهل الجبل من برابرة صناكة في الثورة بهم وسرب اليهم المال ، فثاروا به وانفض جمعهم ، وتقبضوا على الحسن بن عمر وقادوه برمته الى الحسن بن يوسف فاعتقله وانفكأ راجعاً به إلى الحضرة فدخلها في يوم مشهود ، أركب السلطان فيه الجند وجلس ببرج الذهب مقعده من ساحة البلد ، وحمل الحسن بن عمر على جمل فطيف به بين تلك الجموع ، ولما قرب من مجلس السلطان أومأ إلى تقبيل الأرض من فوق جمله ، ثم ركب السلطان إلى قصره وانفض الجمع وقد شهر الحسن بن عمر وأصحابه فصاروا عبرة لمن اعتبر ، ولما دخل السلطان قصره جلس على كرسيه واستدعى خاصته وجلساءه وأحضر الحسن بن عمر فوبخه وقرر عليه ذنوبه فتلوى بالمعاذير وفزع إلى الانكار .

قال ابن خلدون وحضرت هذا المجلس يومئذ فيمن حضره من العلية والخاصة ، فكان مقاماً تسيل فيه العيون رحمة وعبرة ، ثم أمر به السلطان فسحب على وجهه ونتفت لحيته وضرب بالعصي وتل إلى محبسه ثم قتل بعد ليالي قصعاً بالرماح خارج البلد ، وصلب شلوه بباب المحروق رحمه الله (1) .

397) **حسن بن علي المراكشي** ، الشيخ الامام الأوحد مؤلف (جامع المبادىء والغايات ، في علم الميقات) وهو أعظم ما صنف في هذا الفن ، أوله أما بعد حمد الله والصلاة على محمد ذكر أنه رتبه على أربعة فنون ، الأول في الحساب وهو يشتمل على سبعة وثمانين فصلا ، والثاني في وضع الآلات وهو يشتمل على سبعة اقسام ، الثالث في العمل بالآلات ، وهو مشتمل على خمسة عشر باباً ، الرابع في مطارحات يحصل بها الدربة والقوة على الاستنباط وهو يشتمل على أربعة أبواب في كل منها مسائل على طريق الجبر والمقابلة .

ذكره في (كشف الظنون) في حرف الجيم ، وقال في حرف الألف ءالات التقويم لأبي علي المراكشي .

---

1) تاريخ ابن خلدون 7 : 642 .

وقد طبع نصفه المترجم الى اللغة الفرنسية في مجلدين ، وهـو بالمكتبة الرباطية ، ولم نقف على نسخة منه تامة بالمغرب بعد البحث عنه ، وهو موجود بالمكتبة الوطنية بمصر .

وقال في (صبح الأعشي) عند الأصل الخامس : علم الهيأة وفيه خمسة علوم ، الأول علم الزيجات ، والثاني علم المواقيت ما نصه : ومـن المبسوطة (جامع المبادىء والغايات) لأبي علي المراكشي ، الثالث ، علم كيفية الأرصاد ، الرابع علم تسطيح الكرة ، ثم قال ومن الكتب المحدثة فيه : آلات التقويم للمراكشي .

انتهى من صحيفة 477 من ج 1 .

وقال في (معجم المطبوعات) صحيفة 1725 ما نصه : المراكشي أبو علي أو أبو الحسن علي بـن عمر المراكشي نبغ سنة 627 جامـع المبادىء والغايات في علم الميقات ومعه ترجمة فرنسية ، وفيه 38 لوحة مرسومة ، جزء في پاريس 1834/5 ص 630 ، وذكر في الحاشية بالفرنسية مـا ترجمته : وقال المؤرخ سيديو في (خلاصة تاريخ العرب) ما نصه : وأبو الحسن الذى جاب فـي أول القرن الثالث عشر من البلاد جزيرة اسپانيا وجزءاً من شمال افريقية ، وحدد ارتفاع القطب الشمالي في احدى وأربعين مدينة ، أولهـا افرانة على الساحل الغربي من بلاد المغرب وأخرها القاهرة وألف كتابـه البدايات والنهايات .

وذكر في هامش المحاضرات السنيور كرلو نلينو في علم الفلك بعد أن ذكر المترجم بأبي علي الحسن المراكشي صفحة 42 منها ما نصه : المتوفي سنة 660 هـ (1262 م على التقريب) ، وفي بعض النسخ وفي النقل الفرنسي أسمه أبو الحسن علي فهو غلط ، وهو أول من ذكر السوائع المتساوية التى لم يستعملها اليونان ، فقد كان الأقدمون يقسمون كل نهار وليلة الى اثني عشر قسماً ، وكانت هذه الأقسام تختلف قِصَراً وطولا بحسب الفصول ، وذلك ما يسمى بالسوائع الوقتية بالنسبة لما اصطلح عليه من السوائـع

المتساوية ، وقد احتفظ المعاصرون بهذه السوائع الأخيرة ، ويظهــر أن الفضل في ذلك يرجع إلى أبي الحسن علي نفسه ، نبه عليه مسيو بيكوردان عضو معهد التنجيم بباريس في كتابه (علم التنجيم) .

398) **حسن الشوشاوي** ، الفقيه الأصولي له شرح على تنقيح الامام القرافي ، ذكره في (كشف الظنون) .

399) **الحسن بن محمد الوزان الفاسي**

الحسن بن محمد القرطبي المعروف بالأسد الأفريقي ، ساح في إفريقية وبعض آسيا في القرن العاشر ، وعمل في ذلك رحلة دون فيها ما شاهده ، وقال بعضهم حسن بن محمد الوزان الغرناطي ، ثم الفاسي الشهير في أوربا بجان ليون ، قرأ بفاس بعد أن سكنها ، كان ركب البحر فأسره الطليان وذهبوا به لسلطانهم ، وهو الذى أسس تعليم العربية برومة ، وكان يحسن اللسانين الطالياني والصبانيولي ، ورحلته هذه باللسان الأعجمي في ثلاثة أجزاء ضخام ، طبعها المؤرخ شفير الفرنسي في پاريس عام 1895 م ، وعلق بهامشها فوائد وتنبيهات من كلام مرمول في تاريخ أفريقية له ، وبكلام غيره (1) . وسيأتى فيمن اسمه محمد ولد المترجم محمد بن الحسن الوزان .

400) **الحسن بن علي بن ابراهيم الدرعي** ، الولي الصالح الزاهــد الورع ، كان رضي الله عنه من المكثرين للصلاة على النبي (ص) آناء الليل وأطراف النهار ، مشغولَ الفكرة بها مدة ثلاثة وسبعين عاماً ، كثير الاجتماع به (ص) في المنام ، أخذ عن سيدي علي بن ابراهيم وأبي عمر الفيلالي المعروف بالعناية وغيرهما ، وكثيراً ما يجرى على لسانه (قل الله ، ثم ذرهم في خوضهم يلعبــون) .

توفي رحمه الله يوم عرفة سنة تسع وسبعين وتسعمئة ، ودفن بصحن ضريح الامام الجزولي بازاء قبة الامام البقوري ، وقبره مزدج في حائطه رخامةُ وفاتهِ وترجمتِه .

---

1) قصر المؤلف تقصيراً مخلا فى التعريف بهذا النابغة المغربى العظيم المولود سنة 1496 م (915 هـ) ؛ ينظر عنه **حياة الوزان الفاسى وآثاره** تاليف محمد المهدى الحجوى .

401) **الحسن بن سعيد الشريف الحسني** ، الشيخ الفاضل ، العالم العامل ، المتعلق بالفواضل والفضائل ، أخذ عنه سيدي محمد الكامل بن الشيخ أبي عمرو المراكشي صغرى السنوسي .

ذكره في شمس المعرفة .

402) **الحسن المداح** ، سأل الله تعالى أن يريه صاحب وقته متوسلا بالشيخ أبي يعزى ، فدُلَّ على سيدى أبى عمرو المراكشي ، فلازمه نحواً من ثلاثين سنة حتى ادعى بعده الكبرى ، وله كلام في الحقيقة نظماً ونثراً كغيره من خاصة الأصحاب .

ذكره الزروالي .

403) **الحسن السريفي** تلميذ الشيخ علي بن عثمان اليروتني ، وفي (الدوحة) أعجوبة اتفقت له مع تلميذه الحسن السريفي المذكور أخذ عنه وأقام في خدمته مدة من السنين الى أن اشتهر حاله وانتشر صيته وكثر أتباعه، وانتقل إلى موضع يقال له أبو نين ؟ فعمر سوقه وشاع في المغرب خبره ، وظهرت على يده كرامات لا تحصى ، فرأى أنه أبلغ من شيخه وأنف من الانتساب اليه ، وذهب الى مراكش مع تلامذته للأخذ عن شيخ شيخه سيدي أبي محمد الغزواني ، فلقيه وانتسب اليه وترك النسبة الى شيخه اليروتني ، ولما رجع من الزيارة أقام الشيخ اليروتني مدة ينتظر زيارته له فلم ياته ، فقال لأصحابه اعزموا على السفر إلى زيارة الشيخ عبد السلام ابن مشيش بجبل العلم،ويكون جوازنا على صاحبنا السريفي،فلما جاوزوا عليه نزل الشيخ اليروتنى بالمسجد الأعلا من مساجد المدشر وبعث إليه فلم يأته وبعث إليه بالطعام ، فقال الشيخ اليروتني لأصحابه قوموا بنا ولا تاكلوا شيئاً من هذا الطعام ، إنما جئنا للأمانة التي كانت لنا هاهنا وقد حملناها فانصرفوا ، ثم رأى السريفي فيما يرى النائم أن قمراً خرج من صدره وصعد الى السماء وكان ذلك بسبب سلب الحكمة عنه ، فما اجتمع اليه بعدها اثنان ، وبقي على ذلك الى أن مات ، ولما بلغ ذلك الشيخ سيدي محمد الغزواني قال ذلك جزاء من يكفُر باحسان صاحبه (1) .

---

1) دوحة الناشر ص 28

404) **الحسن بن أحمد المسفيوي المراكشي**، الفقيه الكاتب المحقق البليغ البارع (1) ، وقد لقي المترجم أحمد ابن القاضي وأنشد عنه في كتابه (المنتقى المقصور) ، وقال في (النفح) : وما أنشدينه بعد العصريين من المغاربة لصاحبنا المذكور الفقيه الكاتب المحقق الحسن بن أحمد المسفيوي المراكشي أحد مشاهير الكُتاب بباب أمير المومنين المنصور بالله أحمد الشريف الحسني ملك المغرب صب الله تعالى على الجميع أمطار الرضوان مما كُتب في بعض مباني صاحبنا الوزير العلامة الأجل سيدي عبد العزيز الفشتالي رحمه الله تعالى وهو :

أجل المعلَّى من قداح سروري ... وأدر كؤوس الأنس دون شرور
خلعت على عطف البهاء محاسني ... فكست بها الآفاق ثوب حبور
وتناسق الوشيُ المفوف حلتي ... نسق الشذور على نحور الحور
شأو القصور قصورها عن رتبة ... لي بالسنا المدود والمقصور
فى المبتنى المراكشي وأفقه ... أزرى علي الزوراء والخابور
أعلا مقامي البارع الأسما الذى ... قد حاز سبق النظم والمنثور
فاذاً أقل بنانه اقلامَه ... نفثت عقود السحر بين سطور
عبد العزيز أخو الجلالة كاتب ... سر الخليفة أحمد المنصور
لازال فى يمن وأمن ما شدت ... ورق بروض بالندى ممطور

وبعضه كتبتُه بالمعنى من لفظي لطول العهد ، انتهى (2) .

ونقلها من النفح أيضاً فى (النزهة) ، وقال بعد إيرادها ما نصه : وقد ذكر فى (نفح الطيب) مراسلة كتب بها إليه فراجعها .

---

1) اورد المؤلف بعد هذا عبارة (جذوة الاقتباس) المتعلقة بانشاد المترجم لاحدى موشحات السلطان أحمد المنصور الذهبى ؛ وهى عبارة عامية توهم أن الموشحة للحسن المسفيوى مع أنه انما انشدها رواية عن سلطانه ؛ ومن الثابت الصحيح أن الموشحة هو للمنصور لا للمسفيوى ؛ والمؤلف نفسه أوردها فى ترجمة المنصور من هذا الكتاب (ج 2 ص 252 ع 217) ؛ فلم نر داعياً لاثبات الموشحة من جديد رغم حرصنا الشديد على عدم التصرف فى نص الكتاب بزيادة ولا نقص ؛ وذلك تجنيباً للباحثين والدارسين من الوقوع فى أخطاء وقع فيها المؤلف أو من ينقل عنهم .

2) **نفح الطيب** 6 : 49 طبع بيروت .

وكانت وفاته يعنى الحسن المترجم رحمه الله سنة اثنتين وثلاثين والف حسبما ذكره صاحبنا فى (الأعلام) ، وإلى تاريخ وفاته أشار الأديب الكاتب محمد بن أحمد المكلاتي فى لاميته فى الوفيات فقال :

يد الدهر أمست وهي شلاً لصاحب   به جيد هذا الدهر غير معطل

وما في ص 76 من الجزء الثالث من (الاستقصا) من تكنيته بأبى الحسن وتسميته علي بن أحمد سبق قلم (1) .

405) **الحسن الشريف** صاحب الأحوال بمراكش .

توفي سنة سبع وستين وألف .

ذكره فى (تذكرة المحسنين) .

406) **الحسن بن علي السملالي** ابن الولي الصالح سيدى أحمد بن موسى السملالي ، العبد الصالح ، كان رحمه الله عالماً عاملا من البُلْه في أمور الدنيا مع قوة إدراكه فى العلوم ، أخذ عن سيدى عبد الله بن يعقوب ، وسيدى علي بن أحمد الرسموكي ، وأخيه الحافظ سيدى محمد بن علي وغيرهم ، وكان يدرس التفسير بجامع الحرة ، وكان من شدة ورعه ينقل كلام المفسرين فيقول قال ابن عطية ما نصه : فسيرده بلفظه ، ثم إذا فرغ منه يقول انتهى بلفظه ، وقال فلان وهكذا كل ذلك من تحريه فى النقل ، ولم أسمع بهذا الورع من غيره ، وكان رحمه الله معظماً عند السلاطين مقبول الشفاعة عندهم غير متصنع فى الكلام لهم ، ولذلك يُحكَى أن السلطان الرشيد (بن الشريف العلوي) رحمه الله سأل عنه حيث كان بمراكش وقال ما له لا ياتينا مع العلماء ؟ فقيل له إنه رجل مغفل لا يتصنع ولا يعرف من المباشرة ما يعرفه أبناء جنسه ، وإن أردت حقيقة ذلك فاسأله عن أل الموصولة هل تدخل على الفعل المضارع فانه يقول لك لا محالة تدخل ، وينشد قول الفرزدق :

---

1) ولد المترجم سنة 968 هـ ينظر عنه روضة الآس ص 163 ونفح الطيب 6 : 49 ودرة الحجال 1 : 240 ع 357 طبع تونس .

ما أنت بالحكم الترضي حكومته ! بتاء الخطاب ، فبعث له فكان رده كما أخبر به عنه ، فعلم بصحة ما قيل فيه .

توفي رحمه الله فى عشرة الثمانين والف ، ودفن بحاحة ، ثم نقل لمراكش فدفن داخلها قريباً من جامع الحرة ، وبنيت عليه قبة .

ترجمته في (الصفوة) و (طبقات الحضيكي) وذكر فى (المرقي) عند ذكر تلامذة سيدى محمد الشرقي (1) .

وسياتي ذكره فى الترجمة التى بعده وهي :

407) **الحسن بن علي الهلالي الهشتوكي** كان رحمه الله مجتهداً فى التعليم والتعلم، وحفظ كتبه كلها عن ظهر قلب، خليلا، وجمع الجوامع، وتلخيص المفتاح، والكبرى ، ومختصر السنوسي فى المنطق ، حفظاً جيداً ، وكابد فى ذلك مشقة عظيمة إلى أن نال من ذلك حاجته وبلغ مراده ، له معرفة جيدة لمختصر الشيخ خليل يقرره تقريراً عجيباً ، وكان فيه محرراً لبيباً ، وله معرفة بغيره من العلوم ، وقد تصدر لقراءته بالزاوية البكرية بالجامع الكبير ، فقرأه قراءة بحث وتحرير وتدقيق ، أخذه عن شيوخ جلة منهم القاضى ابن سعيد المجلدي ، ورحل لفاس فأخذ عن شيوخه كسيدى أحمد بن الحبيب الأبار والشيخ ابن سودة وسيدى ميارة ، وأخذ الأصول عن سيدى عبد القادر الفاسي ، وأخذ قبل على علماء بلده سوس برودانة ، ثم منها إلى مراكش فأخذ عن علمائهـا كالشيخ سعيد الهوزالي ، والشيخ المزوار ، وعيسى السجتاني ، والرحالة أبى بكر بن يوسف وغيرهم ، وتولى القضاء بمدينة مراكش ، وتوفي بها بالوباء الواقع آخر العشرة العاشرة من المئة بعد الألف ، وأخذ عن الامام اليوسى أيضاً ، وأخذ عنه صاحب قرى العجلان فترجمه فيه وترجمه الحضيكي فى طبقاته نقلا عنه(2) ، ونقل عنه عالم مراكش أحمد بن سليمان الرسموكي فى كتابه (معونة الاخوان ، على مسألة أولاد الأعيان) جواباً له وحلاه بالقاضى العلامة الهمام

---

1) صفوة من انتشر ص 203 وطبقات الحضيكى 1 : 186 .

2) طبقات الحضيكى 1 : 181 .

شيخ بعض شيوخنا سيدى الحسن بن علي الهلالي ، ونص السؤال مع جوابه :
الحمد لله إذا انقرض مَن رجع إليه الوقف من البنات والأخوات هل يرجع لمَن هو أحقُ بميراثهن من الأولاد والاخوان أو ينتقل لعصبة المحبس بعدهن ؟
الحمد لله ، وعليك السلام أيها المحب ، إذا علمت أن الملك للواقف وأن الحكم في استحقاق الانتفاع به شدة القرب من المحبس والفقر ، وأن مفهوم المرجع شرعاً مقول على موارده بالتواطىء وأن صدقه فى البنات من حيث وجود هذا الوصف فى كل من يدلي به ، وإذا اعتبرته فيمَن هو أولى بميراث البنات ووجد فيه كان استحقاقه حينئذ من حيث وجد فيه هذا الوصف كما كان موجوداً فى البنات حيث أنه أولى بميراث البنات ، كما أنه لا استحقاق للبنات من حث أنهن بنات ، والحاصل أنك إذا اعتبرت الوصف المعتبر شرعاً فى كل من يدلي بالمرجعية من أقارب المحبس طرداً وعكساً زالت عنك الحيرة فى ذلك ، والله المسدد .

انتهى جوابه المفيد العجيب ، أسكنه الله في أعلا الجنان مع الحبيب .

ووقفت على نسخة رسم مؤرخة عام 1107 سجلت على قاضى مراكش محمد بن بركة من رسم مؤرخ عام 1082 ذكر فيه أمر السلطان مولانا الرشيد قاضى القضاة بحمراء مراكش قاضيها ومفتيها وخطيبها ومدرسها الحسن بن علي الهلالي أن ينصب للشرفاء نقيباً وممن شهد فى هذا الرسم محمد بن ابراهيم الهشتوكي ومحمد بن سعيد المرغتي وسعيد بن ابراهيم الهوزالي والأستاذ الواعظ سيدى أحمد بن الحاج الأكاسي ، والفقيه النبيل السيد يحيى بن داوود الهشتوكي ، والجامع بين الشريعة والحقيقة سيدى الحسن بن علي ، والمرابط الخير الفقيه الحسيب السيد الوافي ابن الولي الصالح السيد إبراهيم بن أحمد ، وسيدى أحمد بن العلامة سيدى محمد المرابط الرجراجي عرف بهم وأنه من أهل العدالة إلى أن ماتوا عدى الأخير ، والتعريف به مؤرخ فى 23 شعبان عام 1107 ، والمعرفان : محمد بن أحمد المريني وسعيد .

انتهى ما أمكننى نقله من هذه النسخة لتقطع بعضها ، وذكر فى هذه النسخة الشريف الجليل مولاي عبد الرحمان بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمان بن ادريس العبد السلامي .

408) **الحسن بن إبراهيم البعقيلي** القاطن بتناغملت بعد انتقاله من مراكش المحروسة ، زاره عبد الله محمد السحاقى وحلاه بالعالم العلامة التقي الزاهد الفاضل المبارك واستفاد منه وهو الذى أمره بانتساخ تفسير ابن جزي بعدما شاوره على انتساخ تفسير الواحدي وقال له ان ابن جزي أحسن منه بهذه المقدمة التى قدمها أول كتابه لولاها لتساويا ، فامتثل أمره ، وقال له إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن رد خمسة أشياء : التمر ، واللبن ، والفرش ، واللحم ، والطيب ، وقد جمعها فى بيت وهي هذه :

عن رد خمس قد نهي النبي الحبيب   تمـر ولبـن وفـرش لحـم طيب

وكان رضي الله عنه ذا إنصاف مع سلامة صدر هيناً ليناً مهما سئل عن شيء من الأشياء التى لم يعلم تأويلها يقول للسائل لا أدري لعلم علـم اندرس ، واستوطن بتناغملت فى آخر عمره إلى قرب وفاته ، وانتقل بنفسه فقط دون عياله لبوحم بسبب اشتراطه على العلامة سيدى أحمد الهوزالي ومات فى تلك السنة هنالك ، رحمة الله عليه وقبره مشهور هناك .

409) **الحسن بن مسعود اليوسي**

الحسن بن مسعود بن محمد بن علي بن يوسف بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن علي بن عمْرو بن يوسف وهو أبو القبيلة ، بن داوود بن يدراسن بن يلنتن اليوسي ذكره المترجم فى محاضراته (1) الشيخ الامام ، علم الأعلام ، شيخ الاسلام ، ءاخر علماء المغرب على الاطلاق ، ومَن وقع على علمه وصلاحه الاجماع والاتفاق .

ولد رحمه الله عام أربعين وألف كما فى (النشر) ، وقال فى (الصفوة) نسبة إلى بني يوسي قبيلة فى عداد برابر ملوية ، وأصله اليوسفي نسبة إلى يوسف جدهم ، إلا أنهم يسقطون الفاء من يوسف كما هي لغة أهـل تلك النواحي ، وقد ذكر فى فهرسته أولية أمره فقال كنت فى صغري نفوراً من

---

1) المحاضرات ص 10 .

التعليم ، فكنت أتنكّبُ المكتب وأكمن فى طريق الصبيان حتى إذا خرجوا من المكتب جئت معهم إلى أهلي كأنى قد قرأت معهم ، وسبب ذلك أنى كنت شديدَ الحياء فى صغري حتى كان الحياء يمنعني من ضروريات نفسي ، لأنه ألقي فى وهمي أنه مَن دخل المكتب ، كيف يتأتّى له أن يخرج لقضاء حاجة الانسان ، وكيف يمكنه أن يذكر ذلك ويشاور عليه المؤدب ، فلم يمكنني إلا الهروب ، فمكثت على ذلك مدة ، ثم تُوفيتْ والدتي فتنكرت عليّ الأرضُ وأهلها :

فما الناس كالناس الّذين عهدتهم ولا الدار كالدار التى كنت تعرف

وكان ذلك سبب الفتح ، فألقى الله فى قلبى قبول التعليم ، فدخلت أتعلم ، ولم ألبث إلا قليلا حتى جعلت أطلب من والدي أن يُقربنى إلى الأمصار طلباً للقراءة ، فقربني لناحية القبلة فختمت القرآن العظيم ، ثم رجعت لبلادنا فذهبت لزيارة الولي الصالح سيدى أبى يعزى وقد وقع فى سمعي أن الناس يطلبون الحوائج عنده ، فحضر فى قلبى ثلاث حاجات : العلم ، والمال ، والحج ، وذلك مبلغ عقلي فى صغري ، فحصل ذلك والحمد لله ، وكان معلمي للقراءة هو أبو إسحاق بن يوسف اليوسي ، واستفدت منه فوائد ، وكان عنده مجموع فيه المورد العذب . وبحر الدموع للامام ابن الجوزي ، فكنت آخذه أنظر فيه حكايات الصالحين كأويس القرني ، وإبراهيم بن أدهم ، وإبراهيم الخواص ، وغيرهم ، فانتشرت تلك المآثر فى عقلي ووقعت حلاوتها فى قلبي ، فكان بدءاً لما أنعم الله به علي من الايمان بالطريقة ومحبة أهلها والتسليم لهم ، ثم شرعت فى طلب العلم إلى أن فتح الله علي بما فيه فتح ، وكانت قراءتي كلها أو جلها فتحاً ربانياً ، ورزقت ولله الحمد قريحة وقادة وفطنة ذكية ، فكنت بأدنَى سماع وأدنَى أخذ ينفعني الله ، فقد أسمع بعض الكتاب ويفتح الله علي فى جميعه فتحاً ظاهراً وأبلغ فيه ما لا يبلغه من سمعته منه ، ورب كتاب لم أسمعه أصلا غير أن سماع البعض فى كل فن فكان بدوا للفتح وتتميماً لحكمة الله في سنة الأخذ عن المشايخ ولا تستوحش مما ذكرناه من قلة سماع الكتب والفنون ظناً منك أن الربح يكون أبداً على قدر رأس المال ، كلا فقد يبلغ الدرهم ألف مثقال ، وما ذاك على الله بعزيز .

انتهى من الفهرسة باختصار وزيادة ونقص .

وقال في (المحاضرات) إني أرجو أن أكون إن شاء الله رؤيا والدي ودعوة أستاذي ، أما رؤيا والدي فانه قال رأيت عينيْ ماء إحداهما لي والأخرى لعلي بن عثمان والد ابن عمنا أبي عثمان بن علي اليوسي المتقدم ، والتي هي لي أقوى ماء وأكثر فيضاً إلا أنها خرجت لناحية أخرى ، ففسَّر ذلك بمولودين ينتفع بهما ، فولد لعلي ابن عثمان عثمان فانتفع ونفع حسبما تقدم ، وظهر أنه العين المذكورة لأبيه ، وولدتُ أنا وقد اتفق خروجي عن البلد كما قال ، وأما دعوة أستاذي وهو شيخ الاسلام ، وعلم الأعلام ، مَحمد ابن نـاصر فانه لما قدم من المشرق في حجته الثانية صنعت القصيدة الدالية في مدحه وتهنئته بالحج ، فأدخلها اليه ولده الناسك الفاضل الفقيه عبد الله ، فخرج إلي وقال : يقول لك الشيخ جعلك الله عيناً يسقى منها أهل المشرق وأهل المغرب ، وشمساً يستضيء بها أهل المشرق والمغرب .

انتهى باختصار .

وقد حقق الله الدعوتين ، وأظهر فيه مصداق الفراستين ، فنشأ رحمه الله في العلم بحراً زاخر العباب ، وشمساً منيرة في سائر الآفاق ، وكان معظمُ قراءته في الزاوية الدلائية ، فيها أورى زنده واشتعلت جذوته ، وظهر في مضمار الأذهان تبريزه ، وكان يجول في بلاد المغرب قبل أن يلقي بها عصى التسيار ، فأخذ بسجلماسة ودرعة وسوس ومراكش ودكالة عن عدة مـن المشايخ اشتملت عليهم فهرسته ، وكان لرئيس أهل الدلاء الفقيه محمـد الحاج مزيد اعتناء به واحتفال لما رأى له من البراعة في العلوم والتمهر في الفنون ، فكان عنده بالحظوة التامة ، ولم يزل سيدي الحسن يدرس العلم بالزاوية الى أن استولى عليها السلطان الرشيد بن الشريف ، فثل عرش أهلها وردّ سماءها أرضاً وطولها عرضاً ، وذلك في عام تسع وسبعين وألف ، فنقله السلطان المذكور لمدينة فاس ، فلما احتلَّها أقبلتْ عليه طلبة العلم مثنى وثلاث وتزاحمت على بابه الركب ، فتصدرها للتدريس بجامع القرويين ، ووقع له من الاقبال ما لم يعهد لغيره ، فتخلف عن حضور مجلسه جماعة من أعيان طلبتها ، وغلبهم ما هو المألوف من الطبع الآدمي مع أنهم في الحاجة لاشتغاله ، فقال في ذلك سيدي الحسن :

ما أنصفت فاس ولا أعلامُهـــا علمي ولا عرفوا جلالة منصبـــي
لو أنصفوا لصبوا إليّ كما صبـا راعي السنين الى الغمام الّصيب(1)

ولما بلغهم البيتان أجاب عبد الرحمان ابن شيخ الجماعة عبد القادر الفـاسـي :

بل أنصفت فاس" ومن إنصافهـا أبداً سقوط المدعي والمعجـب.
تنفى الدجاجل عاجلا أو اجـلا منها كنفي قريظـة من يثـرب

ولما وقع الجواب بيد سيدي الحسن طالع به شيخ الجماعة سيدي عبد القادر الفاسي فقال له البادىء أظلم ، وأنت أزلت عنك جلباب الوقار ، وبخست مقدارك بتصديك لمعارضة الأحداث ، وإصغائك لمقال مَن لم يساووك في علم ولا دين .

وذكر سيدي الحسن في بعض رسائله أن حسدته بفاس لم يقنعهم إلا أن سحروه ، فكان اذا صعد لكرسيه بجامع القرويين أصابه صداع عظيم ، فاذا نزل من الكرسي زال عنه ، فلما رأى ذلك تخلى عن التدريس بجامع القرويين ، ووقعت بينه وبين طلبة فاس محاورات في مسائل شتى ، وكان رحمه الله تضلع بالعلوم العقلية وبرز فيها على أبناء وقته ، حتى قال فـي تأليفه المسمى بـ (القول الفصل ، في الفرق بين الخاصة والّفصل) ، إنه بلغ درجة الشيخ سعد الدين التفتزاني والسيد الجرجاني وأضرابهما بحيث يقبل من كلام العلماء ويرد ، وسأله يوماً سائل بدرسه عن مسألة فقال له اسمع ما لم تسمعْه من انسان ، ولا تجده محرراً في ديوان ، ولا مسطراً ببنان ، وانما هو من مواهب الرحمان ، ولّما دخل مراكش تصدر فيها لاقراء علم التفسير بجامع الأشراف ، فمكث في تفسير الفاتحة قريباً من ثلاثـة أشهر وهو يبدي في كل يوم من التحقيق أسلوباً ، ويلقي مـن التحريرات صنوفاً ، فعجب الناس لحسن إلقائه وغزارة مادته ، مع أنه ربما يبيت في ضريح بعض الأولياء والناس معه ، ولا يطالع كتاباً ولا يراجع مؤلفاً ، فاذا أصبح قعد على كرسيه وأطلق لسانه بما يبهر العقول ويحير الأذهان ، ذلك

1) ذكره في ص 73 من **المحاضرات** (مؤلف) .

فضل الله يوتيه من يشاء ، وبالجملة فهو آخر العلماء ، بل خاتمة الفحول من الرجال ، حتى كان بعض أشياخنا يقول هو المجدد على رأس هذه المئة لما اجتمع فيه من العلم والعمل ، بحيث صار امام وقته وعابد زمانه ، ولذلك قال الامام عبد الله العياشي فيه :

مَن فاته الحسنُ البصريُ يصحَبُه فليصحَبِ الحسنَ اليوسيَّ يكفيه (1)

قلت وكأنَّ العياشي ألمَّ في هذا البيت بقول شرف الدين ابن التاج في مدح الشيخ أبي الحسن البكرى :

خوف الضلال أمِنَّا حينَ قام بنا داع لمعرفة بالحق يهدينا
إن فاتنا الحسنُ البصري موعظة عنه أبو الحسنْ البكريُ يُغنينا

أخذ رضي الله عنه علم الظاهر عن جماعة ، منهم قاضي الجماعة عيسى السجتاني ، وسيدي محمد المزوار المراكشي ، وابن ابراهيم الهشتوكي ، وأبو فارس الرسموكي ، وأبو عبد الله ابن ناصر ، واستجاز عبد القادر الفاسي ، ومحمد بن سعيد المرغيثي وغيرهم ممن اشتملت عليه فهرسته ، وأما علم الباطن فعمدته فيه هو الامام مَحمد ابن ناصر ، هو طبيب علته ، ومبرد غلته ، قال فى الفهرسة : وهذا الشيخ هو الذى أخذتُ عنه العهد والورد واليه أنسب ، وكل من نذكره سواه فانه على طريق انتفاع ما ، وكان شيخه المذكور ينوه بقدره ويوصى أصحابه به تعظيماً ويحضهم على اجلاله واكباره ، ويهش له اذا راءاه مقبلا ، وقال فى (المحاضرات) كنت وردت عليه فى أعوام الستين وألف بقصد أخذ العلم ، فامتدحته بقصيدة قدمتها بين يدي نجواي ، فانبسط الي بحمد الله، وأفتتحنا بقراءة (التسهيل)، فلما قرأنا الخطبة دخل مسروراً فكتب الي :

أبا علي جُزيت الخير والنعما ونلت كلَّ المنى من ربنا قسما
يامرحباً بك كل الرحب لا برحت قرائح الفكر منك تجتنى حكما (2)

---

1) ذكره فى ص 10 من **المحاضرات** (مؤلف) .
2) ذكره فى ص 28 من **المحاضرات** التى بدأ فى تصنيفها سنة 1095 (مؤلف) .

فلم أزل بحمد الله أتعرف بركة دعائـه وإقبـال قلبه إلى الآن ، انتهـى .

وقد أذن له في تلقين الأوراد نيابة عنه ، فكان يلقنها في حياته ، فهرع الناس اليه يزفون ، ووقع له من اقبال الخلق عليه ما لم يُعهَدْ مثله ، وكان كثير الزيارة لقبور الصالحين بحاثاً عن قبورهم حتى استخرج عدة مزارات غـابـرة .

ألف رحمه الله عدة تآليف ، منها حاشية على الكبرى ، وحواشي على مختصر السنوسي في المنطق ، وكتاب في معنى لا اله الا الله في مجلـد ، والمحاضرات ، وشرح على جمع الجوامع للسبكي لم يكمل بلغ فيه الى اذا الفجائية ففاجأه الموت ، ولو كمل هذا الشرح لأغني عن جميع شروح ذلك الكتاب وحواشيه ، وهو من أمتع كتبه وأدلها على قوة عارضته ، وكتاب زهر الأكم ، في الأمثال والحكم لم يكمل ، وهو حسن في بابه ، وكتاب القانون ، والدالية وشرحها ، وفهرسته ، والقول الفصل في الفرق بين الخاصة والفصل، ومسائل فقهية نظماً ونثراً، ورسائل وأدعية منظومة وغير ذلك، وكان شاعراً مفلقاً، النظمُ عنده أسهل من النثر، حتى كان يقول لوشئت لا أتكلم الا بالشعر لفعلت، وله ديوان شعر جمعه بعض أصحابه ، ومن شعره قوله يخاطب جماعة من الفقهاء فأتوا عنده أضيافاً ، فبعث بهذين البيتين صحبة الطعام :

كلوا واعذروني في التخلف عنكم ... فانَّ اتباع الظرف ليس من الظرف!
وأحسن ظرفي تركُ ضيفي كما يشا ... وليس ارتقاب الطرف من شيم الظرف

وأخباره رحمه الله وفوائده لا تسعها مجلدات .

توفي رحمه الله بعد قفوله من الحج عام اثنين ومئة وألف ، ودفـن بتمززيت بمقربة من قرية صفرو ، ونقل بعد عشرين عاماً إلى موضع ءاخـر فوجد كما دفن .

ومما يعد من مناقبه أن قوماً ذهبوا لزيارته ، فبينما هم في الطريق ، رأى رجلٌ منهم في نومه أن الشمس قد غربت فقصها على أصحابه ، فقالوا له لعل الشيخ قبض الليلة ، فلما بلغوه وجدوه قد توفي تلك الليلة .

وقد راجعت فهرسته المذكورة فوجدته ذكر فيها خمسة فصول ومقدمة ، الأول في أشياخه ، وهم أبراهيم بن يوسف الحداد اليوسفي ، وأبو زيان بن محمد الندى ، وأبو محمد الحسن بن أبي بكر التعلاليني ، وأبو محمد الحسن بن محمد المدوري ، ومحمد بن الحسن المدور ، والعلامة أبو بكر بن الحسن التطافي والأستاذ أحمد الدراوي ، والمدرس الفاضل عبد العزيز الفاسي ، والمحقق محمد التاجموعتي ، والمحقق أحمد بن محمد التاجموعتي ، والعلامة عيسى السجتاني ، حضر عنده جملة من مختصر الشيخ السنوسي المنطقي ، وجملة من محصل المقاصد لابن زكري ، والعلامة محمد المزوار المراكشي ، والمتفنن محمد بن ابراهيم الهشتوكي ، والماهر عبد العزيز بن أحمد الرسموكي ، والامام سيدي محمد ابن ناصر ، والعلامة سيدي أحمد علي بن عمران ، والمدرس أحمد بن سعيد ، وخاتمة النحاة محمد بن محمد بن أبي بكر المعروف بالمرابط (1) شارح البسط والتعريف ، وشيخ الجماعة عبد القادر الفاسي ، ونقل نص اجازته في (النشر) ، والعلامة محمد بن سعيد المرغيتي ونقل فى (النشر) نصّ أجازته له ، ثم ذكر فى الباب الثاني الشيخ سيدي محمد ابن ناصر (2) .

وممن عرف بالمترجم صاحب (الدرر المرصعة) خلال ترجمة تلميذه سيدى أحمد الجزولي الهشتوكي فى حرف الألف ، وذكر فى ترجمة اليوسي نحو سبعة أوراق ، وصاحب (يتيمة العقود الوسطى) ، وذكر أنه من شيوخ سيدي الصالح ، وذكر فى آخر اليتيمة عن سيدي صالح أن الامام اليوسي كان ساكناً بحومة جامع المواسين بمراكش ، ووقفت على رسالة له فى التقوى فى كراسة واحدة . ومن تلامذته الشيخ المنور سمع عليه نحو النصف من صحيح البخاري أيام اقامته بفاس ، ومنهم محمد بن قاسم ابن زاكور الفاسي ذكر فى فهرسته المسماة (نشر أزاهر البستان ، فيمن أجازني بالجزائر

---

1) راجع ص 141 من **المحاضرات** (مؤلف) .

2) وراجع خاتمة **المحاضرات** ؛ فقد ذكر فيها سرداً من حضر الآن فى فكره ممن لقى وتبرك به ممن اتسم بالخير واشتهر بالصلاح تبركا بهم ؛ وذلك من ص 235 الى ص 237 (مؤلف) .

وتطوان (3) أنه تمتع به في الحضر والسفر ، وأخذ عنه مختصر الشيخ خليل مرتين ، وجمع الجوامع كذلك ، ومختصر الشيخ السنوسي ، والجمل للخونجي ، وصغرى الشيخ السنوسي وكبراه ، وجملة صالحة من التسهيل ، وشيئاً من ألفية ابن مالك ، والشرح المختصر على التلخيص ، ومتن تلخيص المفتاح ، ونحو النصف من مختصر ابن الحاجب الأصلي ، وأماكن من صحيح البخاري ، وجميع شمائل الترمذي ، وكتاب الشفا ، والاكتفاء للكلاعي ، وغير ذلك ، ومن تلامذته سيدى عبد الكريم التدغي المترجم في (نشر المثاني) وسيدى عبد الوهاب الدراق المترجم فيه أيضاً ، وممن ذكره أحمد بن عبد الوهاب الغساني في تأليفه في التعريف بمولاي عبد السلام القادري ، وأبو عبد الله الفاسي في (المورد الهني) ، وذكر الزياني في (الروضة السليمانية) أن المترجم حج عام واحد ومئة وألف صحبة المعتصم بن السلطان يعني المولى إسماعيل ، وذكر في (تحفة الزائر) أن الامام اليوسي شرح في مجلد ضخم قصيدة :

أقول لمن أعيى الطبيب علاجه — وقد ملَّ من شرب الدواء لعلة
ألا لذْ بمحيى الدين ياطالبَ المنى — وعولْ عليه في الأمور المهمة

وهذه القصيدة لأحمد بن المختار بن عبد القادر بن أحمد المشهور بابن خدة (مرضعته) الراشدي سماها (عقد جواهر المعاني ، في مناقب الغوث عبد القادر الجيلاني) ، ذكر فيها مناقبه وكراماته وأحوال المشايخ الذين اعترفوا بفضله وتقدمه على أولياء زمانه وجميع ما بلغه من أحواله ، ووقفت على تقريظ المترجم لكتاب (النبذة اليسيرة ، واللمعة الخطيرة ، في مسألة خلق الأفعال الشهيرة) للعلامة سيدى المهدي الفاسي الذى ردَّ به على الشيخ إبراهيم الكوراني المتوفى عام واحد ومئة وألف ، ووقفت على الرسالة التي كتبها المترجم لسيدى العربي وسيدى عبد السلام ابنيْ الطيب القادري الحسني ، وسيدى المهدي الفاسي ، وقد ذكرها في (نشر المثاني) في ترجمة سيدى إبراهيم الكوراني .

---

1) **نشر ازاهر البستان** ص 88 طبع المطبعة الملكية بالرباط .

وقــال في (إفــادة النبيــه ، من ادعــى الاجتهــاد أو ادعى فيه) ما نصه : ومنهــم عــالم المغرب ونــادرة الدنيــا في وقتــه ، الحسن بــن مسعود اليوسي رضي الله عنه ، سمعت مَن يقول من وعاة التاريخ ببلدنا : لو كان له مذهب لاتبع ، قلت ورأيت فى آخر كتابه العجيب (القول الفصل ، في تمييز الخاصة من الفصل) قوله : قد يقع لنا ما لا تعهده أيها الناظر ولا تجده عند غيرنا ، فلا تعجل بانكاره توهماً لندائنا ممن يتصدى لحكاية أقوال الناس وتلفيق كلامهم ، ومَن قُصارى علمه ومنتهى جهده أن يقول قال فلان وفلان ، كلا والله لنا إن شاء الله فى ذلك أشد ولا لذلك العنق ، وإنما نعوذ بالله أن ننسخ وجوه القراطيس ونكثر هذه الدفاتر بمجرد ما للناس لفظاً ومعنى على نهج التقليد صنع كل بليد ، ولم يكن أحد من علماء العقلاء وعقلاء العلماء يقيم للمقلد التابع كل ناعق أو يثبت له فضلا أو يعده عالماً أو فقيها ، وإنما كان يعد فى نحو نوادر القصاص وأصحاب الخرافات ، فانه لا فرق بين مقلد ينقاد وبهيمة تنقاد ، فليكن فى علمك أيها الناظر أننا ما أودعنا هذا أو غيره من الموضوعات إلا ما اعتقدنا صحته تصوراً أو تصديقاً عن ضرورة أو بينة وصحة ، فلا يهجس فى وهمك طمع تعارضه بكلام أو رأي لغيرنا ممن تقدم أو تأخر يخالف ما رسمناه فتنقاد إليه ، اللهم إلا أن تظهر بعد صحته ، ولا تنظر أيها الناظر أن الذين أسايرهم أهل زمانك ، كلا ولكن حجة الاسلام وفخر الدين وعضد الدين وسعد الدين وسائر المحصلين على أن لا أقلدهم تحكيماً ولكن أذكر ما ذكروا إن صحت عندي صحته وإلا نبذته إلى وراء ، وليس يحطنى عن درجة قولُ جهول ليس بعشك فادرجي ، ولا قول واعظ ناصح : (ولا تزكوا أنفسهم) لعدم علمه أن تزكية النفس إنما هي اعتقاد براءتها من العيوب ، وما كان الذى يقع لنا من حكاية كلام الأئمة أحياناً باللفظ إلا لتطمين نفوس بعض من ترى أيها الناظر فى زمانك من المتشبّهين المشغوفين باعتقــاد الأموات ، واعتبر بقول الامام ما قاله الرسول فعلى الرأس والعين ، وما قاله الصحابة فنأخذ منه وتترك ، وما قاله غيرهم فهم رجال ونحن رجال ، وقول الشافعي كيف أفتح بقول من لو عاصرته لحججته ؟

انتهى منه ملخصاً .

وله رسالتان خاطب بهما السلطان مولانا إسماعيل وضمنهما من التصريح فى القول والاخلاص فى النصح ما يشهد بعلو مكانته وفضله .

ولما رجع من الحج إلى المغرب أيقن أنه ما بقي بالبلاد المشرقية من تشدُّ له الرحال فى طلب العلم ، وأنه لم يلق شيئا مما كان يحدث به عن مصر وغيرها ، كما أومأ اليه ولده فى رحلته .

والمترجم سيدى الحسن اليوسي هو الذى أنشأ الزاوية الناصرية برياض العروس بمراكش على ما حدثنى به سيدى الأمين الناصري ، وكان يشترى بها كتب الدلائيين التى تباع بها .

410) **الحسن بن محمد العكاري** ، الفقيه الولي الصالح ذو المكاشفات الظاهرة ، كان يقرأ القرآن بروايات زيادة على رواية نافع ويجوده ويتقنه غاية الاتقان ، وكان إماماً يصلى الخمس بالسلطان مولاي إسماعيل ، ثم لقي الشيخ سيدى علي بن عبد الرحمان الدرعي التادلي فلقنه وألقى اليه زمام نفسه وأخذ عنه الطريقة الشاذلية ولاحت عليه أنوار الغيبة فى المحبة والشهود ، كان في أول أمره يفضح الناس بالمكاشفة ويقول تُبْ من كذا ، فلما رآه شيخه يفعل ذلك ضرب بطنه وصار لا يتكلم لأحد ، كان المترجم يأتى للرباط من مراكش كل سنة زائراً شقيقه أبا الحسن ويستصحب معه صلة وافرة من زيت وفاكهة وتحف للشيخ أخيه ، ولم يزل ذلك دأبه وحالته الى أن توفي بمراكش ودفن بمقبرتهم المشار اليها ءانفا .

خلف المترجم ولديه سيدى أحمد وسيدى محمد .

ترجمه فى البدور الضاوية .

411) **الحسن بن علي أوللوا** العلامة المفتي بمراكش، الشيخ الامام الجليل، كان اماماً فهامة نقادة ، محققاً مدققاً ، بارعاً نظاراً ، بلغ كلامه من التحقيق الغاية ، ومن التدقيق النهاية ، محرراً منقولا ومعقولا .

قال في (الانصاف ، فى القضاء بين النقيب وبين من انتسب الى بيت النبوءة من الأشراف) فى باب اثبات النسب الشريف خصوصاً بشهادة السماع ، وفيه مقدمة وتنبيه وثلاثة فصول ما نصه : فاعلم ثبتنا الله واياك بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة أن هذه المسألة وقع السؤال عنها بمحروسة مراكش ، وأجاب عنها العلامة السيد الحسن بن علي أوللوا رحمة الله بما نصه : شهادة السماع فى هذا النسب الشريف هي كغيرها من سائر الأنساب إذا ثبت ذلك كما يجب ، لكن وقع في هذا الزمان من تساهل العوام وبعض الخواص ما يوجب الغاءها الا من فاضل فطن لا يُخدَع ، لأن غالب العامة يعتمد فى شهادتها بالشرف المحمدي على اطلاق لفظ المولى عليَ المشهود له فى خطابه ومحاورته أو على سماعه ممن لا يوثق به أو يوثق به فى أن المشهود له شريف ولفظ الشرف مشترك بين الشرف العربي والشرف القرشي والشرف الهاشمي والشرف المحمدي ، كما ورد فى الحديث الكريم ، وحيث لم تحد العامة والعرف أنه قصد الانتساب الى النبي (ص) فشهادتهم غير عاملة لاجمالها وعدم بيان المراد بها ، وفي . . . . الادخال فى الشرف المحمدي بمشاهدة الشهادة الصادرة من الشهود على الوجه المذكور والأخذ بالجزاء فيه ما لا يرضاه ذو ديانة ، وبالجملة فجلُ مستند العامة فى هذا الشأن عن حقيقة ما سمعوا من مطلق الشرف بحيث لم يكن عرف يخصص الشرف المحمدي عند الاطلاق أو إطلاق المولى وعمن سمعوه هل عن الثقات أم غيرهم ؟ وهل حاز هذا النسب المحمدي من غير منكر عليه ولا مغير الى غير ذلك حتى تؤدّى على الوجه الشرعي المراد منه ، قال فاستفيد من كلامه رحمه الله أنها كغيرها من سائر الأنساب من باب لا فارق ، وما وقفت على جواب العلامة سيدي علي بن هارون مفتي فاس وعالمها تضمن شيئاً من هذا ، ونصه : لا يحصل الشرفُ بمجرد قول الشهود الحسني ، اذ يحتمل أنه مولاهم بالحلف أو بالجوار أو بالولاء أو غيره . ثم قال فى (الانصاف) : فى باب الشروط التى لا بد منها فى شهادة السماع ، وفيه فصول أربعة ما نصه : قال الشيخ السيد الحسن أوللوا فى جواب له ما نصه : أما الطعن على المشهود له فهو قادح ، لا سيما إن كان الطاعن من أهل الفضل والقرابة ، إذ

فيه زيادة الداعية الطبيعية الى البحث عن حقيقة نسبه ، فهو بالقبول أجدر ، أما على كلام ابن الهندى ومثله كلام البرزلي فانه جعل السلامة من الطعن اما جزءاً من صورة شهادة السماع أي حقيقته ، واما شرطاً فيها ، وقد تقرر عند علماء المعقول أن الماهية تختل باختلال جزئها وشرطها ، واما على كلام المفيد ومثله آخر كلام البرزلي فلأنه شـرَط فى الشهادة بهذا الشأن أن تكون فى الظهور والتسليم على حد الضرورة التى لا يسعُ أحداً من العقلاء انكارها ، وأي ضرورة تدعو الى الدخول فى أمر وقع فيه الطعن من عاقل واحد ، فكيف من قبيلة ، فان قلت معقولية الطعن تقبل الشدة والضعف فما المعتبَر منه ، قلت لا خفاء أن المعتبر منه ما ثبت فيمن يستقل به الحكم لا ملطقه ، اذ ربّ خبيث طوية لا حسب له ولا دين لا نزهة له الا فى التفكه بأعراض المسلمين بالطعن في مثل هذه المرتبة ، وما درى أن ذلك كمال" للمطعون فيه ، وتذكر ما قيل فى ذلك :

واذا أتتْك مذمتي من ناقـــــص فهي الشهادة لي بأنيء كامــــل

فلا جرم يجب تحريره ، فان قلت اذا ثبت هذا الطعن كما يجب فهل هو من ظهور قادح فى بينة السماع أو قيام معارض لها مع صحتها فى نفسها فيفزع الى الترجيح ؟ قلت الظاهر أنه من باب العثور على القادح ، اذ لو علمت به ذات السماع وأخفيته كان ذلك قادحاً فى شهادتها ، قال تعالى (ومَن يكتمْها فانه آثم قلبه) ، ولك أن تلاحظ صحة السماع ظاهراً فتكون الطاعنة قد علمت من الباطن ما لم تعلمه السامعة ، وفى علمك أن العالمة أعلم على ما أحكمته قاعدة الاثبات والنفي ، والله أعلم .

فأنت ترى ما اشتمل عليه كلام هذا الامام الجليل من نهاية التدقيق وغاية التحقيق ، يعنى أن النافية اذا كان معها مزيد علم المثبتة ، ثم قال فى باب الأمور التى لا تفيد شرفاً بعد أن قرر أن الظهائر لا تفيد وحدها شرفاً من غير اشتهار صاحبها بذلك خارجاً ما نصه : ثم بعد كتب هذا وقفت عـلى كلام للعلامة السيد الحسن أوللوا مطابقاً لما كتبته ونص الحاجة منه باختصار بعد أن تكلـم على أن عقـود الأشرفـة لا تفيـد شرفاً لأن ما تضمنته من

الشرف ليس مقصوداً بالاشهاد ، قال فان ما ذكرت مسلم" فى العقود ، لأن الموثق انما يذكر مثل ذلك على سبيل الألف والعادة لا على سبيل القصد دون الظهائر ، فان الظاهر اعتبار وصف الشرف فيها بدليل اعتبار ترتيب الاعطاء أو التحرير عليه وهو وصف مناسب ، فيشعر بعليته فيكون مقصوداً بالاعتبار ، قلت اعتباره باعثاً على الاكرام لا يستلزم تحقيق ثبوته لشخص خارجاً ، بل الاكرام مرتب على تقدير ثبوته ، وهذا القدر كاف فى مقام الفضل والكرم ، اذ هو فيض ينال بأدنى خطابة ، وهذا هو المعروف من الملوك ، فانهم يستندون فى أعطياتهم وتحريراتهم على وسائط يثقون بها ، فرب عالم يقدمه السائل وسيلة فى ترتيب عطاء أو تحرير فيتقدم له ويذكر للملك أن فلاناً ينسب للشرف مثلا وطلبنى أن أطلب للسلطان أن يرتب له عطاء أو يحرره ، وملوك الاسلام يغلب عليهم الحياء مع ما جُبلت عليهم هممهم من الميل الى معالي الأمور ، فشاهد المقام يقطع باتحاف السايل بمطلوبه وانجازه لمرغوبه من غير تردد ولا توقف فى الخاطر الأول لما يستشعر الملك من صحة ذلك الوصف المطلوب لأجله ، وإذا كان هذا فتكون قضية الاعلام تترتب الاكرام وصف شخص بالشرف حقيقة لا خارجية ، وقد تقرر فى علم الميزان أن الحقيقة أعم من الخارجية ، ولا إشعار لأعم شخص بأخص معين ، فاذاً لا يصح استنتاج الثبوت الأخص من اعتبار الأعم على طريق الحجة وهو المسؤول عنها على طريق الخطابة ، والله المسدد .

انتهى باختصار بعضهم .

412) **الحسن بن علي** والدته رقية بنت موسى بن محمد الكبير بن الشيخ سيدى مَحمد ابن ناصر ، كان بمراكش ، وله أدب وإباية نفس ، حلو الفكاهة ، بهذا حلاه العلامة سيدى موسى المتوفى سنة   دفين فاس بن محمد المعطى بن موسى المذكور فى تائيته حيث قال :

وزوج علي بنت موسى رقيــــة   فجاءت بأولاد حسان أجلــــة
محمد منهم عالــم ذو مــروءة   أديب إمــام فى علــوم جليلــة
بمراكش صنــو لــه الحسن اسمه   أديب أبيءُ النفس حلو الفكــاهــة

413) **الحسن بن علي بن أبى بكر المنبهي الشهير بالشباني** ، الامام المقرىء ، له (كشف الغمام ، عن ضبط مرسوم الامام) الموضوع لضبط منظومة الخراز في مجلد من القالب الكبير ، وقفت عليه بخط اليد ، والمنابهة يسكنون خارج مراكش ، وهو صنو القاضي بمراكش محمد بن علي الآتي .

414) **الحسن بن أحمد بن محمد بناني** ، كان عالماً أديباً ، وكتب له الشيخ أحمد التجاني بخط يمينه سورة الرحمان وصل إليها فى القراءة فى الكتب فى لوحة موجودة تحت يد بعض أقاربه ، وكان يدعو له بالفتح ، وخصه بلقمات من طعامه المخصوص ، وكان عند أصحابه معظماً مبجلا ، وتلقى طريقته بعد وفاته من المقدم السيد موسى ابن معزوز .

توفي رحمه الله سنة إحدى وسبعين ومئتين وألف ، ودفن بمراكش حسبما حدث بذلك ولده الفقيه السيد عبد السلام ، وهو صنو العلامة سيدى أحمد كلا رحم الله الجميع .

وحلاه فى (اللؤلؤ المكنون ، فى اختصار ابن عيشون) بالفقيه الأجل العالم المدرس المذكور ، قال أخذ رضي الله عنه عن أشياخ عديدة ، وله مجالس بالقرويين وجامع فاس الجديد فى النحو والمنطق والبيان وغير ذلك ، يصلي إماماً بجامع الرنج بزقاق الحجر ، وصفُه قصير القد ، رقيق البدن ، أخذ عن الشيخ سيدى أحمد التجاني ، كثير الذكر والتلاوة ، توفي بمراكش فى ربيع الأول سنة إحدى وسبعين ومئتين وألف ودفن بها .

415) **الحسن السوسى الهشتوكي** المعروف بسيدى الحسن الصالح المراكشى، الفقيه الورع الناسك الزاهد ، المعروف باجابة الدعوة للغائب والشاهد ، قال ابن المعطي فى فهرسته : وقد وافق لَقبهُ مسماه اللائح ، كان من كبراء العلماء العالمين ، وجملة الزهاد المحسنين ، مثابراً على الاجتهاد فى العبادة ، نفوراً من الخلق ، منقطعاً إلى الله عز وجل ، سالكاً طريق الافادة ، فكانت حركاته وسكناته على وفق الشريعة ، متواضعاً صموتاً عن كلام اللغو ، ذا مرتبة منيفة ، أجمع مَن يعتدُ به من أهل المصر ، أنه جنيد هذا العصر ، قد بلغ

الذروة العليا فى التحري والورع وعدم التشوف إلى الخلق ، لا يلتفت منهم إلى طمع ، فهو كما قال بعض العارفين إنما تكون السلامة بترك الطمع فى المخلوقـات .

هي القناعة لا تبغي بهـا بـــدلا فيها النعيـم وفيها صحة البـدن
انظر لمَن ملك الدنيـا بأجمعهـا هل راح منها بغير اللحد والكفن ؟

كان رفوعاً للهمة عن الحكام وولاة الأمر ، وأولي الجاه والغنى وكل ذى قدر ، رجع ذلك كان عندهم معظماً محترماً يقبلون شفاعته ، ويخلون سبيل الملتجىء إليه ، ويعظمون وسيلته تؤثر عنه كرامات ، من ذلك أن وزعة عامل البلد فى الوقت أتوا إلى المدرسة اليوسفية بحمراء مراكش صانها الله لأخذ مفاتيح البيوت التى لا سكّان بها ، وكان بيده رحمه الله مفتاح بيت لطالب غائب وتركه عنده على وجه الايداع ، وأغلظوا على الشيخ الكلام ، وقالوا لا نفارقك أو تدفعه لنا ، فاغرورقت عيناه ورمى به لهم وقال الله وليُ مَن لا وليَ له ، وفى ذلك اليوم وقع حريق بأسواق المدينة عجز الناس عن إطفاء ناره ، فأتى بعض الناس والمحتسب يتضرعون إليه وقدموا له غطاء ضريح الشيخ الغزواني نفعنا الله به والتمسوا منه الخروج معهم إلى إطفاء الحريق ، فخرج ليمرّ بالسوق ، فقرأ ما شاء الله أن يقرأ ورمى بشيء كان بيده على النار فخمدت فى الحين ، شهد ذلك العام والخاص من الناس ! وحضرت يوماً معه وهو داخل للصلاة بقبة المدرسة اليوسفية وقد أسفر الصبح ، فمرّ ببعض الأسفاه ؟ فقال ما بال هذا ينام حتى تطلع الشمس وياتى للصلاة بالناس ، وتكلم ببذاءة وفحش لا يمكن ذكره هنا ، فقام طالب من طلبة الشيخ انتصاراً للشيخ وأجاب ذلك الانسان بكلام ، فالتفت إليه الشيخ وقال له دعه عنك ولا تجبه بسوء ، فصلينا معه الصبح وقرأنا معه حزب القرآن وخرج رحمه الله إلى داره بحارة الصورة ، وذلك البعض مازال فى مجلسه الذى صدر فيه منه ما صدر من البذاءة ، فوقع بينه وبين شخص آخر كلام في شيء بينهما فضربه ذلك الشيخ ضربة أهريق بها دمه وحمل مغشياً عليه ، وحصل لي فى بعض الأحيان صداع عظيم برأسي أذهب عني النوم جملة ، فذهب إليه فوجدته فى مجلس إقرائه ،

فتصبرت حتى فرغ ، فدنوت منه وذكرت له ذلك ، فوضع يده المباركة على ناصيتي وقرأ ما شاء الله أن يقرأ ، فوجدت بيده المباركة برداً وسكن ذلك الألم فى الحين ، وقمت كأنما نشطت من عقال ، وكان بعض الناس معتقلا وطال سجنه وتعذر خلاصه ، وكان له بي تعلق ، فكلمته فى شأنه ، فكتب تميمة فقال لي قل له يجعلها على رأسه ففعلت فسرح بعد اليوم أو اليومين ، وكراماته رحمه الله كثيرة ، وكانت له المشاركة الكاملة في جميع العلوم العقلية والنقلية ، كعلم التفسير والحديث والفقه ، مستحضراً لذلك غالباً مجيباً عما سئل عنه بديهة مع تثبت وتحقيق وتحرى الصواب ، يستوي عنده الشريف والمشروف عند الاستئذان عليه ، وربما يأتي بعضُ الكبراء ويقيم برهة ببابه فلا يأذن له باللقاء ، وكانت الهدايا تاتيه من الناس ولا يردُّ على أحد شيئاً ، ومن كان مالُه منهم مشوباً تصدق الشيخ بما أتى به ولا يخصُّ الشيخ نفسه إلا بما يعلم خلوص حلّيته ، وكان لي به مزيد اختصاص ، انتفعت والحمد لله بمجالسته ومذاكرته ، ودعوته لمنزلي مرات وأجاب ، وخضت معه فى مسائل من التفسير والحديث وعلم القوم ، وأخبرني بمسائل متوقعة فكانت كما قال رحمه الله ونفعنى به ، وكان يؤخر المغرب إلى أن يبقى لمغيب الشفق قدر ما يصلّي فيه ويقرأ حزب القرآن ، وربما تكلم بعضُ الناس فى ذلك وما ذلك إلا لجهلهم بالسنة ، فان القول بامتداد المغرب إلى الشفق مشهور" أيضاً لأنه مذهب مالك فى الموطأ ، وقول أشهب فى مدونته وقول ابن مسلمة ، وأخذه الباجى وابن العربي والمازري من المدونة وعليه أكثر الناس ، وقال فيه ابن العربي في العارضة إنه الصحيح ، وفي الاحكام أنه المشهور من مذهب مالك فى الموطأ والمدونة ، وقال الرجراجي إنه المشهور .

توفي رحمه الله يوم الخميس خامس ربيع النبوي عام تسع وسبعين ومئتين وألف ، ودفن بباب مقبرة باب الدباغ على يسار الخارج من المدينة بعد مجاوزة العين الجارية بعد الوادي بقرب الطريق على نحو خمسة أذرع، وقد ألف فيه تأليفاً ، وقفت له على شرح منظومة الهبطي فى العدد بخط اليد فى مجلد رباعي أتمه فى عشية فاتح شعبان بمدرسة ابن يوسف بمراكش سنة اثنتين وخمسين ومئتين وألف وعندى تأليفه .

416) **حسن الفيلالي** المراكشي شيخ الجماعة في علم النحو بها ، كان درقاوي الطريقة ، وله فيها تآليف ، فقيهاً علامة مشاركاً في عدة فنون ، أخذ عنه جماعة من علماء مراكش كالفقيه السيد عبد الله بن وقاص والفقيه ابن مبارك الجرني ، والفقيه الفجيمي وغيرهم .

توفي في دولة مولانا عبد الرحمان في العشرة الثامنة من القرن الثالث عشر شرح الصلاة المشيشية والحزب الكبير ومقدمة ابن آجروم بالاشارة ، ولقي مولانا العربي الدرقاوي وانتفع به خلق كثير .

417) **الحسن بن أحمد بن محمد المكدشي** قرأ على والده أحمد نزيل مراكش ، وأخذ الطريقة الدرقاوية عن الولي العارف سيدى محمد العربي المدغري وحلاه في رسالة كتبها عام 1284 لفقراء مراكش بالأخ في الله الأسعد الفقيه السيد الأمجد ولي الله تعالى سيدى الحسن بن أحمد التمكدشتي ، كان المترجم علامة مشاركاً عارفاً جليلا إماماً محققا محدثاً مفسراً ، وقفت له على كتاب جليل في الفتوحات السنية المشتملة على الأنوار القدسية المسماة (بفتح الملك الوهاب ، فيما استشكله بعض الأصحاب ، من السنة والكتاب) ، في ستة كراريس ونصف من القالب الرباعي ، دخل مراكش مرات آخرها أواخر القرن المنصرم ، ونزل بأزبزط ، ووقفت على رسالة لتلميذه الأدوزي نزيل مراكش حلاه فيها بنور السعادة ، ومعدن الافادة ، شيخ الاسلام ، وقدوة ذوي الأحلام ، شيخنا سيدى الحسن بن شيخنا الأعظم قطب الدائرة سيدى ومولاي أحمد بن محمد التمكدشتي بتاريخ عام 1284 ووقفت له على رسالة نصها :

باسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

محبنا في الله تعالى ، وأعز ما لدينا ، القائد الأرضى ، اللبيب الناسك الأحظى ، سيدى محمد بن الحاج أحمد الكندافي ، أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله ، أما بعد ، فقد وصل الأعز كتابك ، وصار

بالبال ما تضمنه الوجيز خطابك ، فسفرك مبارك مسعود إن شاء الله ، طوّل الله يدك ، ووفر باعك ، وحفظك بما حفظ به الذكر ، وكان لك وتولاك ، وأولاك ما تحب وتأمل آمين ، وقد سرنا أن شرح الله صدرك بالسمع والطاعة للامام أعزه الله ، ولن ترى إلا ما يسرك ويغيظ أعداءك ، ويكفيك عزاً أن ظفرت برضَاه ، وانغمست فى الأمن مع مَن ولاه ، هنيئاً لك وسعداً ، غنمك الله وردك سالماً ميموناً مباركاً آمين ، وهذا يجب به الاعلام ، وعلى المحبة التامة ونسألكم صالح الدعاء والسلام .

في 18 جمادى الأولى عام 1294 .

الحسن بن أحمد أمنه الله .

وكانت رحلته لمراكش عام 1293 وصحبه فيها تلميذه الأدوزي ، وألف فيها رحلته إلى مراكش وتوفي رحمه الله عام 1296 ودفن حذاء أبيه فى القبة بتمكدشت التى بينها وبين عين الجرارية نحو أربع وعشرين ساعة بسير البهائم ، وستأتي ترجمة تلميذه الأدوزي ، وقد ألّف المؤرخ السيد العربي بن علي المشرفي كتاباً فى مجلد ضخم سماه (مناقب أهل تمكدشت) وذكر فيه تلامذة المترجم وتلامذة والده (1) .

418) **الحسن المراكشي الشريف** ، الولي الصالح ذو القدر المنيف ، كان رضي الله عنه من أخاص أهل الله المستغرقين فى محبة الله ذا دين متين ، ونسك تام ، واتباع لسنة الرسول عليه السلام ، وكان أستاذاً أقام بضريح مولانا عبد السلام ابن مشيش رضي الله عنه [illegible] . أولاد الشرفاء ويؤذن بالضريح الشريف ، وكان للشرفاء أهل جبل العلم فيه اعتقاد كبير ، وهم يذكرون له كرامات عديدة مما شاهدوا له ، وكانوا يأتمنونه على الفتوحات التى تاتي للضريح لما عرفوا من حاله رضي الله عنه ، وقدم إلى هذه الحضرة الادريسية فى العام الذى ولي فيه المنصور بالله مولانا

---

1) اسم الكتاب **نزهة الأبصار ؛ لذوى المعرفة والاستبصار** توجد منه نسخة بالمكتبة الملكية بالرباط تحت رقم 5616 .

الحسن أدام الله وجوده ونصره وعزه وعلاه ، وهو عام التسعين ، فأنزله مولاي محمد القاضي رحمه الله بمسجد الأبارين ، فأقام ببيته فيه معتكفاً على التلاوة والعبادة ، وكان رضي الله عنه كثير الصمت يصوم الدهر ، ولما بقي من عمره نحو السنة لم يكلم أحداً قط حتى لقي مولاه ، وقد لقيناه بضريح مولاي عبد السلام وتبركنا به رضي الله عنه ونفعنا به ، وكان آدم اللون ، نحيف الجسم .

توفي رحمة الله عليه بالمسجد المذكور فى أواسط شعبان عام 1296 ودفن بالقباب رضي الله عنه .

ذكره العلامة القاضي سيدى التهامى الصقلي بتقييده فى العلماء والأوليـــاء .

419) الحسن بن محمد بن عبد الرحمان العلوي (السلطان مولاي)

الحسن بن سيدى محمد، بن عبد الرحمان العلوي، السلطان الجليل، الماجد الأصيل، الكبير المتعلق بأهل الله، الزوار لأولياء الله، المتخلق فى محبتهم بالخلق العظيم الحسن ، أمير المومنين وكان رحمه الله دؤوباً على الذكر والقيام ، صابراً على ذلك على الدوام ، ويقرأ البخاري فى الأشهر الثلاثة فى مجلس حفيل من العلماء وغيرهم من القراء النجباء كما كان يفعل ذلك والده وجده الناسك :

بأبيه اقتـــدى عـــديٌّ فى الكـــــرم   ومَن يشابهْ أبــاه فمـــا ظلـــــم

زواراً للصالحين ، وأولياء الله المفلحين ، كثير التطواف على أضرحتهم ، بحاثاً عن أضرحتهم ، وكم جدد لهم من مقام ، وشيد من قباب ضخام ، شكر الله له ذلك ، وأجزل له المثوبة على فعله هنالك ، ومن مآثره الرسالة التى كتبها لسائر الأمصار ، يحضهم فيها على التقوى والتسنن بسنة النبي المختار، رضي الله عنه وعلى آله ما دام الليل والنهار ، ومنها بناؤه لضريح الشيـــخ أحمد البرنسي الذى بأول بلاد لمطة من خارج باب الجيسة من أبواب هذه الحضرة وتوسعته أكثر مما كان وإعماله فيه لبعض المرافق ليتنفع بها الزوار ، ومنها تجديده لكثير من قباب الأولياء خارج باب الفتوح واصلاحه لما يحتاج للاصلاح منها وتجديده أيضاً لأضرحة السادات أهل وزان نفعنا الله بهم .

قال محمد الكسنوس : لما استخلف المولى الحسن حفظه الله لم تشغله شؤون الخلافة المترادفة آناء الليل وأطراف النهار ، ولا ما فى قصوره السلطانية من الحدائق والأزهار ، عن وظائف الدين ، وأسباب اليقيـن ، من نوافل الخير من صلاة وصيام وتلاوة ، كما حدثنى بذلك بعض بطانته ، وأنه يجد لها فى خلوته لذة وحلاوة ، فلما توفي السلطان كما قلنا كان المولى حسن أيده الله غائباً عن الحضرة بأبى ريقى من بلاد حاحة فكتب إليه رؤساء الدولة بما حدث من موت السلطان واجتماع الناس على بيعته ، فقدم مراكش فى السابع والعشرين من رجب سنة تسعين ومئتين وألف ، ولما دنا منها خرج للقائه الوزراء والقضاة والأشراف والأعيان وسائر أهل مراكش برجالهم ونسائهم وصبيانهم ، فملأوا تلك البطاح وضاقت بهم الأرض ، وأخذوا يعزونه ويهنئونه ، وهو أيده الله يقف لكل جماعة منهم على حدتها ، حتى النســاء والصبيان إشفاقاً عليهم وتطييباً لنفوسهم ، وكان يوم دخوله لحضرة مراكش يوماً مشهوداً وموسماً من مواسم الخيرات معدوداً ، ولما استقر بدار الملك قدمت عليه الوفود من جميع الأمصار ، ونسلوا إليه من سائر نواحي الأقطار ، وكل وفد يأتى ببيعته وهديته ، واغتبط الناس بولايته ، وتيمنوا بطلعته ، وقابل أيّده الله كلا بما يستحقه من الاكرام ، وأفاض على الرعية جلائل الانعام ، وشرع فى تجهيز الجيوش وفتح بيوتَ الأموال ، فغمر الناس بالعطاء ، وكسا وأركب ، ونهض من مراكش يوم الاثنين رابع رمضان من السنة المذكورة قاصداً حضرة فاس والوقوف على الرعايا والنظر بما يصلحها ، فمرَّ على بلاد السراغنة وخرج إلى البروج ومنها إلى كسير من بلاد تامسنا ، فاتصل به هنالك خبرُ فتنة أهل فاس وايقاعهم بالأمين الحاج محمد بن المدنى بنيس ، وكان السبب فى ذلك على ما قيل أنه لما وصل خبر وفاة السلطان إلى فاس وأن الناس اجتمعوا على بيعة أمير المومنين المولى حسن أعزه الله واجتمع أهل فاس لعقد البيعة أيضاً اشترط عامتُهم لا سيما الدباغون أن يزال عنهم المكس ، فقيل إن بعض مَن أراد جمع الكلمة من العلماء والأعيان تكفل لهم بذلك عن السلطان ، ولما تمت البيعة أصبح الأمين بنس غادياً على عمله من ترتيب وكلائه لقبض الوظيف من الأسواق والأبواب وغيرها ، فكلمه بعض أعيان فاس فى

التأخر عن هذا الأمر قليلا حتى تطمئنَّ النفوس ويثبت الحق في نصابه ، وحينئذ يؤتى الأمر من بابه ، فأبى وأصرَّ على ما هو بصدده ، فثار به العامة وهدموا داره وانتهبوا أثاثه واستصفوا موجوده وأرادوا قتله ، فاختفى ببعض الأماكن حتى سكنت الهيعة ، ثم تسرب الى حرم المولى إدريس رضي الله عنه فأقام به وأمن على نفسه ، وكانت فتنة عظيمة يطول شرحها ، واتصل بالسلطان وهو بكسير أيضا خبرُ فتنه أهل أزمور وقتلهم لنائب عاملهم ، وكان عاملهم يومئذ أحمد بن عمر بن أبى ستة المراكشي ونائبه هو أحمد المؤذن الفرجي من سكان أزمور ، وكان قتلهم إياه فى تاسع عشر رمضان من السنة ، ثم إن أهل فاس كتبوا الى السلطان أعزه الله وهو ببلاد تامسنا رسالة بليغة يتنصلون فيها من فعلة بنيس ويرمون بها العامة والغوغاء ومن خَلاقَ لهم ، ثم دخل السلطان المولى حسن أعزه الله رباط الفتح صبيحة يوم الخميس التاسع والعشرين من رمضان المذكور ، وكان العيد يوم السبت ، فأقام السلطان أيده الله سنة العيد برباط الفتح وختم به صحيح الامام البخاري على العادة ، وكان فقيه المجلس ومدرسه يومئذ الفقيه العلامة السيد المهدي بن الطالب ابن سودة الفاسي ، وحضر ذلك المجلس وفود المغرب وقضاة العدوتين وعلماؤهما وحضرنا فى جملتهم ، (وهنيء) السلطان بقصائد بليغة ، واحتفل أعزه الله بهذا الختم بأنواع الأطعمة والأشربة والطيب ، وفرق الأموال على مَن حضر ، ثم وصل أهل العدوتين من علمائها وقرائهما ومؤذنيهما وطبجيتهما وبحريتهما على العادة ، وهناك قدم عليه أهل أزمور متنصلين مما صدر من عامتهم فى حق المؤذن ، فقابلهم بالبشر والصفح الى أن بحث عن رؤوس الفتنة بعد ذلك فعاملهم بما يستحقونه ، وأقام السلطان أعزه الله برباط الفتح إلى يوم السبت الثاني والعشرين من شوال من السنة المذكورة ، فنهض قاصداً مكناسة ، فعبر المجاز ومعه من جنود الدولة وعساكر القبائل ما يجل عن الحصر ، وكان نهوضه عن ازعاج بسبب ما اتصل به من خبر المولى عبد الكبير بن عبد الرحمان بن سليمان ولد الذى كان ثار لأول بيعة السلطان سيدى محمد بن عبد الرحمان ، فسلك هذا الولد مسلك أبيه ، وأطمعه شياطين البربر فى الملك حتى أوردوه مورد الردى وحان ، وسقط العشي به على سرحان ، ولما كان السلطان أعزه الله

ببلد بنى حسن بلغه خبر القبض عليه ، ثم تقدم السلطان أعزه الله إلى دار ابن العامري فأوقع بأولاد يحيى فرقة من بني حسن ، وكانوا قد ثاروا بعاملهم عبد القادر بن أحمد المحروقي فهدموا داره وانتهبوها ، وعاثوا فـي الطرقات وأخافوها ، فأوقع بهم السلطان المولى الحسن أعزه الله وقعة كادت تستأصلهم وتاتى عليهم ، فتشفعوا إليه وتطارحوا وأظهروا التوبة والخضوع ، فقبل توبتهم وولى عليهم ثلاثةَ عـُمال ، ووظف عليهم مالا له بال ، ونهض أعزه الله الى مكناس في سابع ذى القعدة من السنة فدخلها مظفراً منصوراً ، وفى يوم الاثنين ثالث شهر ربيع الأول (1291 هـ) نهض أيده الله إلى فاس فدخلها يوم الخميس السادس منه بعدما تلقاه أشرافها وأعلامها وأعيانها وجميع رماتها حتى النساء والصبيان مع العامل والقاضي ، واجتمعت به مقدمتهم بوادى النجاة ، فألان جانبه لهم ، ونزل لملاقاتهم تطييباً لنفوسهم ، ولما وصل الى البلد لم يعرج على شيء دون قصد ضريح المولى ادريس رضي الله عنه وزيارته والتبرك به ، وانهال عليه الضعفاء والنساء والصبيان يقبلون أطرافه ويتمسحون بأذياله ، وقدم الذبائح للحرم الادريسى وغيره ، وأفاض مـن العطايا على الضعفـاء والمساكين ما جاوز الحصر ، وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً ، وموسماً من مواسم الخيرات معدوداً ، وعيد بفاس عيد المولد الكريم ، وقدمت عليه الوفود من كل ناحية ، واجتمعت ببابه وجوه القبائل من كل قاصية ودانية ، وازدان العصر ، وعم الفتح والنصر ، واستقامت الأمور ، ونادى منادي السرور ، فى الخاص والجمهور ، ولما فرغ السلطان أعزه الله من شأن العيد أمر أحمد بن محمد ابن شقرون المراكشي أن يرتب الوظيف المجعول على أبـواب فـاس وأسواقها على ما كان عليه فى حياة السلطان سيدى محمد رحمه الله ، ففعـل ، وكان ذلك أواخر الشهر المذكور ، ولما جلس الأمناء كلٌ بمحله واستقامت الأحوال ، وذهبت الأهوال ، ثقل ذلك على الدباغين ومرضوا فيه وذهبوا الى الشريف الفقيه المولى عبد الملك الضرير وقالوا له : أنت الذى أوقعتنا في هذا كله بضمانك اسقاط المكس أولا حتى صدر منا فى حق بنيس ما صدر ، والآن أخرجْنا مما أوقعتنا فيه اما باسقاط المكس واما باخراج بنيس من بين أظهرنا ليلا تدول له دولة علينا ، والرجل قد صار عدوا لنا ، فقام الفقيـه

المذكور وقدم على السلطان أعزه الله وذكر له ما عزم عليه السفلة من الدباغين، فأعرض السلطان أعزه الله عن ذلك وقابله بالجميل ، فقال الفقيه المذكور إن لم يكن شيء مما ذكرت لسيدنا فالأولى بي أن أنتقل إلى فيلالة ولا أبقى بين أظهر هؤلاء القوم ، فأسعفه السلطان وبعث جملة من الحمارين لحمله وحمل أولاده ، ولما رأى الدباغون ذلك نفخ الشيطان فيهم وعمدوا الى الحمارين فطردوهم ، وارتجّت فاس وماجت الأسواق ، وقامت الفتنة على ساق ، واتصل الخبر بالسلطان أيده الله فاستدعى عامل فاس ادريس بن عبد الرحمان السراج وكان مُتَّهماً بالخوض فى وقعة بنيس وما ترتب عليها بعد ، فأظهر الطاعة والامتثال ، وركب بغلته يريد القدوم على السلطان بفاس الجديد ، فقام الدباغون دونه ومنعوه من الذهاب الى السلطان وتهددوه بالقتل ان فعل ، فقعد ووقع ذلك منه الموقع (الحسن)، لأنه كان متخوفاً على نفسه، ولما رأىالسلطان أيده الله تمادي هؤلاء الطغام ولجاجهم بعد أن بالغ فى إلانة الجانب والمقابلة بالجميل ، ومن ذلك اعراضه أعزه الله عن الكلام في أمر بنيس ، أمر بحصارهم والتضييق عليهم لعله يرجعون ، ثم لم يكفهم عصيانهم حتى صعدوا على منار المدرسة العنانية وعلى غيرها مما يُطل على فاس الجديد وأخذوا في الرمي بالرصاص حتى أصابوا بعض مَن كان بأبى الجلود ، ولما انتهوا من سوء الأدب الى هذه الغاية أمر السلطان أيده الله بمقابلتهم على قدر جريمتهم ، فطافت بهم العساكر ورموهم بالكور من كل ناحية ، ثم اقتحمت طائفة من العسكر سور فاس من جهة الطالعة وأخذوا فى النهب والقتل وعظم الخطب واشتد الكرب ، وفى أثناء ذلك بعث السلطان أعزه الله وزيره محمد الصفار يعظهم ويعرض عليهم الأمان بشرط التوبة والرجوع الى الطاعة فأذعنوا وامتثلوا ، وانطفأت نار الفتنة وانحسمت أسباب المحنة ، فعجل السلطان أيده الله بالكتابة لجميع الآفاق ، وتلطف واعتذر ، بأنهم الذين بدأوا بالحرب والبادى أظلم ، ومع ذلك فبمجرد ما أذعنوا الى الطاعة كف عنهم رحمة بهم وإبقاء عليهم ، وكان هذا الحادث يوم الثلاثاء رابع ربيع الثانى من السنة ، ثم ان السلطان أعزه الله قبض على عامل فاس ادريس السراج وعلى ولده واثنين آخرين معه من رؤوس الفتنة وغربهم الى مراكش ، وولى على فاس

القائد الجيلاني بن حمو البُخاري أحد قواده ، واستقامت الأحوال ، ثم شرع السلطان أعزه الله في جمع العسكر وتنظيمه زيادة على ما كان في حياة والده ، فألزم أهل فاس بخمسمئة ، وألزم أهل العدوتين بستمئة ، وألزم غيرهما من الثغور بمئتين مئتين ، ولم يتخذ من مراكش ولا أعمالها شيئاً ، فصعب على الناس ذلك وجمعوا منه ما قدروا عليه ، واعتنى السلطان أعزه الله به فكان يباشر عرضه وترتيبه بنفسه .

وفي أيام مقامه بفاس نبغ نابغ بأعمال وجدة يقال له أبو عزة الهبري من هبرة بطن من سويد ، وسويد من عرب بني مالك بن زغبة الهلاليين ، وكان هذا الرجل فيما زعموا يخطط في الرمل ويتعاطى بعض السحريات ، فتبعه بعض الأوباش الذين لا شغل لهم ، وتأشبوا عليه ودنا من أطراف الايالة وقوِيَ حسُّه ، وكان السلطان أعزه الله عازماً على النهوض إلى تلك الناحية وتمهيدها ونفْي الدجاجلة عنها ، فاستعدَّ غاية الاستعداد ، وجدد الفساطيط وكسا الجنود فرسانها ورماتها قديمها وحديثها وعرضها كلها ، ثم نهض من فاس منتصف رجب سنة احدى وتسعين ومئتين وألف ، ولما بات في الليلة الثانية بآيت سغروشن أغار على المحلة ليلا أبو عزة الهبري ومعه سعيد بن أحمد السغروشني ويقال انه ادريسي النسب ، فماجت المحلةُ بعض الشيء ثم تراجع الناس وأخذوا مراكزهم وصوبوا المدافع وآلات الحرب نحو عدوهم فشردوهم ، فكان ذلك آخر العهد بهم ، وقبض على عدد من أصحابه وقطعت رؤوس منهم ، وتقدم السلطان أعزه الله في جموع مؤلفة من الجيش السعيد المظفر وأنجاد نظام العسكر وغزاة القبائل الغربية بربرية وعربية الى بني سادن وآيت سغروشن فأوقع بهم وقتل وأسر وانتسفت الجيوش زروعهم ، وبعثرت أرضهم وديارهم ، فلجأوا الى بني وراين ، فأمر السلطان أيده الله بقتال الجميع ، ثم جاء بنو وراين متنصلين متبرئين الى السلطان منهم ، فقبلهم وولى عليهم رجلا من أعيانهم ، ثم جاء بنو سادن وآيت سغروشن تائبين خاضعين فعفا عنهم ووظف عليهم مئة ألف مثقال وزيادة أربعمئة من الخيل، فأذعنوا لأدائها واستوفاها السلطان أعزه الله منهم في أوائل شعبان من السنة ، ثم تقدم إلى تازة فدخلها في أوائل الشهر المذكور ، ولما

احتلَّ بها قدمت عليه وفود قبائلها متمسكين بحبل الطاعة ، داخلين فيما دخلت فيه الجماعة فرحين مغتبطين ، وبكل ما أمكنهم من الخدمة متقربين ، وجاءت الأحلاف ومَن جاورهم حاملين هوادجهم المحلاة بأحسن حلية وشاراتهم التى يستعملونها فى مواسمهم وزيهم ، فقابل السلطان أعزه الله كلا بما يجب من المجاملة وحسن المعاملة ، ما عدا ثلاث فرق من غياثة المجاورين لتازة وهم بنو أبى قيطون ، وأهل الشقة وأهل الدولة ، فانهم كانوا يُضيِّرون بأهل تازة ويغيرون عليهم ، فألزمهم السلطان أيده الله بأداء ما تعلق لهم بذمتهم فأدوه فى الحال ، ثم وظف عليهم ثلاثين ألف ريال أخرى لبيت المال فأدوها أيضاً عن طيب أنفسهم ، ومَن عداهم من أهل غياثة فانما أدوا الزكوات والأعشار وأظهروا حسن الطاعة والامتثال ، وفى هذه الأيام جيء إلى السلطان بالهبري أسيراً ، فانه لما خرج السلطان أعزه الله فى طلبه وطلب غيره أبعد فى الصحراء ولم تزل تلفظه البلاد ، وتتدافعه الشعاب والوهاد ، إلى أن ساقته خاتمة النكال إلى قبيلة بنى كلال وهم على أربع مراحل من تازة فقبضوا عليه وجاءوا به إلى السلطان أسيراً ، حتى أوقفوه بين يديه مصفداً كسيراً ، فأظهر الهبري الجزع ، وتضرع وخضع ، فحقن السلطان أعزه الله دمه ، وأمر به فطيف به فى المحلة على جمل ، ثم أمر ببعثه إلى فاس فسجن بها بعد أن طيف به فى أسواقها ، ثم مضى السلطان أعزه الله لوجهته حتى بلغ قصبة سلوان على طرف الايالة المغربية من جهة الشرق ، فوفدت عليه قبائل تلك النواحي وأهدوا وأظهروا غاية الفرح والسرور ، حكى من حضر أنهم كانوا يزدحمون عليه لتقبيل يده وركابه ، ووضع ثيابه على أعينهم تبركاً به .

وفى أوائل رمضان من هذه السنة (1291 هـ) فى ليلة الخامس أوَ السادس وقع تناثر فى الكواكب وتداخل واضطراب عظيم على هيأة مفزعة بعضها مشرق وبعضها مغرب وبعضها إلى هيأة أخرى ، فكان الحال كما وصف الأعمى بقوله :

كأن مثار النقـع فوق رؤوسنـــا   وأسيافنا ليــل تهاوى كواكبـــه

دام ذلك إلى قرب السحر .

وأقام السلطان أعزه الله بهذه البلاد حتى عيد بها عيد الفطر ، وكان المشهد هنالك عظيماً ، والموسم فخيماً ، وحضر بنو يزناسن ومعهم كبيرهم الحاج محمد بن البشير بن مسعود فأهدى هدية كبيرة ، وولاه السلطان على تلك القبائل من بنى يزناسن وغيرها وقفل أعزه الله راجعاً فأدركه فصل الشتاء بتلك الجبال والفيافي ، فاشتد البرد وقلت الأقوات وهلك بسبب ذلك عدد كثير من الجند ، ولحق الناسَ مشقة فادحة ، وأظهر السلطان نصره الله يومئذ من الشفقة والبرور ما تناقله الناس وتحدثوا به ، فانه كان يسير سير الضعيف ويقف على المرضى حتى يصلح من شأنهم ويأمر بدفن مَن يدفن وحمل مَن يحمل ، وإذا سقط لأحد دابته أو رحله وقف عليه بنفسه حتى يعان عليه ، وهكذا إلى أن دخل حضرة فاس بحيث أدرك بها عيد الأضحى من السنة ، فعيد بها وتفرغ للنظر في أمر العسكر ، يقوم عليه بنفسه ويعرضه على عينه ، ويتصفح قوائم مئونه ورواتبه ، فاطلع أيده الله على ما كان يدسه القائمون على ذلك من الزيادة الباطلة ، فعزل مَن عزل وأدب مَن يستحقُ التأديب ، ثم قبض على كبير العسكر السوسي وهو الحاج منو الحاحي ، وكانت فيه شجاعة وإقدام ، إلا انه كان مفرطاً فى التهور والادلال على الدولة وكبرائها ، فأدى ذاك إلى الانتقام منه بالضرب والسجن والاحتياط على ماله وضياعه ، وما زال مسجوناً إلى الآن ثم سرح من السجن واستوطن مراكش عام ألف وثلاثمئة وخمسة .

وفــى هذه المدة شرع السلطان أعــزه الله فى بناء داره العاليــة بالله العامرة المزرية بمصانع المعتمد وقباب الزهراء ، وذلك في البستان المعروف ببستان آمنة داخل فاس الجديد ، عمد أعزه الله إلى ناحية من ذلك البستان فقطع ما كان بها من الشجر وبنى فيها قبة فارهة فائقة الحسن بديعة الجمال ، يقال إنه ضاهى بها بعض قباب المعتمد بن عباد باشبيلية ، ثم بنى الدار الكبرى بازائها وهي من عجائب الدنيا حسبما بلغنا ، بالغ أيده الله في تنجيدها وتنميقها وأودعها من النقش العجيب والترخيم البديع والزليج الرفيع المزري بخمائل الزهر وقطائف الهند وبديع الطوس بحيث جزم كل مَن رأى ذلك بأن مثله لم يتقدم فى دولة من دول المغرب ، وجلب لقبابها الأبواب من

بلاد الأروام ، يقال أن ثمن أحد الأبواب خمسة عشر ألف ريال ، مساميره من أفضل أنواع العود لا تعرف له قيمة ، وفيه من النقش ما يدهش الفكر ويحير النظر ، وباقي الأبواب من البلور الصافي المذهب المودع فيه كل نقش غريب وبها خوخات مركبة بهية بديعة ، كل ذلك قد عمه الذهب النضار ، الذى يدهش الأبصار ، وجلب لذلك من الأثاث الرومى ما قيمته ألوف من الريال ، وفيها من الفرش والحائطيات المزخرفة ما لا يدرى ثمنه ، ولا يعرف معدنه وموطنه ، إلى غير ذلك من المقاعد الحسنة ، والمنازل المستحسنة ، الرائقة الطرف ، البديعة الصنعة والرصف ، وفي مدة مقام السلطان أيده الله بفاس بلغه عن ولد البشير بن مسعود بعض استبداد ، فاقتضى نظر السلطان أعزه الله أن يبعث من قِبَله عاملا لجباية تلك النواحي ، فعقد لأخيه المولى علي على جيش وأضاف إليه القائد عبد الرحمان ابن الشليح الزراري بمنزلة الوزير والظهير ، وبعثهما إلى ناحية وجدة ، وكان ابن الشليح المذكور يومئذ يتولى عمالة تازة وكان أهل وجدة وأعمالها يكرهون ولاية ولد البشير عليهم ، ويحبون ولاية ابن الشليح إذ كان له ذكر وصيت فى تلك الناحية ، وربما كاتبه عرب انقاد وكاتبهم ، ولما أحس ولد البشير بذلك انصبغت العداوة بينه وبين ابن الشليح فلم يكن إلا كلا ولا حتى وجه السلطان أيده الله ابن الشليح المذكور والياً على وجدة وأعمالها ، وجالباً لأموالها ، وناظراً فى شؤونها وأحوالها ، فقامت قيامة ولد البشير وعلم أنه لا يصفو له عيش معه ، فعزم على أن يطرده من تلك البلاد ويرده من حيث جاء ، وكان ولد البشير هذا حسن الطاعة للسلطان ، إلا أنه أفسد أمره بما ذكرناه ، ولما قرب ابن الشليح من أرضه خرج عليه فى خيله ورجله ، ولما التفت مقدمة الجيش به انتشبت الحرب بينهم وقامت الفتنة على ساق ، وكان غرض ولد البشير أن يضم إليه أخا السلطان وجيشه ويقوم بخدمتهم ويطرد عنه عدوه فقط ، فلم يستقم له ذلك ، وكان رأيه هذا خطأ ، إذ ليست هذه بطاعة كما لا يخفى ، ثم انهزم الجيش وعمدت بنو يزناسن والعرب إلى المحلة فانتهبوها ، فعاد عبد الرحمان ابن الشليح إلى السلطان أعزه الله وهو بفاس فأخبره الخبر وباثر ذلك كتب ابن البشير إلى السلطان يتنصل من أمر ابن الشليح ومحلته ، وإنه ما زال على

الطاعة لم يبدل ولم يغير ، وإنما الذى انتهب المحلة هم السفهاء من غير إذن لهم ولا موافقة على ذلك ، وحتى الآن فكل ما ضاع من تلك المحلة يؤديه بأكثر منه ، فطوى له السلطان أيده الله عليها وأرجأ أمره إلى وقت آخر ، وكان قد اتصل به فى ذلك الوقت خبر ابى عبد الله الكندافي صاحب جبل تينمل ، وكان أصل هذا الرجل أنه كان من أشياخ قبيلته ، وكان المتولى عليهم هو قائد الجيش السوسي إبراهيم بن سعيد الجراوي ، وكان الكندافى هذا أحذر من غراب ، وأمنع من عقاب ، قد اتخذ حصناً فى رأس جبل تنمل حيث كان ظهور مهدي الموحدين حسبما يمرُّ فى أخباره ، وتحصن به وصار يؤدي للقائد الجراوي ما يأمره من غير توقف إلا أنه لا ينزل إليه ، ولما تُوفي الجراوي المذكور وولى السلطان على الجيش السوسي وما أضيف له وصيفه القائد أحمد بن مالك ضايق الكندافي بعض الشيء وسار معه بغير سيرة الجراوي قبله، فأنف الكندافى من ذلك وأعلن أنه في طاعة السلطان ومتقلد لبيعته يموت عليها ولا يقبل ولاية أحمد بن مالك ولو ألقي فى النار ، فكتب أحمد بن مالك إلى السلطان وهو بفاس يعلمه بأن الكندافى قد خلع الطاعة ، وفارق الجماعة ، وأشاع المرجفون أنه يحاول الاستقلال بالأمر التفاتاً إلى ما كان لسلفه من أهل ذلك الجبل منذ سبعمئة سنة ، وربما حنَّ هو إلى ذلك أيضاً ، وقد حكي ابن خلدون أن أهل ذلك الجبل كانوا فى زمانه على هذا الاعتقاد :

تخرصاً وأحاديثاً ملفقة ليستْ بنبع إذا عُدت ولا غرب

واستأذن أحمد بن مالك السلطان أعزه الله فى غزو هذا الكندافي فأذن له ، فبعث إليه كتيبة من الجند، ففضَّها الكندافي، فازداد المرجفون تقولا وتخرصاً، ثم بعث إليه ابن مالك جيشاً آخر أعظم من الأول فهزمه الكندافى أيضاً وقبض على جماعة منهم باليد ، فمَن كان فى جيش السلطان سرحه إظهاراً للطاعة ، ومَن كان من عمال قبائل المجاورة له ضرب عنقه وكانوا عدداً وافراً ، فتفاحش أمر الكندافى فى الحوز ، وكاد يستحيل الى فساد ، فبعث إلى حضرة السلطان بفاس ، وكتب له يشرح قضيته وأنه مظلوم من قِبَل أحمد بن مالك ، وما ارتكبه فى حق الجيش إنما هو مدافعة عن نفسه ، وأنه لم يقتل جندياً قط ،

وبالغ فى التنصل وتقديم الشفاعات والذبائح والعارات ، فأرجأ السلطان أعزه الله أمره ونهض من فاس منتصف رمضان سنة اثنتين وتسعين وألف فوصل إلى رباط الفتح ليلة عيد الفطر ، فاتفق أن وقع بها نادرة وهي أن جماعة من شهود اللفيف اثني عشر جاءوا الى القاضى محمد بن إبراهيم رحمه الله ليلة التاسع والعشرين من رمضان وشهدوا عنده أنه رأوا هلال شوال بعد الغروب برؤية محققة لم يلحقهم فيها شك ولا ريب ، فسمع القاضى بشهادتهم وسجلها وكتب للسلطان بذلك وهو بغرميم ، فارتحل السلطان فى جوف الليل ودخل داره ، وأصبح من الغد معيداً وعيد أهل العدوتين وأعمالهما والجمّ الغفير من أهل المغرب الذين حضروا مع السلطان ، ولما أن كان ظهر ذلك اليوم هو التاسع والعشرون من رمضان حقق الفلكيون من أهل الدولة أن العيد لا يمكن أن يكون فى ذلك اليوم ، وتكلموا بذلك وباهوا به ، فكثر الكلام بذلك ، وكان جلّ الناس على شكأيضاً ، ولما حان وقت الغروب ارتقب النـاس الهلال والسماء مصحية ليس فيها قزعة فلم يروا له أثراً فأمر السلطان أعزه الله بالنداء وأن الناس يصبحون صياماً لأن رمضان ما زال ، فصام الناس من الغد وبعد ذلك ظهر الهلال ظهوراً معتاداً وتبين كذب الشهود فسجنوا ثم سرحوا بعد حين .

ولما قضى السلطان أعزه الله سنة العيد نهض إلى مراكش ، فلما قرب من زاوية ابن ساسى بين بلاد الرحامنة وزمران نزل هنالك على الرحامنة وكانوا قد حصل منهم اعوجاج وتمرض ، فوظف عليهم من الأموال ما أثقل ظهورهم ، وفرض عليهم من العسكر والخيل ما امتحنوا في إدائه ولم يقم عنهم حتى أدوا جميع ذلك وحتى خـرج الأشراف والمنتسبون مـن أهـل مراكش إلى السلطان للشفاعة فيهم والرغبة إليه في دخول منزلـه ، فقبل السلطان أيده الله شفاعتهم وارتحل عنهم ، ودخل مراكش آخر ذي القعدة من السنة ، وكانت مدة مقامه على الرحامنة ستة عشر يوماً ، وكان يوم دخوله إلى مراكش يوماً مشهوداً ، وفي مهل ربيع الثانى من السنة المذكورة خرج من مراكش يؤم بلاد اغرب فجعل طريقه على ثغر الجديدة ، فأقام بها أياماً بعد أن زار تربة بنى أمغار برباط تيط ، وتفقد أحوال ثغر الجديدة ووقف على

أبراجها وأسوارها ، وباشر في الرماية بالمدافع ، وكان رميه صواباً بحيث أصاب الغرض أعزه الله ، وأهدى له جميع تجارها من المسلمين والنصارى واليهود فقبل ذلك وكافأ عليه ، ولما احتل السلطان أعزه الله بالدار البيضاء طاف في أبراجها وأمر الطبجية بنصب الأغراض المسماة بالقريبيات في البحر ، ثم أمر برميها وهو حاضر وربما باشر معهم ، ثم اجتاز بعد الفراغ على باب المرسى ومحل وضع السلعة للتجار به ، ووقف عليه وتأمله كما فعل بثغر الجديدة ووعد باصلاح المون على شاطيء البحر لأن البحرية يتعبون فيه وقت إنزال السلع ووسقها ، وأقام بالدار البيضاء بالمحلة خارج البلد يومين ، وأهدى له تجارها من النصارى واليهود والمسلمين ، وأظهر النصارى الفرح وأكثروا من تعليق السناجق وإيقاد الحراقيات بالليل وإرسالها بالجو ، فقابلهم السلطان أعزه الله بالجميل ، وحمل النصارى منهم على خير مكافأة لهم على هديتهم ، فطاروا بذلك فرحاً حتى أنهم كتبوا بذلك لأهل دولهم ونشروه في كوازيطهم (1) وأجوبتهم ، ثم إن السلطان أعزه الله نهض من الدار البيضاء ومعه الجند الوافر والعسكر المجر والجمُّ الغفير من قبائل الحوز وأهل دكالة وتامسانا فأوقع بعرب الزيايدة أهل تامسنا ، وتقدم إلى رباط الفتح فدخله غرةَ جمادى الأولى من السنة فمكث به نحو سبعة أيام وعبر إلى سلا ، فزار أولياءها ودخل مسجدها الأعظم وصلى الظهر به وأمه في صلاته يومئذ صاحبنا الفقيه العلامة البارع عبد الله بن الهاشمي ابن حضراء ، ودخل السلطان أعزه الله خزانة الكتب العلمية بالمسجد المذكور وتأملها ومعه يومئذ شيخنا الفقيه العلامة القاضي سيدي أبو بكر بن محمد عواد ، فطلب من السلطان أيده الله أن يزيد من شراء الكتب للخزانة المذكورة ، فأذن له بأن يشتري من ذلك ما ثمنه نحو مئة ريال ففعل وهي يومئذ بالخزانة المذكورة ، ووصل رحمه الله علماء العدوتين ومجاهديها على العادة ، ثم نهض السلطان أعزه الله من رباط الفتح في عاشر جمادى الأولى سنة ثلاث

1) جمع كازيطة La Gazetta الصحيفة فى العامية المغربية القديمة ؛ والكلمة مما دخل الى اللهجة المغربية من اللغة الاسبانية ؛ يقال ان بعض علما المغرب الجامدين الف فى بداية هذا القرن الرابع عشر الهجرى كتاباً سماه (الضرب بالزراويط على راس من يقرأ الكوازيط) ! .

وتسعين ومئتين وألف قاصداً مكناسة ، وجعل طريقه على زمور الشلح ، فخرجوا إليه متذللين خاضعين متقربين إليه بالهدايا والضيافات ، فضرب عليهم الأتاوة والبعث فانقادوا ، ثم دخل أعزه الله مكناسة ثامن عشر الشهر المذكور ، فمكث بها أياماً يسيرة ثم عاد إلى فاس فمكث بها أياماً كثيرة كذلك ريثما اجتمعت إليه الجنود وخرج قاصداً بلاد وجدة وبنى يزناسن وكبيرهم الحاج محمد بن البشير بن مسعود ، وكان خروجه من فاس منتصف جمادى الثانية من السنة فاجتاز بتازة وأناخ على قبيلة غياثة جاعلا الهضبة المعروفة بذراع اللوز أمامه قبلة ووظف عليهم المئونة ، قيل إنه وظف عليهم مئة صفحة من القمح والشعير فدفعوا شيئاً يسيراً وعجزوا وتعللوا بأن هذا الذى جرت العادة أن يدفعوا للملوك من قبل ، وكانت هذه القبيلة لم يهجْها هيج منذ قديم لتحصنهم بجبالهم وأوعارهم ولهم استطالة على أهل تازة يركبونهم كل خسف فظهر للسلطان أعزه الله قتالهم فقاتلهم يوم الخميس أواخر الشهر المذكور واقتحم عليهم حصنهم المعروف بالشقة وهو خندق بين جبلين فيه واد على حافته بناءات ودور ، فحرق ذلك كله وهدمه ، وانتسف ما فيه من قمح وشعير وإدام وغير ذلك ، وقطع منهم رؤوساً يسيرة ، ولما كان الغد وهو يوم الجمعة السادس والعشرون من الشهر المذكور ركب السلطان أيده الله وركب معه أهل المحلة إلا قليلا وقدم المدافع والمهاريس أمامه واقتحم الشقة فتبعه الناس فدخلوا بلاد غياثة وتوسطوها وقاتلوا أهلها فهزموهم والسلطان أمام الجيش في موكبه ، فسار حتى وصل المداشر ورمى عليها من الكور والبنب (1) شيئاً يسيراً ، وكانت غياثة قد وضعت الكمائن على الأنقاب وشحنوها بالرماة وتركوا منفذاً واحداً يفضي إلى مهواة متلفة ذات شقوق غامضة وأشجار شائكة وصخور متراكمة لا يدرك قعرها ولا يبصرها إلا من وقف عليها ، ولما وغل الجيش في مزارعهم ومداشرهم خرجت الكمائن من خلفهم ورموهم عن يد واحدة بالرصاص ، فدهش الناس وتذكروا فعلهم القديم من الانهزام على الملوك بلا موجب إذ لم يكن في شوكة غياثة

---

1) جمع بومبة Bomba القذيفة فى العامية المغربية ؛ وهى مما دخل فيها من اللغة الاسبانية ؛ ولا تزال مستعملة الى الآن .

هؤلاء وكثرتهم ما ينهزم منه ذلك الجيش اللهام ولو تلبثوا يسيراً وقاوموهم لهزموهم في الحال كما هزموهم أول مرة ، ولكن العادة هي العادة ، فولوا مدبرين لا يلوون على شيء ، وتكاثر الرصاص على موكب السلطان حتى سقط حامل الراية وجرح المولى عرفة أخو السلطان وقتل سيدي محمد بن الحبيب نقيب الأشراف بالعدوتين ، وأما الجيش وقواده فانهم لـما أنهزموا صرفوا وجوههم إلى المهواة التي ذكرنا وقصدوها على عمياء وقد ارتفع دخان البارود وغبار الخيل فتهافتوا فيها تهافت الفراش في النار ، لايعلم اللاحق ما وقع بالسابق إلى أن امتلأت من الخيل والرجال والأثاث وما كادت ، وكان ذلك قضاء من الله وتمحيصاً منه ، فهلك من الناس والخيل ما لا يحصَى ، وبقيت أشلاؤهم ناشبة في تلك الأوعار تلوح مثل المجزرة ، وترجل السلطان أعزه الله عن فرسه حتى خلص من تلك الشقوق ، ثم ركب واجتمع الناس عليه فراجعوا به بصائرهم بعد الكائنة ، ثم انشمر غياثة بعدها إلى رؤوس الجبال وتركوا المداشر والجنات ، فاقتحمها السلطان بعد يومين أو ثلاثة عليهم فلم يقف أمامه منهم أحد ، فعاث فيها وحرقها وجعلها حصيداً كأن لم تغن بالأمس ، ثم استمرّ أعزه الله مقيماً بفاس وجد في بناء مقاصيره ومتنزهاته ببستان آمنة من فاس الجديد ، وكتب أيده الله إلى وصيفه أحمد بن مالك قائد الجيش السوسى بالمنشية من حضرة مراكش أن يبني له على الباب المعروف بباب الرئيس من الدار الكبرى من الحضرة المراكشية قبة فارهة ويبالغ في رفعها وتنجيدها وتنميقها ، فشرع فيها في شوال من السنة المذكورة ، وكنا يومئذ نتولى إحصاء صائرها وصائر غيرها من البناءات المراكشية ، فكان ما صير على القبة وحدها أكثر من مئة ألف مثقال ، وكذلك بنى بمكناسة القبة العظيمة التى طاولت السماء ترفعاً ، وذهبت في الجو صعداً ، بحيث أشرفت على ما حولها من بسيط سايس وغيره حتى صارت مثلا في الطول والاشتهار ، وبنى أعزه الله قبة عظيمة حفيلة على ضريح الشيخ العارف بالله تعالى سيدي محمد الصالح بن المعطى الشرقاوي بأبي الجعد ، فصيَّر عليها أكثر من ثلاثين ألف مثقال تقبل الله منه .

وفى جمادى الأولى من سنة 1294 هـ أخذ السلطان أعزه الله فى الاستعداد بالحضرة الفاسية للحركة استعداداً لم يتقدم له مثله ، حتى أنه كتب إلى أخيه وخليفته بمراكش المولى عثمان بن محمد أن يوجه إليه من العدة الرومية وهي مكاحل مركبة فيها توافلها (1) ما قدره ألف وخمسمئة وعشرون مكحلة تخرج أبخاشها (2) بالحبة الرومية ، وأن يوجه إليه أربعمئة ألف وعشرة آلاف من الحبة المذكورة وعشرة قناطير من البارود ومئة قنطار من ملحه ومدفعين ، وكتب أعزه الله إلى أمناء الصائر بأن يبعثوا إليه بثلاثمئة وثلاثين سرجاً وستمئة كسوة من الملف للعسكر ، وخمسة عشر ألف من البلغة ومثلها من النعالة ، وبعث أعزه الله عمه المولى الأمين بن عبد الرحمان إلى رباط الفتح فجمع عساكر الثغور وحشد قبائل دكالة وتامسنا والغرب وبنى حسن وغيرهم ، ووجه أخاه المولى الحسن الصغير لحشد قبائل الدير والجيش المتفرق بها ، ثم كان خروج السلطان من فاس إلى مكناسة آخر الشهر المذكور ، ولما سمعت قبائل البربر بخروجه ارتابت وحذرت ، وظنت كل قبيلة أنها المقصودة ، ففرت مجاط وبنو مطير إلى رؤوس الجبال ، وفرت عرب عامر من بنى حسن إلى زمور الشلح ، وكان الناس يظنون أن السلطان يغزو فى هذه السنة برابرة الجبال والصحراء فخرج الأمر بخلاف ذلك ، وفى هذه المدة وفد على السلطان أيده الله عدة باشادورات للأجناس ، مثل باشادور الفرنسيس والاصبنيول والبرتغال وغيرهم ، وتكلم الفرنسيس فى شأن بابور البر والتلغراف واجرائهما فى المغرب كما هما بسائر المعمور ، وزعم أن في ذلك نفعاً كبيراً للمسلمين والنصارى ، ثم نهض السلطان نصره الله من مكناسة فى أواخر رجب فى جمع وافر وعدة كاملة فاجتاز ببلاد زمور الشلح فأظهروا له غاية الطاعة والخضوع ، وقدمت عليه وفودهم من كل جانب رافعين أعلامهم وشاراتهم وزينتهم التى يستعملونها فى مواسمهم وأعيادهم ، وأدوا له من المال والمؤون والضيافات ،

---

1) جمع تافالة : المدية تركب فى جعبة المكحلة (البندقية) فى الاصطلاح العسكرى المغربى القديم .

2) جمع بخش : يراد به الرصاصة والبارود الذى يدفعها ؛ والسياق يخصصها هنا بالرصاصة ؛ والمراد بالحبة الرومية الكارطوش (القرطوش) العصرى .

فاستكثر الناس ذلك وتحدثوا به ، ثم زحف إلى عرب السهول من أعمال سلا فأوقع بهم وشرد بهم مَن خلفهم ، وكتب أعزه الله فى العشرين من رمضان إلى الآفاق يعلمهم بما أتاح الله من الظهور والنصر والسعادة وخضوع قبائل البربر له وتباريهم فى طاعته وخدمته ، وبذلهم من الجباية ما لم يكونوا يبذلون القليل منه لغيره ، وذكر فى كتابه أن ذلك كله بمحض فضل الله ومجاري السعادة وحسن السياسة من غير ضرب ولا طعن ولا سفك دم ، حتى أن قبيلة بنى حكم قد أظهروا بعض الاعوجاج ، فقام إليهم إخوانهم من زمور فقوموا اعوجاجَهم حتى فاءوا إلى أمر الله ، وكفى الله السلطان أمرهم ، ثم ذكر فى كتابه أعزه الله أمر السهول ، وأنه بعد أن أوقع بهم أمر بجمع فلهم ، ورأى استصلاح كلهم بتامين جلهم لعمارة بلادهم بهم ورجاء نفع ما تقدم من أدبهم ، وفى ليلة الجمعة الرابع عشر من شعبان من السنة خسف القمر خسوفاً كلياً بحيث ذهب نوره واختفى شخصه حتى لم ير منه شيء ، وبقي كذلك نحو ساعتين ثم أخذ فى التجلي شيئاً فشيئاً إلى أن عاد إلى امتلائه .

وفى هذه المدة قلت فلوس النحاس بمراكش وأعمالها حتى كادت تنعدم وذلك بسبب غلاء الريال الافرنجي بمراكش ورخصه بفاس ، فكان صرفه بمراكش يومئذ بثلا[illegible] ، وصرفه بفاس بثلاث [illegible] ، فصار التجار يجلبون فلوس النحاس من فاس إلى [illegible] بالريال [illegible] في كل ريال نحو مثقال وتمالأوا على ذلك وتوفرت دواعيهم عليه ، حتى قلت الفلوس بمراكش و[illegible] الناس عليها لما فيها من الربح وتعطل معاش الضعفاء بذلك ولحق الناس ضرر كثير ، فكان الرجل يطوفُ بالبسيطة والريال فى الأسواق فلا يجد من يصرفه له ولا يتأتى له أن يشتري من ضروريات معاشه ما قيمته أقل من بسيطة ، واتصل الخبرُ بالسلطان أعزه الله فكتب إلى الآفاق يأمر الناس برد صرف الريال إلى ثلاثة مثاقيل وربع مثقال ، فامتثل الناس ذلك ونودي به فى الأسواق ، فانعكس الحال على التجار وتقاعدوا على الريال والبسيطة ، وفاضت الفلوس فى الأسواق حتى صارت معاملة الناس ليست إلا بها وحصل للتجار حينئذ من الضرر فى رخص الريال ما كان حصل للضعفاء فى قلة الفلوس ،

لأن التجــار حينئذ صاروا يبيعون سلعهــم التي بذلوا فيها الريــال الغالي بالقراريط النحاسية التي صار صرف الريال فيها على النصف ، فأمســك الناس سلعهم وامتنعوا من بيعها وتعطلت المرافق أو كادت ، فكتب السلطان ثانياً برد أسعار السلع والأقوات على النصف مما كانت حتى تحصل المساواة بين الأثمان والمثمنات ، فنشأ بذلك هرج كبير وضرر للناس في معاشهم ، وأبى الله إلا أن تعود السكة إلى حالتها التي كانت عليها ، وقد بينا العلة في ذلك قبل هذا، وأن السكك والأسعار لا تزال في الزيادة ما دامت المخالطة مع الفرنج تكثر بكثرتها وتقل بقلتها ، ثم عيد السلطان عيد الفطر من هذه السنة بزبيدة من بلاد زعير ولم يدخل رباط الفتح على قربه منها ، ووفدت عليه هنالك قبائل المغرب وأهل الأمصار فشهدوا العيد معه وأجازهم وكساهــم على العادة ، ولما فرغ من أمر العيد عين عامل رباط الفتح وهو القائد عبــد السلام بن محمد السوسي،وعين الحاج عبد الكريم بن أحمد بريشة التطواني والحاج محمد بن عبد الرزاق ابن شقرون الفاسي للذهاب إلى مدريد دار ملك الاصبنيول بقصد السفارة عنه الى دولتهــم والمكافاة لهم عــلى مجيىء باشادورهم (1) حسبما مرّ التنبيه عليه ، ففعلــوا وعادوا بحيث أدركــوا عيد الأضحــى من [illegible] السلطان أعزه الله بمراكش ، ثم نهض السلطان بعد عيد الفطر من زبيدة يؤم البلاد المراكشيه ، [illegible] ا[illegible]اة وسكن قبائلها وأوقع ببني عمير وقبض منهم على ما يناهز أربعمئة مسجون سيقت في السلاسل والاغلال الى السجن وفر بنو موسى الى رؤوس الجبال حتى استنزلهم السلطان على الأمان ودخلوا في الطاعة والتزموا الخدمة ، ثم نهض السلطان أيده الله الى مراكش فدخلها في عشر ذي الحجة من السنة ، فكان بها عيد لم يعهد الناس مثله منذ قديم، وكتب الى الآفاق يعلم الناس بما منّ الله به من النصر والتأييد، والفتح والعز المديد ، وأقام السلطان بمراكش في هذه المرة مدة طويلة ، ثم كان نهوض السلطان أيده الله من مراكش قاصداً بلاد الغرب غــرة جمادى الأولى سنة ست وتسعين ومئتين وألف ، فاجتاز في طريقه بتادلة وأناخ على

1) الباشادور السفير فى العامية المغربية ؛ وهى مما دخل فيها من اللغة الاسبانية ، ولا تزال الكلمة مستعملة الى الآن مزاحمة لكلمة السفير .

قبيلة آيت عتاب ، فأوقع بهم في أوعارهم وأعز معاقلهم وأوكارهم ، وقطع منهم واحداً وعشرين رأساً ، ثم زحف الى بنى موسى فأدوا الطاعة وقاموا بواجبها ، ثم سار محفوفاً بالنصر واليمن الى أن دنا من مكناسة الزيتون ، فزحف الى بني مطير ، وكان شررهم قد استطار فى تلك النواحي كل مطير ، فانه لما سافر السلطان نصره الله عن مكناسة سنة 1294 كما مر زحف بنو مطير هؤلاء الى عرب دخيسة وأولاد نصير الذين أنزلهم السلطان بسايس وبوأهم إياه عوض مجاط فأوقعوا بهم وقعة شنعاء ، وقد صبرت العرب في ذلك اليوم صبراً جميلا حتى أن جماعة منهم قد عقلوا أنفسهم في حومة الحرب ليلا يفروا ، وقاتل إخوانهم دونهم حتى كثرهم البربر فقبضوا عليهم باليد وضربوا أعناقهم وقتلوا منهم نحو مئتين ، وهلك من البربر مثل ذلك أو أكثر ، ولما انهزمت العرب عمد بنو مطير الى مجاط فأنزلوهم بسايس على ما كانوا عليه ، ثم انطلقوا في الطرقات بالعيث والافساد فيها والنهب للمارة ولم يدخروا شيئاً من الشيطنة ليوم ءاخر ، وكثرت الشكايات بهم على السلطان وهو بمراكش ، فلما قدم أعزه الله قدمته هذه لم يقدم شيئاً على تأديبهم ، فنهض إلى رأس بلادهم ومزرعة فسادهم آكُراي والحاجب وغيرهما ، وتقرى آثارهم في تلك الجهات حتى جاوزت عساكره الحاجب بمسايف كثيرة ، وتوغلت البربر في قنن الجبال ، فأمر السلطان أدام الله علاه بني مكيلد أن يزحفوا إليهم من ناحية قبلة آكُراي ، فزحفوا وانثنوا على حدودهم الى غابة آفقفاق التى هي الحد بين بني مكيلد وآيت سغروشن وآيت يوسي ، فحصروهم من تلك الجهات ، ثم نزل بازائهم آيت يوسى وآيت سغروشن وآيت عياش وآيت والان من جهة الشمال ، وامتدوا الى حدود وادى النجاة ، وربط حذوهم من جهة الغرب وراء وادي النجاة القائد العربي بن محمد الشرقي المدعو ببَّا محمد (1) ووصل جناحه عليهم قبائل الحوز والغرب ، وصار بنو مطير في مثل أفحوص القطاة ، وضاق بهم رحب الفضاء ، وأيقنوا بالهلاك والبوار ، ولفظتهم السهول والأوعار ، ونهبت الجنود زروعهم القائم منها والحصيد ، واستخرجت من مخزونهم الكثير والعتيد ، ولما انتهى الحال بهم الى هذه

1) واليه نسبة قرية أبا محمد بشمال فاس .

الغاية تطارحوا على السلطان بالشفاعات ، وأكثروا من التوسل بالذبائح والعارات ، فرقّ لهم وأقلع عنهم بعد أن ألزمهم إعطاء خمسمئة مرهون ، ووظف عليهم مئة وخمسين ألف ريال بعد أداء الحقوق ورد المظالم ، وشرط عليهم اخراج قبيلة مجاط من بين أظهرهم ، وضمنهم طريق مكناسة وفاس ، وجعل العهدة فيها عليهم جرياً على عادتهم القديمة من جعلهم النزائل بها والحراس ، فالتزموا ذلك كله وأدوه ، وبعد ذلك نهض السلطان عنهم إلى مكناسة فدخلها آخر رجب الفرد من السنة ، واستمر بها الى سنة سبع وتسعين ومئتين وألف ، فنهض الى فاس ، ولما احتل بها فرق الجيوش فى النواحى لجباية الزكوات والأعشار والوظائف المخزنية ، فانتهت السرايا والبعوث الى آيت يزدك من برابرة الصحراء فأذعنوا وأدوا ما كلفوا به من الزكوات والأعشار وغيرها ، والى آيت يوسى وغيرهم فأطاعوا وأذعنوا الا آيت حلي وهم بطن من آيت يوسى فانهم انحرفوا عن عاملهم وأبوا من أداء ما وظف عليهم فأوقع جيش السلطان بهم وقطعوا منهم عدداً من الرؤوس وساقوا مثلها من المساجين فعلقت الرؤوس بأسوار فاس ، وبعد ذلك أذعن آيت حلي للطاعة فقبلهم السلطان أيده الله وألزمهم ولاية عاملهم الذى كانوا منحرفين عنه ، وكان ذلك فى أواخر صفر من السنة المذكورة ، ثم كان عيد المولد الكريم فاحتفل له السلطان على العادة .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومئتين وألف فيها تحددت الشروط بين السلطان أعزه الله وبين أجناس الفرنج فى سبيل تأكيد المهادنة وجلب التجارة ، وكان من جملتها أن النصارى وأهل حمايتهم يلزمون بغرامة الوظائف المخزنية المرتبة على الأبواب كسائر رعية السلطان ، وقدر ذلك الوظيف ستة بلايين (I) لكل حمل ، وفي هذه المدة التي هي أواسط السنة المذكورة أخذ السلطان أعزه الله في التأهب للحركة والنهوض من مكناسة الزيتون قاصداً حضرة مراكش الحمراء فاحتلّها في آخر السنة المذكورة وعيد بها عيد الأضحى .

I) جمع بليون : اسم لكسر البسيطة يساوى ربعها ؛ مبلغه 25 سنتيماً ؛ كان المغاربة يتصارفون به ؛وهو القرش أيضاً ؛ والكلمتان الأوليان مما دخل فى العامية المغربية من اللغة الاسبانية .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومئتين وألف ، فيها تحرك السلطان أعزه الله لغزو بلاد سوس الأقصى ، فأخذ فى التأهب والاستعداد لذلك ، وأمر قبائل دكالة وتامسنا بحمل القمح والشعير والتين الى مرسى الجديدة ومرسى الدار البيضاء ليحمل منها فى المراكب الى ساحل سوس الأقصى بقصد ارفاق الجيش واعانته ، وكان السبب فى ذلك أن جنس الاصپنيول كان متشوقاً لتملك بعض المراسي السوسية منذ انعقاد الهدنة معه عقب حرب تطاوين ، وكثيراً ما كانت مراكبه الحربية والتجارية تتردد الى تلك النواحي فيستهوى أهلها بأسباب التجارة ونيل الأرباح ، فربما سكنوا اليه وربما نفروا منه ، وتكلم السلطان أعزه الله مع كبرائه في ذلك ، فاحتجُّوا بأن صلح تطاوين كان منعقداً على فتح بعض المراسي السوسية لأنهم الآن قد عزموا على الأخذ بشرطهم المذكور ، وإلا أفضى الحال الى ما لا يليق ، فرأى السلطان أعزه الله أن من الواجب أن ينهض الى تلك البلاد ليباشر أمرها بنفسه ، وكان أهلها قد بعد عهدهم باجراء الأحكام السلطانية فيما بينهم على مقتضياتها ، فنهض اليها فى رمضان من السنة المذكورة فانتهى منها الى ما وراء وادي نون ومهد أقطارها وولي على أهلها القضاة والعمال واتخذ هناك مرسى للوسق والوضع تسمى أساكا (1) .

وفي أواخر صفر عام اثنين وثلاثمئة وألف ، قام نواب الاصپنيول من مراسى المغرب الأقصى بعد أن أقاموا بها نيفاً وعشرين سنة لاستيفاء ما وقع الصلح عليه في حرب تطاوين ، وكان جملة المال المُصَالَحِ عليه عشرين مليوناً من الريال الكبير ، وكان السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان نصره الله قد دفع منه عشرة ملايين معجلة والعشرة الباقية هي التى استوفاها الاصپنيول في المدة المذكورة ، أقام أمناءه مع أمناء السلطان في مراسي المغرب ، فكان كل فريق يستوفي نصف الداخل حتى تمَّ العمل .

---

1) أنظر الكتاب الذى كتبه السلطان مولاى الحسن الأول فى شأن هذه الرحلة فى **الاستقصا** 9 : 175 طبع الدار البيضاء .

ثم في أواسط ربيع الأول من سنة 1303 ورد أمر السلطان أيده الله بتسريح ما كان موظفاً على أبواب المدن والقرى مما كانت تؤديه العامة على أحمال السلع والتجارات من المكوس (2) .

وفي هذه السنة اشتدَّ حرصُ أجناس الفرنج على تنقيص صاكة الأعشار وطلبوا من السلطان أيده الله أن يحط عنهم من صاكة السلع الموسوقة التى كانت مسرحة من قبل ، وأن يسرح لهم ما كان مثقفاً قبل ذلك ، وأبدأوا في ذلك وأعادوا ، وقاموا فيه وقعدوا .

ولما دخلت سنة خمس وثلاثمئة وألف غزا السلطان مولاي الحسن أيده الله آيت ومالو من برابرة فازاز،وهم بطن من صنهاجة يشتمل على أفخاذ كثيرة مثل صيان، وبني مگيلد، وشقيرن وآيت سخمان، وآيت يسري وغيرهم أمم لا يحصيهم إلا خالقهم ، قد عمروا جبال فازاز وملأوا قننها وتحصنوا بأوعارها منذ تملك البربر المغرب قبل الاسلام بأعصار طويلة ، فلما كانت السنة المذكورة خرج السلطان من مكناسة الزيتون عاشر رمضان منها بقصد غزو هذه القبائل العاصية وتدويخ بلادها إذ لم تكن تبذل الطاعة الا للواحد بعد الواحد من ملوك دول المغرب فى الأعصار المتراخية حسبما يعلم مما أسلفناه فى هذا الديوان من أخبارهم وأخبار غيرهم ، فانتهى السلطان الى تلك الجبال ودوخها ، ثم الى قصبة أدخسان التى بناها المولى إسماعيل رحمه الله ، فوفد عليه هناك جل تلك القبائل وبذلوا الطاعة وأظهروا الخضوع وبذلوا المئون والأنزال للجيش والهدايا للسلطان ، إلا ما كان من آيت سخمان فانهم أظهروا الطاعة أولا كغيرهم وطلبوا من السلطان أن يبعث معهم طائفة من الجيش ليدفعوا المؤون وما وظف عليهم من الهدايا والأنزال ، فأرسل معهم السلطان مئتيْ فارس وعقد عليهم لابن عمه الشريف الفاضل الناسك مولاي سرور بن إدريس بن سليمان ، وجده سليمان هذا هو أحد ملوك هذه الدولة العلوية حسبما تقدم ، فلما

---

2) أنظر كتابا متعلقاً بالموضوع بعث به السلطان مولاى الحسن الأول الى عامله على سلا الحاج محمد ابن سعيد السلوى فى **الاستقصا** 9 : 179 طبع الدار البيضاء .

توسطوا حلة آيت سخمان مع العشي تناجوا فيما بينهم والشيطان لا يفارقهم ، فاتفقوا على الغدر بأصحاب السلطان وفرقوهم على مداشرهم وحللهم ، فلما كان وقت العشاء الأخيرة أظهروا علامة بينهم ، وسعت كل طائفة إلى مَن عندها من أصحاب السلطان فأوقعوا بهم فقتلوا منهم نحو العشرين على ما قيل ، وأفلت الباقون بجريعاء الذقن ، وكان فيمن قتل منهم كبيرهم الشريف مولاي سرور المذكور وكان من خيار عشيرته رحمة الله عليه ، رموه برصاصة وطعنوه بتفالة (1) ، وكانت هذه الفعلة الشنعاء باشارة كبيرهم علي بن المكي من بقية آل مهاوش الذين تقدم الخبر عنهم في دولة السلطان مولاي سليمان رحمه الله ، ثم أسروا من ليلتهم تلك فلم يصبحوا إلا بآيت حديدو وآيت مرغاد وغيرهم من قبائل البربر ، وتفرقوا شذر مذر ، وبقي نفر يسير على ما قيل ، فقبض عليهم من الغد وضربت أعناقهم ، وقال بعض مَن حضر الوقعة إنهم لما فعلوا فعلتهم هربوا من تحت الليل وتركوا زروعهم وأمتعتهم فى مداشرهم ، ولما انتهى الخبرُ إلى السلطان بعث فى طلبهم طائفة من عسكره وضم إليهم خيل شقيرن إخوانهم وكانوا راكبين مع السلطان مظهرين للطاعة ، فانتهبوا أمتعتهم وانتسفوا زروعهم وهدموا أبنيتهم وحرقوا بيوتهم وبالغوا في النكاية ، وتحامت خيل شقيرن ذاك إبقاء على إخوانهم وتعصباً للبربرية ، وربما دسُّوا إليهم مَن أعلمهم بالحال وأمرهم بالابعاد فى الارتحال ، ولما اطلع السلطان على خبيئة شقيرن أمر بنهب حللهم وأسر مَن ظفر به منهم وقتله ، فأوقع بهم جيش السلطان وقعة شنعاء ، فأسروا منهم عدداً وافراً وضربوا أعناق نحو الثلاثين منهم وانتهبوا حللهم ومداشرهم حتى كأنْ لَم تغن بالأمس ، ومن الغد جاءت نساؤهم وأطفالُهم فاستجاروا بالمدافع واستغاثوا بالسلطان فرقَّ لهم وسرح مساجينهم وكساهم وعفا عنهم ، وكان هذا كله في أواخر ذى القعدة من السنة المذكورة ، أعني سنة خمس وثلاثمئة وألف ، ثم فقل السلطان راجعاً فدخل مكناسة الزيتون أواخر ذى الحجة خاتمة السنة المذكورة .

---

1) مدية فى العامية المغربية .

ثم دخلت سنة ست وثلاثمئة وألف فيها غز السلطان جبال غمارة ، فخرج من حضرة فاس عاشر شوال من السنة المذكورة ، فسلك تلك الجبال ودوخها وزار تربة الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر عبد السلام ابن مشيش رضي الله عنه ، ثم تقدم إلى مدينة تطاوين فدخلها يوم الأربعاء ثامن الحرم من السنة المذكورة التى تليها أعني سنة سبع وثلاثمئة وألف ، فأقام بها نحو الخمسة عشر يوماً وزار صلحاءها وتطوف فى معالمها وتبارى وجوه أهل تطاوين وكبراؤهم فى الاهداء إليه وبذل المجهود فى الاعتناء بحاشيته هو وجيشه ، وأعجب ذالك السلطان وحاشيته ورأوا منهم ما تقرُّ به أعينهم وأنعم عليهم السلطان بعشرة ءالاف ريال لبناء قنطرة يرتفقون بها فى واديهم المحيط بمدينتهم ، لكن لم يحصل مقصود بذالك لعدم إتقان بنائها فتهدمت فى الحال وضاع ذالك المال ، ثم سار السلطان من تطاوين إلى طنجة ثم منها إلى العرائش ثم عاد إلى فاس فأقام بها إلى أواسط شوال من السنة المذكورة ، ثم غـزا آيت سخمان الذين قتلوا ابن عمه مولاي سرور ، فأوقع بهم وقبض على نفر منهم ، ولم يتمكن منهم على ما ينبغي ، ثم سار إلى مراكش فأعرس لجماعة من بنيه وبناته ، ووفدت عليه الوفود من أقطار المغرب بالتهنئة وتباروا فى الهدايا والتحف على ما ينبغي ، وبالغ السلطان فى إكرامهم وإفاضة الانعام عليهم ، واستمرَّ أيده الله على كرسي ملكه وأريكة عزه وسلطانه ، والأيام سلم له والدنيا مهنأه بعزه ونصره ، والرعية طوع نهيه وأمره ، إلا ما كان من نواب أجناس الدول فانهم أكثروا التردد إليه والاقتراحات عليه ، والتلونات لديه ، فمرة بالنصائح الفارغة ، ومرة بالتظلمات الباطلة والحجج الواهية ، وأخرى بطلب التخفيف من الأعشار والتنقيص من الصاكات إلى غير ذلك مما لا تكاد تقوم له الجبال الراسية وهو يدافعهم ويراوغهم وحيداً فريداً لا ناصر له ولا معين إلا الله الذى أيـّد به الدين وعصم به الاسلام والمسلمين .

ولما كانت سنة عشر وثلاثمئة وألف خرج السلطان مولاي الحسن أيده الله غازياً صحراء فيلالة وقبائلها ، فخرج إليها من فاس عقب عيد الأضحى من السنة المذكورة ، فقضى الأرطار من تمهيد تلك الأقطار على ما ينبغي ، وكان رجوعه إلى مراكش على طريق الفائجة ، ولما انتهى إلى ثنية الكلاوي أصاب

الناس ثلج كثير وبرد شديد تألموا منه حتى السلطان ، ثم خلصوا منه بعد غص الريق ، وفى مدة غيبة السلطان هذه حدثت حرب شديدة بين زناته عصب الريق .

وفي مدة غيبة السلطان هـذه حدثت حـرب شديدة بين زِنـاتة الريف وبين نصارى الاصبنيول من أهل مليلية وما والاها فمحقتهم زناتة محقاً وشردوا دوابهم من خلفهم استئصالا وقتلا ، وكان السبب فى ذلك أنهم اقترحوا على السلطان أن يزيدهم فى مساحة أرض مليلية على عادتهم فى كثرة الاقتراحات والتلونات ، فأسعفهم وزادهم من أرض زناتة نحو الغلوة ، وصار الحد المشترك بين الفريقين قريباً من تربة ولي الله سيدى وارياش ، وهو عند أهل تلك البلاد عظيم القدر شهير الذكر ينتابونه للزيارة ويتبركون به ويدفنون عنده موتاهم ، فلم يحلُ لنصارى مليلية بناء العسات وغيرها إلا بمحل يشرف على تربة السيد المذكور ويكشف عنها ، فراودهم أهل الريف عن التخلى عن ذلك الموضع والبناء بغيره فأبوا وأصروا على الامتناع ، وربما لسعوهم بما أحفظهم من الكلام المؤلم على عادتهم فى ذلك ، فان هذا الاصبنيول منذ كانت له الغلبة فى حرب تطاوين وأهل المغرب معه فى عناء شديد من كثرة ما يتعنت ويتجنى عليهم ويسمعهم من محفظات الكلام وصريح الملام ، لاسيما أوباشهم ورعاعهم ، وتالله لقد سمعت أذناي من ذلك ما يضيق له الصدر ولا ينطلق به اللسان ، وإذا رفعت الشكاية بهم إلى أكابرهم غمصوا الحق وجادلوا بالباطل ، هذا دأبهم وديدنُهم وإلى الله وحده المشتكي وله سبحانه العتبى حتى يرضى ولا حول ولا قوة إلا بالله ! فلما سلكوا هذا المسلك ونحوه مع أهل الريف أذاقوهم من بأسهم شديد العقاب وأليم العذاب كما هو معلوم ، فلما احتلَّ السلطان أيده الله بحضرة مراكش من هاذه السفرة قدم عليه وفدُ الاصپنيول يطلبون الانصاف من أهل الريف فى هذه النازلة واستصحبوا معهم سرباً من الحمام الطيار بالمكاتيب والأخبار ، ودار الكلام بينهم وبين السلطان فى النازلة وحكم فيها مَن لم يكن ذا بصيرة بمعضلات النوازل من غافل أو متغافل ، فوقع الفصل على أن يدفع السلطان عن دماء قتلاهم أربعة ملايين من الريال ، وتم الصلحُ على ذلك ، وكانوا فى تلك المدة كلما دار بينهم وبين السلطان كلام فى القضية أطاروا به الحمام إلى أرباب دولتهم فى مدريد ، والله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد .

وفى ءاخر هذه السنة كانت وفاة السلطان مولاي الحسن بن محمد رحمة الله تعالى عليه ورضوانه ، فانه خرج من مراكش فاتح ذى القعدة من السنة المذكورة غازياً قبائل البربر الذين بجبال فازاز لاسيما آيت سخمان الذين غدروا بأصحابه وابن عمه حسبما تقدم قريباً ، وكان رحمه الله قدَ قدم من حركة فيلالة وهو مريض مرضاً خفيفا فى الظاهر ، ولكنه مزمن فى الباطن ، فكان يتكلف معه الخروج للناس وينفذ القضايا ويجلس للوفود ويخبرهم ويفعل جميع الأمور المخزنية ، ثم خرج من مراكش فى التاريخ المذكور على ما به من الألم والمرض وتحامل حتى انتهى الى وادى العبيد من أرض تادلة فأدركه أجله هنالك في الساعة الحادية عشرة من ليلة الخميس ثالث ذى الحجة الحرام متم عام أحد عشر وثلاثمئة وألف (7 يونيو ، سنة 1894 م) وحمل في تابوت إلى رباط الفتح ، ودفن بازاء جده الأعلا سيدى محمد بن عبد الله رحمة الله على جميعهم ءامين .

وكانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ، وكان رحمه الله من خيار الملوك العلوية وأفاضلهم بما نشر من العدل وأصلح من الرعايا وأبقى من الآثار بالمغرب وثغوره ، فالله تعالى يجبر كسر المسلمين فيه ، ويعوضهم أجراً على مصابه ءامين .

انتهى ملخصاً من (الاستقصا) ومن المؤلفات التى ألفت باسمه نزهة الزمن وتهنية لمولانا الحسن ؟ لمؤلفه السيد عبد السلام بن ادريس بن أحمد بن علي الأودر السبيطي البهالي في ربيع الأول عام 1288 ثمانين وثمانية ومئتين وألف ، والمراحل السنية للأصقاع السوسية للفقيه السيد أحمد ابن المواز ، والدرة السنية فى ذكر الدولة الحسنية تأليف ابن داني العدل بمراكش ، والدر الحسن فى مناقب أمير المومنين مولانا الحسن ، وتحفة الأمن والأمان فى الادعية لمولانا الحسن للسيد محمد بن الحسن الدمناتي ، والفتوحات الوهبية السنية فى سيرة مولانا الحسن للعلامة الحسن بن عبد الرحمان السملالي ، ومن جملة مـآثره أنه قيل في ختمه البخاري سنة 1290 نيف وخمسون قصيدة ، أجاز الكلَّ عنها على قدر مراتبهم (1) .

---

1) انظر عن السلطان مولاى الحسن الأول **اتحاف اعلام الناس** 2 : 115 **والدرر الفاخرة** ص 97 .

420) **الحسن بن أحمد بن عبد الرحمان المزميزي** المراكشي الفقيه العلامة ، كان رحمه الله فقيهاً مشاركاً مفتياً متقنا حيسوبيا معدلا ، أخذ عن الفقيه أحمد كلا (بناني) ، وابن عبد الرحمان الحجرتي، وسيدى أحمد بن الطاهر المراكشي وغيرهم ، واستقضى عام ثلاث وثمانين ومئتين وألف بالصويرة ، ثم أعفي ورجع لمراكش ، ووقفت على ظهير شريف محمدي مؤرخ في 23 جمادى الأولى عام 1283 يخاطب ولده مولانا الحسن جواباً عن كتابه عما طلبه السيد ابن عبد الرحمان المزميزي الموجه قاضياً لثغر الصويرة في إبقاء المرتب المنفذ له على التدريس اعانة لأولاده فى غيبته حسبما فى نفولتهم التى وجهت فلا بأس بابقائه لهم والسلام . انتهى .

ودرس الفقه والعربية وعلم الفرائض والتوقيت وغيرهما ، وأخذ عنه جماعة من طلبة مراكش كالفقيه السيد الهاشمي بوعبولة والفقيه السيد علال امرايت وغيرهما ، وله حاشية على تأليف عبد الرحمان العلج فى علم أغريتم وتأليف فى علم تسطير الرخامات ، وكان يقرأ الكرة في الهيأة والجغرافية ممن حضره فيها السيد المحجوب وغيره ، والكرة هي التى يعبر عنها محمد بن جابر بن سنان المعروف بالبتاني المتوفى سنة 317 هـ ، الصابي لأنه صابي المذهب بالبيضة فى زيجه المعروف باسم الزيج الصابي ، وكانت للمترجم خزانة كبيرة فى فنون التعاليم صار بعضها الى صاحبنا السيد الطاهر الجراري . وعميَ المترجَم فى ءاخر عمره ، وتوفي رحمه الله أواخر العشرة الثانية من القرن الرابع عشر ، ودفن بصحن ضريح سيدي مَحمد بن صالح .

421) **حسن البغدادي** ، من بلاد الموصل ، نزيل مراكش ، كان فقيهاً حنفياً عارفاً بأصول الدين محققا للمعقول زاهداً ، أقام بمراكش نحو ثمانية عشر عاما من تاريخ 1299 الى عام 1317 ، كان يتعاطى العلوم العقلية ويقرىء جمع الجوامع بالمدرسة اليوسفية ، حضر عليه السيد الطاهر الهشتوكي وغيره ، وأقرأ الاستعارات والمنطق ، وكانت عبارته مغلقة ، وكان يكتب فى امضائه حسن القادرى ، كان شيخنا الحاج مَحمد ازنيط يقول : لو

لم تكن عندي.حاشية اليوسي ماذاكرته في التوحيد ولا قدرت على الأجابة عن المسائل التي يستشكلها ويذاكرها ، وكان قليل الأكل ياكل كأكل الطير، لا يملك شيئاً من الدنيا ، وعنده كتبه ومحفظته ، ولما سمع به مولاي الطاهر البلغيثي ألزمه باقراء أخيه وولده ، فكان يقرئهما علم الأدب وعمل له راتباً لذلك ، وكان حاله حال الصوفية ، لازم صديقنا الفقيه السيد الحاج عبد السلام اليعيشي وكان عنده يأكل مدةَ إقامته بمراكش ، ثم سافر للصويرة وصاهر أصهار أولاد ابن عبد السميح وهم أولاد الحاج حمو مثقال ، وولد له هناك ولد ونفّذ له بها راتب من الأحباس ، وأقرأ أولاد العامل السيد السعيد الشيظمي وجال بسوس أيضا ، ثم توفي بعد ذلك رحمه الله .

422) الحسن بن عمر الكتاني الادريسي

الحسن بن عمر بن الطايع بن ادريس بن محمد الزمزمي بن العربي بن أحمد بن علي بن القاسم بن عبد العزيز بن القادم على فاس محمد الادريسي الكتاني ، قال في (الدرر البهية) ما نصه : وأما الفقيه الأجل السيد الحسن فمن الشرفاء الأخيار ، وأهل الوفاء الأبرار ، ملازم للسنة مخالف سبيل البدعة، سالك سبيل المهتدين ، عامل بعمل أهل الدين ، وهو أحد عدول هذه الحضرة المبرزين ، وأفرادها المشهورين ، كان لأهل فاس عليه اقبال واذا رأى فجوراً غلب عليه الحال وخرج عن احساسه ، حدث عنه السيد العربي بن عبد الوهاب أنه كان مدة معه في جامع القرويين وأراد المولى عبد العزيز صلاة الجمعة فيه فأخرج وزعته جميع مَن في البلاط الأول منه حتى وصلوا المترجم فطلبوه بالنهوض ، فقال لهم ان المساجد لله وليست للسلطان ، ولم يحد عن محله ، ووقعت له نادرة مع قاضي فاس سيدي الهادي الصقلي حيث حكم على خصم وامتنع من تنفيذ حكمه ووجهه للمترجم مع الفقيه العدل السيد عبد الكبير ابن الحاج دفين مراكش يشهدان عليه بالامتناع ، فلما وصلهما قال لهما إنما يمتنع من الحكم عليه بدون مقال ولا جواب ولا يمتنع من الشرع ، فرجعه العون الى القاضي فرده لهما وأمرهما بالشهادة عليه بذلك ، فامتنعا منها فطبع حانوتهما ، ثم ورد الأمر بفتحها على يد وزير الشكايات علي المسفيوي،

قال السيد عبد الحي الكتاني : كان للمترجم طرف من الفقه وملازمة لدروس ابن عمه سيدي جعفر وغيره ، وصحب الشيخ سيدي محمد بوطربوش الدباغ وصافحه بالسبابة كما صافح بذلك شيخه المذكـور القاضي شمهروش ! وصحب أيضاً زوج والدته العارف بالله سيدي محمد بن عبد الواحد الكتاني وشاهد كثيراً من كراماته ، وأدرك جده الولي الكبير مولاي الطائع المعروف بالمسلطن وشاهد كثيراً من أسراره ، وكان له ورد من القرءان وصدقات سرية، وكان له اهتمام بأمر المسلمين عظيم ، دخل مراكش فيما سمعته منه ، ثم توفي رحمه الله عام واحد وعشرين وثلاثمئة وألف ، وحضر جنازته جل أهل فاس هـ.

وراجع (الأنجم السوابق الأهلة) و (مواهب الرحمان) .

تنبيـه :

أما الشريف سيدي الحسن بن عمر بن هاشم بن الطائع بن هاشم بن ادريس بن عبد الرحمان بن عبد العزيز بن أحمد بن علي بن القاسم فهـو غير المترجم يلتقي معه فى أحمد بن علي .

423) **الحسن بن العربي الرحماني المراكشي** ، الفقيه المشارك الخير الناسك ، كان رحمه الله قرأ العلم بمراكش على شيخنا الحاج محمد أزنيط وطبقته ، وحفظ المختصر الخليلي وغيره ، ودرس بجامع سيدي أبي العباس السبتي مدة ، وكان هيناً ليناً فاضلا متواضعاً ، وممن كان يحضر مجالســه صاحبنا الفقيه السيد حمّو بن محمد الضرير الفطواكى وغيره توفي رحمه الله .

424) **حسون بن عبد النور** الوزير الخير الثقة الأدين ، وهو مـن الحشم الذين لهم أصالة فى الوزارة وسابقة فى الدولة المرينية فى الرياسة ، كان هذا الرجل أشد الناس حياء وأحسنهم هدياً وألينهم جانباً وأجملهم اعتقاداً فى أهل الخير وأقلهم كلاماً ، يديم السكوت ولا تعتريه غفلة من ملاحظة أبى الحسن المرينى له فى الغالب ، وما أظنه كان يبتدىء كلاماً ولا ينشىء خطاباً ، وكان مشهوراً بالدين والعفاف والصدق وقبض اليد .

توفي رحمه الله فيما يغلـب على ظنى فى حركة الجزائر والله أعلم .

ذكره ابن مرزوق فى (المسند الصحيح الحسن) .

425) الحسين بن عبد الله ابن المالقي الأنصاري

الحسين بن عبد الله بن محمد بن عيسى الأنصاري يعرف بابن المالقي ، ولد باشبيلية ، ودار سلفه مالقة ، سمع أبا محمد بن عبيد الله ، وأبا عبد الله ابن الفخار ، وأبا عبد الله العزفي ، وأخذ العربية والأدب عن الأستاذ أبي عبد الله ابن الدراج ، وأجاز له أبو بكر بن محمد المتشانجي وأبو محمد التادلي ، وأبو بكر ابن الجد وعبد الحق الاشبيلي ، وولي قضاء قرطبة ، وكان بمراكش رئيس الطلبة وهي خطة لسلفه ، خطيباً مفوهاً ، له حظ من النظم ، حدث عنه ابن الطيلسان ، وقال توفي في آخر سنة سبع عشرة وستمئة، ومولده باشبيلية سنة سبع وستين وخمسمئة .

ذكره في التكملة .

426) الحسين بن محمد ابن ناصر الأغلاني الدرعي

الحسين بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن ناصر بن عمر بن عثمان الدرعي الأغلاني ، الفقيه العالم الصوفي الزاهد الولي شقيق الشيخ العارف بالله سيدى مَحمد ابن ناصر ، كان رحمه الله عالماً مشاركاً محصلا زاهداً وسيداً فاضلا عارفاً ، حصل علوماً على شيوخ ذكرهم في فهرسته التي ذكر فيها مقروءاته وبعض أحواله في نحو خمس أوراق ، منهم أخوه الشيخ العلامة الولي الصالح مَحمد ختم عليه مختصر خليل ست مرات ، وتسهيل ابن مالك نحو خمس مرات ، وغير ذلك ، ومنهم الشيخ أبو الحسن ابن جبور الفركلي قرأ عليه كتاباً في علم الكلام والنحو والحديث ، ومنهم الشيخ محمد بن سعيد السوسي المرغتي ناظم المقنع قرأ عليه الروضة في التوقيت ومختصر خليل وصحيح البخاري والموطأ وعلم الحساب بالمنية وغيرها وغير ذلك ، ومنهم الشيخ سلطان المصري والشيخ الزعتري كلاهما بالأزهر من مصر ، وأخذ التصوف والطريقة على مشايخ ، منهم أخوه أيضاً ومنهم شيخاهما عبد الله ابن حسين ، والشيخ سيدى أحمد بن إبراهيم وغيرهم كالبابلي وعبد المعطي المالكي المصري ، ولما قرب استقراره بأغلان سلم على سيدى أحمد ابن

ابراهيم يوماً ضحى ، قال صاحب الترجمة فى فهرسته فرفع بصره إليَّ وتبسم، وقال لي إذا أردت سكنى أغلان عند قضاء حاجتك من طلب العلم أذِنَّا لك ، فوقع فى قلبى ما الله أعلم به من مفارقة الأشياخ إذ عزت على مجاورتهم ومجاورة أوطانهم ، واستشعرت من كلامه وقوع السكنى ، قال وسيدى مَحمد أخوك ليس له مندوحة عن هذا الموضع واستيطانه ، وتواطأت أنا وصاحب لي على الدخول على القطب سيدى عبد الله فى روضته عام وفاته والاستشفاع به فى رؤية المصطفى صلى الله عليه، فلما كان بعد ثلاث دخلت عليه فرأى صاحبي النبي صلى الله عليه وسلم وبقيت أنا ودخلت على سيدي أحمد رضي الله عنه وأخبرته بما وقع لصاحبي ، وقلت ولعلني لست مسلماً ، فقال لا تقل ذلك ، ولاكن ادخل على الشيخ واطلب حاجتك منه ففعلت ، فرأيته صلى الله عليه وسلم بكراع بلاد المغاربة بتمجروت وماشيته إلى أغلان قرب مسجد ءأيت سيدى علي ، فدخل موضعاً وقال انتظرني حتى أرجع ، فانتبهت وتيقنتُ سكنى أغلان ومفارقة شقيقي وشيخي باشارة الشيخ سيدى أحمد ابن ابراهيم رضي الله عنه ومماشاة المصطفى صلى الله عليه وسلم من تمجروت إلى أغلان ، ثم قال بعثني الشيخ الشقيق رضي الله عنه عام ثلاثة وخمسين لزيارة رجال مراكش ورجال أغمات وعام أربعة وخمسين لزيارة ولي الله السيد أبى يعزى ، ثم عام ثلاثة وستين لحجٍّ بيت الله الحرام وزيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم قال فحججنا وزرنا المصطفى صلى الله عليه وسلم وما جعنا وما عطشنا قط ، وكان أهل الركب وأميره يعجبون من سهولة سفرنا ، ثم لما شيعنا أحبتنا إلى المداكك وأخذوا فى وداعنا طرقني من وحش الشقيق ما لا أطيق ، فقلت :

حللنا بـواد للمداكك ينسـب	فهيَّج لوعـاتٌ تـذيب وتشحب
فقلت ونـار البين توقـد حرهـا	حبيبي رسول الله أحـلا وأعـذب
هنيئاً لنا إذ صرنا أهـلا لوفـده	تزاح به عنا الكـروب وتذهـب
هنيئاً لنا إن السعـادة والمنـى	بوفـد على هـذا النبي المقـرب

قال وما دخلنا لبلد قط إلا أحبنا صلحاؤها وأهلها وأكرمونا وأطعمونا وسقونا ، وما نزلنا بيراً ومعطشة إلا وجدنا فيها غديراً بفضل الله وبركة

الأشياخ ، وأراد بعض أصحاب الأخ الشقيق ممن كان معنا زيارة رجل صالح يقال له سيدى محمد بن أبى علي فى بسكرة واسترفقنى فكرهت مخالفته فزرناه ، وطلب منه الصاحب الضمان فى الطريق ، فرأيت فى النوم الأستاذ سيدى أحمد بن إبراهيم فقال لي زلقت وزللت ياصبي ، إن البركة التى يشرب فيها الانسان يواظبها ويقيم عليها ولا يكدرها فكيف يطلب غيرها ؟ أتحسب وتظن أنك لم تبلغ فى تعب ومشقة ، والله لَقد كنت تنام معوجاً فئاتيك حتى أقومك ، أتريد ملاقاة سيدى عبد الله ؟ فقلت نعم ، فذهب بي حتى لقيته فسلمت عليه ، وقال لي سيدي أحمد إن حانت وفاةُ أحدكم يعني في الطريق فان لم أحضره أنا فسيدى عبد الله ابن حسين يحضره لا محالة ، ثم مات جماعة من الفقراء رحمهم الله فى الطريق ، وهاج عليَّ شوقُ الأخ الشقيق أيضاً يوماً فقلت :

فياراكباً اما عرضت فبلغـن	شقيقيَّ مَن حاز البهاء محمـدا
وقولا له ياثمـرة القلب إننـي	أسير ذنوب أورثتني تمـردا
فمنَّ بدعـوات بنيـل سعـادة	وإلا أرانى صرت فحمـاً مخلـدا

ورأيت الشيـخ أحمـد يومـاً في عالـم النـور يبكي ، فقلت لـه ياسيدى ما يبكيك ؟ قال أبكانى الفقراء لم يقوموا لنا حتى بالصلوات الخمس ، وقمت ليلة لوردي فوجدت قيامي لم يات فرجعت فنمت ، فرأيت الشيخ سيدى عبد الله بن حسين معرضاً عني إعراضاً شديداً ، فقلت له ياسيدى أستغفر الله وأتوب اليه ، ماذا أذنبت ؟ فقال لي لمَ قمت ورجعتَ إلى النوم ؟ وكان سيدى أحمد بن إبراهيم رضي الله عنه يقول قال سيدى أحمد بن علي بن داوود شيخ الشيخ سيدى عبد الله بن حسين رضي الله عنه : نوم السنة قيمته ربع مركالة . انتهى كلام صاحب الترجمة في فهرسته .

قال فى (النشر) بعد نقله وتركت منه كثيراً وبعضه نقلته بالمعنى وهو فى غاية اللطافة وعليه طلاوة بديعة الفطرة وأخذه بمجامع القلب وذلك من أنوارهم المشرقة وغيوث معارفهم المغدقة ، وفى كلام صاحب الترجمة هذا فوائد ، منها أنهم لا يريدون مريدهم يتشوق لغيرهم ، ومنها شدة اعتنائهم

بأصحابهم ، ومنها الاعتناء بهم من قبل الحق تعالى حتى قيض لهم من ينفعهم غيباً ويحرسهم في حالة أسفارهم البعيدة ، فهذا غاية العناية وأكبر الولاية ، رزقنا الله محبتهم ، وأنالنا بركتهم ، ونفعنا بهم ءامين . انتهى .

توفي المترجم عام واحد وتسعين وألف (1) .

وممن أجاز المترجم سيدى الحسين المذكور الامام ابن سعيد المرغتي المراكشي شيخه مع أخيه العارف بالله سيدى مَحمد باجازة عامة طويلة الذيل في نحو نصف كراس أوردها في (فتح الملك الناصر) قال فيه نقلت من خط الامام السيد محمد بن سعيد المرغيتي المراكشي المتوفى سنة 1089 رحمه الله ورضي عنه ما نصه :

بسم الله الرحمان الرحيم ، الحمد لله الذي اصطفى على كل مصطفى من أصفيائه محمده ، ومنحه إذ سماه أحمد من كل خلق سني أسناه وأحمدَه ، ونصر له الدين ، بالأملاك المجندين ، رفع مناره المنير وشيده ، وأبلج حجته الساطعة وأبهج حجته الواسعة وآزره وأيده ، وأمده بجيوش الخوارق لأطناب الارتياب الممتدة ، فنادى ناديه قد تبين الرشد من الغي ثم وفقه الموفق الحكيم وسدده ، وجعل سبيل المنجاة للبرية في سنن سنته السنية المرشدة ،فاهتدى بها من طلعت طوالع سعده في أفق رشده مقبلة ومسعدة ، وصدحت ورق الرواية في أدواح الدراية ساجعة ومغردة ، فاجتنيت أزهار السلسلة المسندة ، ورنت أنوار العنعنة المطلقة والمقيدة ، فتبخترت [illegible] المعاني المباني في مسارح [illegible] أبصارا وأفئدة ، واستفيدت لمغابر الأثر الآثار عن عيون الأخبار المتهمة والمنجدة ، صلى الله عليه وسلم ، وشرف وكرم ما لهج اللسان باسمه الكريم ووعده ، وآله الطيبين المنتخبين القامعين لعداته المردة .

---

1) زاد المؤلف أو من ينقل عنه بعد كلمة ألف هذه العبارة : وهى السنة التى توفى فيها القطب سيدى عبد القادر بن على بن يوسف الفاسى ظهر يوم الأربعاء التاسع من رمضان ؛ ودفن من الغد يوم الخميس فى زاويته بمحل تدريسه بوصية منه ؛ وذلك بالقلقليين من فاس القرويين رضى الله عنه وأرضاه ونفعنا به آمين .

وقد آثرنا أن ننقل هذه العبارة المقحمة الى الهامش دفعاً لكل التباس .

وبعد فلما كان عام أحدى وخمسين وألف نبا بي الأوطان ، وخلفت الأهل والأخوان من خلف ، واستبدلت منهم كل صاحب وإلف ، وألقتني أيدي النوى المفزعة المفجعة فى البلاد المحروسة ، ومن موائد إكرامه وسلسبيل انعامه شبعت ورويت ، علامة زمانه وفهامة أوانه ، الجهبد النحرير ، الناقد البصير ، الأديب الأريب ، اللبيب النجيب ، الخير البارع ، الذيّن الطائع ، الفقيه الأجل النحوي ، التصريفي اللغوي، اللوذعي الظريف، ذو الحسب المنيف، مَحمد وأخوه الأبر الزكي الأمجد الحافظ الفاهم ، القوام الصواب ، اللبيب الزكي ، النجيب التقي ، الفقيه النزيه مقر العين الأنجب ، السيد الحسين ابني محمد بن أحمد بن ناصر بن عمرو الدرعي جعل الله مجدهما المحضى المرعى فوجدتهما والله خيرين كريمين وأفضل قرينين فى كل خلق سني ظاهرين ، ومن كل فعل دنيء طاهرين ، وفى العلوم بحرين زاخرين ، وفى الفهوم حبرين باهرين ، وقد طرق سمعي قبل لقياهما ما شيد علياهما ، فلما كان اللقاء رأيت منهما أجل مما يؤثر عنهما ، كما قيل :

كانت مسايرة الركبان تخبرنـــي — فيما تحدث عنكم أطيب الخبر (1)
حتى التقينا فلا والله ما سمعـــت — أذناي أحسن مما قد رأى بصـــري

فطفقت معهما أغتنم مجتمعهما فى رياض العلوم نقطف أزهارها ، ونجتني بأيدي الفهوم ثمارها ، حتى استفدت منهما فى ظني أكثر مما استفادا علي ، مع ما ألقاه من احسانهما الي ، غير أن الزمان العسير ، لم يسمح لهما الا بقراءة شيء يسير ، كمثل مواضع من صحيح محمد بن اسماعيل البخارى ومواضع من كتاب الموطأ لامام دار الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام مالك بن أنس الأصبحي وجميع الأنوار السنية ، في ألفاظ السنية ، للامام المفسر محمد بن محمد بن أحمد ابن جزى الكلبي ، وجميع روضـة الأزهار ، في علم وقت الليل والنهار ، لعبد الرحمان بن غالب القادري الفاسي ،

---

1) أصل البيتين :

كانت محادثة الركبان تخبرنـــــي — عن جعفر بن فلاح اطيب الخبـــــر
حتى التقينا فلا والله ما سمعـــت — اذني باحسن مما قد راى بصـــرى

وجميع منية الحساب نظم وتلخيص الامام أحمد ابن البنا لشيخ الجماعة الامام محمد بن أحمد ابن غازي العثماني المكناسي ، وتجاذبنا أطراف الحديث في في سائر العلوم الشرعية حسبما يجرى فى مذاكرتها السنية مع تشويش البال بأمراض هائلة ، وأهوال نازلة ، أوجبت الفراق قبل الاتفاق فلما حان البين وعظم الخطب وجل ، وسحّ دمع العين وانهل ، طلبا عند ذلك مني اجازة تبيح لهما الرواية عني وتصل حبلهما بالسلف الصالح ، كما اقتضاه الدين الكريم من النصائح ، ولم يكن بدّ من المساعدة ، كما اقتضتها المودة والمعاهدة ، مع أنى في ذلك ممن قيل فيه :

إذا غاب ملاح السفينة وارتمـــت　　　بها الريح يوماً دبرتها الضفــادع

قصير الباع ، بليد الطباع ، لست من رجال ذلك ولا من فرسانه ، بل ولا من غلمانه وصبيانه :

ولاكنّ البلاد اذا اقشعـــــــرت　　　وصوح نبتها رعي الهشيـــــــم

ولاكن ودهما الذى سكن الجنان ، حملني على مساعدتها بما كان ، فقلت وعلى الله المتكل ، فى كل قول وعمل ، أجزت السيدين المذكورين : محمد وأخاه الحسين ابني محمد بن أحمد بن ناصر بن عمرو الدرعي ، كان الله لهما خير ولي وأعز ناصر ، جميع ما فى فهرسة شيخ الجماعة ابن غازى وما فى فهرسة الشيخ شيخنا أحمد المنجور من العلوم الشرعية التى أنشد فيها شيخنا المحقق أبو بكر بن يوسف السكتاني فقال :

تفقه بتعبير الحديث مؤرخــــا　　　بوقت بيان الارث أصل المحجـــة
ولا تغفلن نحواً بضمن لقائـــــه　　　تصوف بسر من علوم الشريعـــة
تنل به مرقى من مراقى أفاضــل　　　وتحظ بنيل المجد أبلغ منيـــــة

وأخبرني أن قوله أصل المحجة يتناول أصول الدين وأصول الفقه ، وقوله بسر يشير بــه إلى علم التصوف .... وأسبابها ، وعنوان السعــادة المطلوبة وبابها ، كما أجازني جازاه الله خيراً بقراءتي عليه وسماعي بعضه ،

ولكن من غير طريق الفهرستين المذكورتين ، فان الذى أجازني ما فيها وما فى فهرسة الامام العلقمي وما فى فهرسة الامام ابن مرزوق وما فى فهرسة ابن حجر وما فى فهرسة الامام المنثور بسماع بعض ذلك عليه بقراءة غيرى ، هـو مولاي وسيدي ومحطِ رجائي ومعتمدي ، خاتمة الحفاظ فـى المغرب الأقصى ، وراوية الرواة الذي جمع وأحصى ، المحدث الفقيه ، الأستاذ النبيه ، المفسر المحقق ، المؤرخ المدقق ، النحوي اللغوي الأصولي آلبياني العالم العلامة البارع ، الفهامة الزاهد الورع السني المتبع الناصح ، الولي الصالح ، التقي النجيب اللبيب ذو النسب الشريف ، والحسب المنيف ، الحبر الباهر ، البحر الزاخر ، ذو العلم الراسخ ، والفضل الباذخ ، والقدر الشامخ ، سيدى ومولايعبد ألله بن مولايعلي بن سيديومولايطاهر بن سيديومولاى عبد الله بن سيدي ومولاي الحسن الحسني السجلماسي ، قرأت عليه قدس الله روحه وأناله أعلا الفردوس وبحبوحه ، ختمة من القرءان برواية نافع وابن كثيـر بطريقتي قالون وورش فى الأولى والبرى قبل فى الثانية ، وأجازني رحمه الله فى ذلك ، وسمعت عليه ربع صحيح البخاري بقراءة الحجة المحقق سند عبد الهادي ، وسمعت منه كثيراً من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثيراً من التاريخ والفقه وعلوم الحديث وعلوم القراءة والرسم وغير ذلك من النحو والبيان والفقه وتفسير القرءان والناسخ والمنسوخ والغريب والتأويل وسبب النزول والاعراب والتصريف والتصوف والارشادات وغير ذلك مما يطول ذكره ، وحدثني رحمه الله بذلك كله وأباح روايته عنه ، ورواية ما رواه عن شيوخه وما وضعه من التآليف والفوائد فى كل علم نظماً ونثراً ، وكان ذلك عام سبعة وثلاثين وألف ببلاد الغيام جبل مدغرة أيام محنة شرفاء سجلماسة ، وكتب لي بخطه رحمه الله ، وأما شيوخه فكثيرة ، وكان يحدث عن أبيه ولي الله تعالى سيدى علي بن طاهر وعليه أخذ القرءان وجمع التفسير على غيره أيضاً ويحدثني عن الشيخ الناصح ، والولي الصالح ، السيد رضوان بن عبد الله وكان قارئه فيه خمس سنين ، وأخبرني بذلك رحمه الله ، يحدث عن الشيخ الأجل أحمد بن علي المنجور الفاسي ، وقرأ عليه البخاري ومسلم وغير ذلك ، ويحدث عن الشيخ القصار وهو محمد بن قاسم القصار وهما عن محمد بن

ابراهيم الشهير بخروف التونسي ، ويحدث أيضاً عن أبي القاسم بن عبد الجبار الفكيكي عن عمه ، وخروف المذكور والفكيكي عن كمال الدين الطويل القادري عن شهاب الدين عن أبى المجد عن الحجّار عن الزبيدي عن أبى الوقت عن الداودي عن ابن حموية السرخسى ، عن ابن مطر ، عن محمد بن إسماعيل البخاري ، هذا السند أعلا أسانيده فى البخاري من طريق كمال الدين القادري، وأما من طريق ابن غازي ومن طريق ابن حجر وغيرهما ولنذكر واحدا منهما فنقول : يروى الحديث كله عن أحمد المنجور عن الشيخ عبد الرحمن السفياني العاصمي الشهير بسقين عن شيخ الجماعة ابن غازي ، وأسانيد ابن غازي فى جميع العلوم كثيرة جداً مَن أرادها فليطالع فهرسته المسماة بـ (التعلـّل) فلا نطيل بجلبها ، ومن طريق ابن حجر فنقول يروى عن الشيخ القصار عن خروف التونسي عن شقيق المذكور عن شيخ الاسلام القلقشندي عن شيخ الاسلام ابن حجر ، ولنقصر على هذين السندين لكثرة أسانيده رضي الله عنه فى الطرق الثلاثة وغيرها .

وكان رحمه الله تعالى من عباد الله الصالحين ما رأيت أسرع منه دفعة عند سماع القرآن ، فلا يكاد يجدد الطالب لوحاً إلا ويكبر الله مرات أو أكثر ، وكذلك عند ذكر الله وذكر النبي صلى الله عليه وسلم وذكر المدينة المشرفة وعند ذكر الأولياء والصالحين ، ويعظم حرمات الله وحرمة النبي صلى الله عليه وسلم وحرمة الأولياء ، وكان شديد الغيظ على المبتدعة التاركين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير التواضع لأهل العلم والطلبة والفقراء الصادقين يجود لهم بنفسه وماله ، ومناقبه وفضائله كثيرة ، ما رأيت معه فى مغربنا أتبع للسنة منه ، حركاته وسكناته كانت كلها علوماً وفوائد .

توفي رحمه الله عند طلوع الشمس من يوم السبت الثاني عشر من جمادى الثانية عام اثنين وأربعين وألف (1042) بمدغرة ، ودفن خارج قرية أولاد الحاج بها .

وأما شيخنا العلامة الفهامة الحجة المحقق المدقق الرحالة الراوية الفقيه الأديب ، النحرير اللبيب الكامل النجيب ، العالم العامل ، الحاج الفاضل،

المدرك الواصل ، الولي الصالح ، المجتهد الناصح ، سيدي أبو بكر بن يوسف السكتاني المغارتي فأجازني حفظه الله جميع العلوم التى أنشأ فيها ما تقدم مرتين بعد ما قرأت عليه ما شاء الله ، وذلك أني قرأت عليه البخاري كله ومسلما كله ، وسمعت عليه من لفظه جميع الجامع الصغير للامام السيوطي إلا درساً واحداً وبعضه ، وقرأت عليه مختصر خليل وجميع مناسكه وجميع مناسك الشيخ يحيى الحطاب وجميع كتاب الأنوار السنية ، في الألفاظ السنية للامام ابن جزي ، وسمعت عليه من لفظه جميع ألفية زين العابدين العراقي الحديثية ونخبة الامام ابن حجر ، وحضرت تدريسه في كثير من العلوم ، وسمعت منه مسائل كثيرة وفوائد جمة ، قيدت عنه في كثير من الفنون ، وكان أيده الله حجة في النقل وعزو المسائل ، وشيوخه كثيرون بالمغرب والمشرق ، حدثنا عن كثير من أهل المشرق في الحديث والعلوم ، وقرأت منه عليهم ، وأجازه منهم الشيخ حجة الاسلام ابراهيم اللقاني عن الشيخ سالم السنهوري والشيخ محمد البنوفري عن الشيخ محمد الرملي وعن نجم الدين الغيطي والشيخ محمد الرملي والشيخ محمد البنوفري كلاهما عن القسطلاني عن شيخ الاسلام أحمد بن علي ابن حجر والشيخ محمد الرملي أيضاً عن والده الشيخ أحمر الرملي ، وعن شيخ الاسلام الحجة الامام زكرياء ، وكلاهما عن حجة الاسلام ابن حجر ، وأيضاً حفظه الله عن الشيخ محمد مولانا الاسكندراني عن البنوفري المذكور ، ويروى أيضاً حفظه الله عن الشيخ عبد الرحمان الخياري عن الرملي عن والده كما تقدم ، كان الله له باللطف الجميل ، في المقـام والرحيل ، مولعاً ببلاد المشرق يفضلها في العلم على بلاد المغرب في زماننا هذا ، رحل إليها ثلاثة في عامنا هذا الذي هو واحد وخمسون وألف، وكان أيده الله آية في المسكنة وحب الخمول لا تغزه الحياة الدنيا وزينتها ولا يميل إليها ولا يعظم أهلها ولا يراهم شيئاً شديد الاحتراس منهم ، كثير التحفظ لدينه كثير العلم والفوائد ، محققاً في القراءة السبع والعشر ، يعرف من أحكامها ما لا يوجد عند أهل زمانه ، وقرأت عليه القرآن إلى قريب من النصف برواية نافع وابن كثير ، وسمعت عليه أحكاماً ، وكان كثير النوادر والحكايات ، مجلسه أحسن مجلس رأيته في مغربنا ، متواضعاً يسأله كل أحد ويجيبه على

قدر عقله ، صابراً حليماً ناصحاً محبوبا عند الخاصة والعامة لا يطوى بشر على أحد ، ويسعى فى قضاء حاجته لاسيما في الشفاعات ما لم تكن مخالفة للشرع ، وكنت قرأت عليه بمراكش في مسجد أم السلطان أحمد (المنصور السعدي) رحمه الله ، وبمسجد حومته قرب داره فى درب الحلفاويين ، وفيه كان يدرس غالباً ، نسأل الله تعالى أن يقرب اجتماعنا به على أحسن حال بمنه وكرمه . وتوفي سنة 1060 ، وقرأت على غير هذين الشيخين وأجازني فيما ذكر إلا قليلا منهم ، فمنهم أهل فاس المحروسة كالشيخ الامام العلامة التقي الصوفي السني ذى الحسب الشهير ، والنسب الأثير ، الحاج الرحالة الأستاذ الفقيه ، الطيب النبيه ، النحوي اللغوي ، السيد عبد الواحد ابن عاشر الأندلسي ، كان رحمه الله آية فى الفهم والتحقيق فى الفنون ، ومواظباً على العبادة والدين ، ومع ذلك لم تفته دنياه كما لم تفته آخراه ، سبحان من خصّه بذلك سبحانه ، وحضرت عليه من النكاحات فى المختصر إلى قريب من ختمه ، وسمعت عليه الفوائد الكثيرة وأبحاثاً دقيقة في العلوم ، وأجاز لي فى موضوعاته في الفقه وغيره نظماً ونثراً روايتها عنه يطول بنا ذكرها ، وقرأت عليه الفاتحة بمد ملك يوم الدين بسنده فيها إلى شمهروش الجني ! الذى سمعها من النبي صلى الله عليه وسلم وقرأها عليه فأجازني فيها خصوصاً ، وغيره من الأشياخ يطول بنا ذكر جميعهم ، وكبرزلي الزمان ، ومصباح الأوان القاضي الشهير ، والجهبذ النحرير ، إبراهيم المزياتي ، لقيته ببلاد غمارة واستفدت منه رحمه الله وغيره، وحاصل الأمر أنى أجرت السيدين المذكورين كل ما قرأته على أشياخى وأخذته وأجازوني فيه من العلوم الشرعية عقلية ونقلية وأصلية وفرعية ، ولولا الطول لذكرت أسانيدي في الفقه المالكي وغيره من العلوم ، وأذنت لهما أن يرويا عني كل ما رويته وأجزت فيه أو نسب إليّ من تقييد أو وضع نظماً ونثراً ، وأوصيتهما بتقوى الله وملازمة الرحمة للمومنين وتعليمهم وتعظيم العلم وأهله وتعظيم حرمة الله وحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم والأولياء والصالحين بشرطه المعتبر عند أهله ، فالله تعالى يعيننا واياهم على رعاية ودائعه وحفظ ما أودعنا من شرايعه .

وكتب بذلك وقاله الفقير الحقير أسير ذنبه عبد ربه فى مفتتح محرم عام اثنين وخمسين وألف محمد بن سعيد السوسي ، وصلى الله تعالى على سيدنا ومولانا محمد وءاله الطيبين وأصحابه المنتخبين والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين (1).

وقال فى (قرى العجلان) : الحسين (2) بن محمد بن أحمد بن الحسين بن عمرو بن ناصر ، الولي الصالح أخذ عن شقيقه القطب سيدي مَحمد بن ناصر ، وحج رحمه الله ثلاث حجات ، واحدة فى أول عشرة الستين ، ولقي حينه جماهير من العلماء الكبار ، وأولياء الله الصالحين الأبرار ، وهي المرة الأولى ومرتين مع القطب أخيه ، وعزم على الرابعة مع ابن أخيه المتفق على صلاحه وولايته سيدي أحمد بن مَحمد بن ناصر نفعنا الله بهم ، ثم مات شهيداً بالوباء الأخير بالمغرب في ءاخر العشرة العاشرة من المئة بعد الألف ، قرأت عليه فى صغرى الكراريس والرسالة والجرومية والألفية ، وحضرت مجالسه حينئذ الى أن ارتحلت من بلدهم الى الزاوية الدلائية صدر أربعة وستين بعد الألف ، والله أعلم ، وممن أجاز المترجَم سيدي الحسين مع أخيه المذكور الشيخ محمد البابلي الشافعي اجازة عامة مؤرخة يوم الاثنين ثاني عشر ربيع عام واحد وتسعين وألف ، وهو يروي عن البرهان اللقاني وشيخ شيخة المذكور سالم السنهوري ، وإجازته لهما مذكورة فى (فتح الملك الناصر) ، وترجمه أيضاً فى (الدرر) وذكر أن ولادته سنة ثمان وعشرين وألف ، وأغلان قصبة بلاد درعة وبها دفن بزاويته منها ، وتولى غسله وكافة شؤونه الشيخ سيدى أحمد الخليفة وولده الشاب العالم سيدي عبد الله بن حسين ، وعمره يوم وفاته ثلاث وستون سنة ، كان يحفظ المدونة وله كرامات .

وممن أخذ عنه الشاب أحمد الشتوكي ، وقال سيدي المكي الناصري فى الرحلة عند ذكر زيارة المترجم فى أولها : توفي سنة احدى وتسعين وألف

---

1) حاولنا تحرير نص هذه الاجازة من أخطائه ؛ فوفقنا الى حد كبير ؛ ولكننا عجزنا عن تصحيح بعض العبارات لانعدام مراجع نقابل عليها فتركناها كما هي .

2) كتبت هذه الترجمة المنقولة من قرى العجلان فى الأصل وكأنها ترجمة مستقلة لشخص آخر غير الذى قبله ؛ فحذفنا عنوانها وجعلناها امتدادا لما قبلها .

بالوباء الداخل للمغرب في السنة المذكورة ، وقد استوفيت التعريف به في مؤلفي (الروض الزاهر ، في التعريف بالشيخ بن حسن ؟ وأتباعه الأكابر) ، فليراجع وهو يخالف ما تقدم .

427) حسين بن أمير المومنين سيدى محمد بن عبد الله العلوي .

بايعه الرحامنة بعد أن خلعوا أخاه المولى هشاماً ورجعوا به الى مراكش، فلم يرع المولى هشاماً إلا طبولهم تقرع حول القصبة وأرهقوه وأعجلوه عن ركوب فرسه ، فخرج يسعى على قدميه الى أن أتى ضريح الشيخ أبي العباس السبتي فعاذ به وثابت إليه نفسه ، وبعد أيام تسلل وسار في جماعة من حاشيته الى أسفي ونزل على وزيره القايد عبد الرحمان ابن ناصر ، فأكرم مثواه وأحسن نزله ، وغدا وراح في طاعته ومرضاته ، ودخل المولى حسين قصر الخلافة بمراكش فاستولى على ما فيه من الذخيرة والأثاث من متاع المولى هشام ومتخلف المولى يزيد ، فاضطرّ أهل مراكش حينئذ الى مبايعة المولى حسين والخطبة به ، وكان ذلك سنة تسع ومئتين وألف ، وافترقت الكلمة بالحوز ، فكان بعضه كعبدة وأحمر ودكالة مع المولى هشام ، وبعضه مثل الرحامنة وسائر قبائل حوز مراكش مع المولى حسين ، واتقدت نار الفتنة بين هؤلاء القبائل وتفانوا فى الحروب الى أن بلغ عدد القتلى بينهم أكثر من عشرين ألفاً ، هذا كله والسلطان المولى سليمان مقيم بفاس معرض عن الحوز ومتربص بأهله الدوائر ، الى أن ملّوا الحروب وملّتهم ، وكان ذلك من سعادته ، فصاروا يتسللون اليه أرسالا ، ويسألونه الذهاب الى بلادهم ليعطوه صفقة بيعتهم ، فكان يعدهم بذلك ويقول اذا فرغت من أمر الشاوية قدمت عليكم ان شاء الله ، ثم مات المترجم بالوباء الواقع عام اثني عشر ومئتين وألف ، ودفن بقبة الى جنب الشيخ الجزولي رضي الله عنه ، وقبره مشهور بمراكش .

ذكره فى (الجيش العرمرم) .

428) حسين (حساين) أعرجان

وممن لم أقف على تاريخ وفاته الولي الصالح المعروف بسيدى حسين (حساين) أعرجان بداخل المسجد المعروف به لصق الحائط ، وقبره مزارة شهيرة بقعر الدرب المسمى به .

429) **الحسين اليعقوبي** ، تخرج بمحمد بن يوسف الركني نسبة الى الركن قرية ازاء طاطا بسوس ، وتلميذه المذكور أعظم عالم فى تلك الجهة ، وأخذ العلم بمراكش ثم رجع الى ايمنتتلت ؟ فخرج كثيرين ، وهو من أحفاد محمد بن يعقوب الرجل الصالح الشهير الصنهاجي المشهور فى القرن العاشر ، وقد ظهر فى أولاده علماء كثيرون ، توفي المترجم عام 1318 ، وتوفي شيخه الركني عام 1286 ، وهو تخرج بشيخه الأزنكاضي نسبة إلى أق ازنكاض قرية أخرى قرب طاطا قامت فيها أسرة محمد الأزنكاضى ، وهي نسبته الى صنهاجة، لأن أزنكاض معناها صنهاجة ، وكذلك تازناخت أو تزنكت أو زناكة ، فالكل معناه صنهاجة ، وتربى فى حجر المترجم ولد شيخه الحسن بن محمد بن يوسف الركني المتوفي في الحادي عشر من ذى حجة الحرام عام 1312 متردياً من فرس .

430) **حفصة بنت الحاج الركوني**

الشاعرة الأدبية المشهورة بالجمال والحسب والمال ، ذكرها في (الاحاطة) والملاحي فى تاريخه ، وأنشد لها الأخير مما قالته فى أمير المومنين عبد المومن بن علي ارتجالا بين يديه :

ياسيد الناس يامـن	يؤمل النّاس رفـده
امنن عليّ بطـرس	يكون للدهـر عـده
تخط يمناك فيـه	الحمدُ لله وحـده

وأشارت بذلك الى العلامة السلطانية عند الموحدين ، فانها كانت أن يكتب السلطان بيده بخط غليظ فى رأس المنشور : الحمد لله وحده ، نقله في (نفح الطيب) واقتصر عليه (1) .

وقال في (الاحاطة) وذكرها الأستاذ في صلته فقال : وكانت أستاذة وقتها ، وانتهت الى أن علمت النساء في دار (يعقوب) المنصور ، وسألها يوماً أن تنشده ارتجالا فقالت :

1) **نفح الطيب** 4 : 171 .

امنُنْ عليَّ بصـــــــــــــكَ   يكون للدهر عـــــــــــــده
تخطُّ يمناك فيــــــــــه :   الحمد لله وحـــــــــــــده

قال فمنَّ عليها وحرر ما كان لها من ملك .

انتهى نقل الاحاطة (1) .

ونحو ما للملاحي فى (تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية) قال : ولما نهض عبد المومن للجهاد واحتلَّ بسلا قدم عليه هناك وفدُ الأندلس سنة ثلاث وخمسين وخمسمئة وفيهم حفصة الأديبة المعروفة بابنة الحاج الركوني ، وكان يسمع عنها وعما توصف به من الجمال الباهر والأدب الظاهر ، فأمر باحضارها فقال لها أنت حفصة الشاعرة ؟ فقالت نعم خادمتك وصلتْ لتتبركَ بغرتك السعيدة ، ودنت فقبلت يده ، ثم أنشدته تستدعي منه ظهيراً لموضع ، فسئلت عنه فقالت :

ياسيد الناس يامَـــــــــــن   يؤمل الناس رفـــــــــــده
امنن علي بصــــــــــــكَ   يكون للدهر عـــــــــــده
تخطُّ يمناك فيـــــــــه :   الحمد لله وحــــــــــــده

فأعجب عبد المومن بها ووقع لها بالقرية المعروفة بركونة ، واليها تنسب ، فعاشت عيش الملوك .

انتهى (2) .

وقد أدركت من دولة المنصور ست سنين لأنها توفيت فى ءاخر ست وثمانين وخمسمئة ، وبويع المنصور سنة ثمانين وخمسمئة ، فيكون ذكرها هذه الأبيات للمنصور إنشاداً فقط ، وقد كانت أنشأتها لعبد المومن فقضت بها الغرضين عند الملكين .

---

1) الاحاطة 1 : 493 .
2) تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ص 10 طبع تونس .

وفي (بغية الملتمس) ما يخالف هذا ، قال فيها : الوادي ءاشية (1) شاعرة أديبة ، أخبرني بعض أصحابنا أنه عاينها بحضرة اشبيلية وقد رفعت الى الخليفة الامام أمير المومنين يوسف بن الخليفة أمير المومنين (عبد المومن) بيتيْ شعر تطلب فيهما صكّاً وهما :

امنُنْ عليَّ بصك يكون للدهر عده
تخطُّ يمناك فيه الحمد لله وحده

وأنشدت من شعرها :

أباح الدمع أسراري بوادي به للحسن ءاثار بوادي
وبين الكِلتَيْن مهاة أنس سبت لُبِّي وقد ملكت قيادي
وقد سدلَتْ ذوائبها لأمر وذاك الأمر يمنعنى رقادي
تخال الصبح مات له خليل فمن حزن تسربل بالحداد (2)

وأنشد لحفصة أبو الخطاب في المطرب (3) قولها :

ثنائي على تلك الثنايا لأنني أقول على علم وأنطق عن خبر
وأنصفها لا أكذب الله انني رشفت بها ريقاً ألذ من الخمر

وتولّع بها السيد أبو سعيد بن عبد المومن ملك غرناطة وتغير بسببها على أحمد بن عبد الملك بن سعيد كاتبه حتى أدى تغيره عليه أن عزله ، ثم قتله أبو سعيد بمالقة صبراً بسبب قوله : ما تُحبين فى ذلك الأسود ؟ وأنا أقدر أن أشتري لك من سوق العبيد خيراً منه .

وقول ياقوت فى (معجم الأدباء) فى ترجمة حفصة المذكورة وتولع بها أمير المومنين عبد الموفق المذكور الخ غلط ، بل المتولع بما هو ولده أبو سعيد المذكور .

---

1) الوادى ءاشية هى حمدونة بنت زياد المؤدب ؛ فهى غير حفصة .
2) **بغية الملتمس** ص 545 ع 1590 طبع القاهرة سنة 1967 .
3) **المطرب** ص 10 .

وطلب منها أحمد بن عبد الملك ابن سعيد الاجتماع فمطلته قـدر شهرين ، فكتب لها :

يامن أجانب ذكر اســــــــــــمه وحبي علامـــــــــــــــه
ما إن أرى الوعد يقضـــــــي والعمر أخشى انصرامــــــه
اليــــوم أرجـــــوك لا أن تكون لي في القيامـــــــــــه
لو قد بصرت بحالـــــــي والليل أرخى ظلامـــــــــه
أنوح شوقاً ووجـــــــــداً إذ تسريح الحمامـــــــــه
صبٌ أطال هـــــــــــواه على الحبيب غرامـــــــــه
لمَن يتيه عليـــــــــــــه ولا يردُ سلامـــــــــــه
إن لم تنيلي أريحــــــــى فاليأس يثني زمامـــــــه

فأجابتْــه :

يامدعي في هوى الحســــــــن والغرام الامامـــــــــه
أتى قريضك لكـــــــــــن لم أرض منه نظامـــــــــه
أمدعي الحب يثنـــــــــي يأس الحبيب زمامـــــــــه
ضللت كل ضـــــــــــلال ولم تفدك الزعامـــــــــــه
مازلت تصحب مذ كنـــــــت في السباق السلامـــــــه
حتى عثرتَ وأخجلـــــــــت بافتضاح السئامــــــــه
فالله في كل حيـــــــــن يبدي الحساب انسجامـــــــه
والزهر في كل حيـــــــن يشقُ عنه كمامـــــــــه
لو كنت تعرف عـــــــذرى كففت غرب الملامـــــــه

ووجهت هذه الأبيات مع موصل أبياته بعد ما لعنته وسبته وقالت له لعن الله المرسل والمرسول ، فما في جميعكما خير ، ولا لي برؤيتكما حاجة ، وانصرف بغاية من الخزي ، ولما أطل على أحمد بن عبد الملك ابن سعيد وهو في قلق لانتظاره قال له : ما وراءك ياعصام ؟ قال : ما يكون وراء مَن وجهه خلف الى فاعلة تاركة ، اقرأ الأبيات تعلم ، فلما قرأ الأبيات قال للرسول ما

أسخف عقلك وأجهلك ، انها وعدتني للقبة التى في جنتي المعروفة بالكمامة ، سر بنا فبادروا الى الكمامة فما كان الا قليلا واذا بها قد وصلت ، وأراد عتبها فأنشدت :

دعي عد الذنوب اذا التقينـــــا   تعالي لا نعد ولا تعـــــــدى

وجلسا على أحسن حالة ، واذا برقعة الكتندى الشاعر لأحمد وفيها :

أبا جعفر يابن الكرام الأماجـــد   خلوت بمن تهواه رغماً لحاسـد
فهل لك فى خلٍ قنوع مهـــذب   كتوم عليم باختفاء المراصـــد
يبيت أذا يخلو المحب بحبـــه   ممتع لذات بخمس ولائـــــد

فقرأها على حفصة فقالت لعنه الله ، قد سمعنا بالوارش على الطعام والواغل على الشراب ، ولم نسمع اسماً لمن يعلم باجتماع محبين فيـروم الدخول عليهما ، فقال لها سميه لنكتب له بذاك فقالت أسميه الحايل لأنه يحول بيني وبينك أن وقعت عيني عليه ، فكتب له فى ظهر رقعته :

يامن اذا ما أتانـــــــي   جعلته نصب عينـــــى
تراك ترضى جلوســــاً   بين الحبيب وبينـــي ؟
إن كان ذاك فمــــاذا   تبغي سوى قرب حينـــي
والآن قد حصلت لـــي   بعد المطال بدينـــــي
فان أتيتَ فدفعــــــاً   منها بكلتا اليديـــــن
أو ليس تبغي وحاشــــا   ك أن ترى طيرَ بيْـــن
وفي مبيتك بالخمـــــ   ـس كل قبح وشيْـــن
فليس حقـــــك إلا   الخلو بالقمريـــــن

وكتب له تحت ذلك ما كان منها من الكلام ، وذيل ذلك بقولـه :

سماك من أهواه حايـــل   ان كنت بعد العتب واصـل
مع ان لونك مزعـــج   لو كنت تحبس بالسلاسـل

فلما رجع اليه الرسول وجده قد وقع بمطمورة نجاسة وصار هتكة ، فلما قرأ الأبيات قال للرسول أعلمهما بحالي ، فرجع الرسول وأخبرهما بذلك فكاد أن يغشى عليهما من الضحك ، وكتبا اليه ارتجالا كل واحد بيتاً بيتا وابتدأ أحمد فقال :

قل للذى خلصنـــــــا — من الوقوع فى الخــــرا
ارجع كما شاء الخـــــرا — يابن الخرا الـــــى ورا
وان تعد يوماً الـــــى — وصالنا سوف تــــرى
يـا أسقط الناس ويـــا — أنذلهم بلا مـــــرا
هذا مـدى الدهر تــــلا — قي لو أتيت في الكــــرا
يالحية تشغف بالخـــــ — ـرا وتشتا العنبــــرا
لاقرب الله اجتمـــــا — عاً بك حتى تقبــــرا

ومن شعرهـا :

سلام يفتح فى زهـــرة الـــ — ـكلام وينطق ورق الغصـــون
على نازح قد ثوى في الحشـــا — وإن كان تحرم منه الجفـــون
فلا تحسبوا العبد ينساكـــم — فذلك والله ما لا يكـــون

وقولها من أبيـات :

ولو لم يكن نجماً لما كان ناظـرى — وقد غبت عنه مظلماً بعد نـــوره
سلام على تلك المحاسن من شـــج — تناءت بنعماه وطيب ســــروره

وقولهـا :

سلوا البارقَ الخفاق والليل ساكن — أظل بأحبابي يذكرني وهنـــا
لعمري لقد أدهى لقلبى خفقـــة — وأمطرني منهلٌ عارضه الجفنـــا

ونسب بعضهم إليها البيتين المشهورين :

أغار عليك من عيني رقيبــــــي | ومنك ومن زمانك والمكــــــان
ولو أني خبأتك في عيونــــــي | إلى يوم القيامة ما كفانـــــي

والله تعالى أعلم .

وكتبت إلى أبي جعفر (أحمد ابن سعيد) :

رأست فما زال العداة بظلهـــم | وعلمهم النامى يقولون لـمْ رأس ؟
وهل منكر أن ساد أهل زمانـــه | جموحٌ إلى العليا حرون عن الدنس

وقال ابن دحية : حفصة من أشراف غرناطة ، رخيمة الشعر ، رقيقة النظم والنثر ، وقال أحمد ابن سعيد : أقسم ما رأيت ولا سمعت بمثل حفصة ، ولها أشعار كثيرة ذكرها في (الاحاطة) و (النفح) قال في الاحاطة قالوا توفيت بحضرة مراكش في آخر سنة ست وثمانين وخمسمئة .

431) **حيان بن عبد الله بن حيان الأوسى**

حيان بن عبد الله بن محمد بن هشام بن حيان بن عبد الله بن حيان بن فرحون بن علي بن عبد الله بن مومن بن مالك بن حمدون ابن حيان الأنصاري الأوسي ، من أهل بلنسية وأصل سلفه من أروش عمل قرطبة ، يكنى أبا البقاء ، أخذ القراءات عن أبي الحسن ابن النعمة ، وروى عن أبي محمد بن عبيد الله لقيه بسبتة ، وأبي الحسن نجبة بن يحيى ،وناظر عليه بمراكش في كتاب سيبويه ، وتأدب بأبي الحسن بن سعد الخير ، وكان نحوياً لغوياً أديباً شاعراَ يشارك في الكتابة ويستعمل العويص ، حسن الخط جيد الضبط ، وقد قرأ وقتاً بجامع بلنسية ، نصبه لذلك القاضي أبو عبد الله ابن حميد ، لقيته وسمعت مذاكرته ، وتوفي سنة تسع وستمئة .

ذكره في (التكملة) .

432) **خلف بن عمر الباجي** ، أبو القاسم ، روى عن محمد بن علي بن محمد الأنصاري الشاطبي المعروف بابن الصيقل المتوفي بمدينة فاس بعد

خمسمئة ، سمع منه صحيح مسلم بأغمات ، وحكى ابن فرتون أن جد جده إبراهيم ابن فرتون روى عنه .

ذكره في التكملة .

وقال ابن بشكوال (1) .

خلف بن عمر بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي من ساكني سرقسطة ، يكنى أبا القاسم ، سمع عمه القاضي أبا الوليد الباجي وأبا العباس العذري وأبا الليث السمرقندي وأبا محمد ابن فرتش وسواهم ، واستوطن أغمات من بلاد المغرب ، وولي قضاء أغمات ، وأخذ عنه ، توفي بها بعد الخمسمئة بيسير .

ذكره ابن بشكوال غير متوفي .

433) خلف بن محمد ابن فتحون

خلف بن محمد بن خلف بن سليمان بن خلف بن محمد بن فتحون ، من أهل أريولة ، يكنى أبا القاسم ، سمع أباه أبا بكر ، وأبا علي الصدفي وتفقه به ، وأبا جعفر ابن بشتغير ، وأبا بكر بن العربي ، وأجاز له جده أبو القاسم في صغره ، وأخذ القراءات عن أبي بكر بن عمر اللاردي إلا قراءة حمزة وتفقه عليه في المدونة وقد أخذ قراءة حمزة عن أبي الحسن ابن ميمون عن أبي محمد ابن سهل ، وكتب إليه أبو عبد الله الخولاني وابن رشد وابن عتاب وابن طريف وابن مغيث وأبو محمد ابن السيد ، ومن أهل المشرق أبو الحسن بن مشرف والسلفي ، وولي القضاء بمرسية للأمير أبي محمد بن عياض فحمدت سيرته وتوجه عنه رسولا إلى المغرب فأقام بمراكش وانصرف سنة ثلاث وأربعين وخمسمئة بعد موت ابن عياض ، ثم نُقِل إلى قضاء بلده

---

1) جملة وقال ابن بشكوال غير واردة في الأصل ؛ وانما أضفناها اضطرارا ليستقيم الكلام ؛ لأن المؤلف أورد ما بعد تلك الجملة المضافة على اعتبار أنه ترجمة لشخص آخر غير الذى قبله ؛ والحقيقة أن ترجمة خلف بن عمر الباجى المنقولة عن التكملة وترجمة خلف بن عمر الباجى المنقولة عن الصلة انما هما لشخص واحد .

أوريولة وتولاه مدة طويلة مقتصراً على جار مرتب المستخلص القديم الذي لا شبهة فيه ، وكان من قضاة العدل صارماً في أحكامه مهيباً وقوراً معروف بالباهة والعلم ، وكان الأمير أبو عبد الله ابن سعد يميزه في رجاله من غيره ، ويوجب له الحظ إذ كان المنظور إليه بمكانه ، وأحد الأفراد في زمانه ، رجاحة وجلالة وقولا بالحق وعملا به ، قال ابن عياض ولي قضـاء أريولة مرتين إحداهما سنة أربعين وأعيد ثانية بعد موت أبي العباس ابن الحلال ووصفه بالتيقظ والتحفظوالورع والنزاهة ، وبأنه لم يتغير له ملبس ولا مركب عما عهد منه قبل الولاية .

وتوفي في جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وخمسمئة ، وثكله أهل بلده وبكوه دهراً ، وبعده ولي أبو بكر ابن أبي حمزة منتصف رمضان من السنـة .

ومولده في رمضان سنـة خمس وتسعين وأربعمئة وفي خبره عـن ابن شعبان وغيره .

434) **خلوف بن خلف الله الصنهاجي** من البربر، يكنى أبا سعيد دخل الأندلس وسمع بقرطبة من أبي بحر الأسدي وولي قضاء غرناطة للملثمين سنة عشر وخمسمئة بعد أبي بكر محمد بن أحمد القليعي ثم صرف بأبي عبد الله بن حسون الكلبي سنة خمس عشرة وولي قضاء مدينة فاس ، قال ابن بشكوال رأيته بقرطبة مرتين ، وكان يروي كتاب أبي اسحاق التونسي وولي قضاء الجماعة بمراكش ، وكان من العلم والفضل بمكان ، صادعاً بالحق ساعياً في أعمال البر ، لا تأخذه في الله لومة لائم .

وتوفي بفاس وهو يتولى قضاءها سنة 515 ولم يذكره في الصلة ، وحكي في تاريخ وفاته ما تقدم ، وقال غيره توفي سنة ست عشرة وخمسمئة

ذكره ابن الأبار في التكملة (1) .

---

1) التكملة 1 : 314 ع 850 .

وقد غلط في الجذوة حيث نقل عن التكملة حكاية القول بوفاته عام عشرة وخمسمئة ، فقد سقط من جملته ست وبقيت عشرة وستمئة وتبعه على غلطه في السلوة (1) .

435) **خليل بن صالح الخالدي التلمساني** الأصل الفاسي الرحلة ، أخذ عن الفقيه المرنيسي والشيخ كنون وسيدي عبد الله الأزمي المكناسي وسيدي المهدي ابن الحاج ، وسيدي أحمد كلا (بناني) والزمخشري ، والفقيه التازي مسواك ، غير أنه لم يحصل على طائل في العلم ، إنما كان يلقي بعض الدروس في النحو ، ولاقتصاره عليه كان يقال له النحوي ، وابتلي بصحبة أولاد الجامعي فكان معهم كما يريدون ، ونال منهم ما يريد ، ورحل مع الوزير الحاج المعطي الجامعي صحبة الركاب الشريف لسجلماسة ، ودخل مراكش ، ثم بعد ذلك ولاه السيد عبد الله بن خضراء النيابة عنه في القضاء بفاس ، ثم ولي قضاء مكناسة الزيتون وعزله العامة لما خلعوا المولى عبد العزيز ورجع لفاس على أسوإ حالة ناجياً بنفسه من القتل ، ولزم الفراش إلى أن مات ، وكان الناس يتكلمون فيه لعموم الوشم ، ذكره السيد عبد الحي الكتاني ، وأخبرني العلامة سيدي المهدي الوزاني أن المترجم كان يقرأ الألفية نحو الثلاثين سنة بحاشية سيدي أحمد ابن الحاج لا غير ، وأن السيد عبد الله بن خضراء قال له : انه لا يعرف النحو وان الحاج المعطي الجامعي كان يوجه له بغلته بعد رجوعه من دار المخزن ليأتي عليها عنده ، فكان يراعى لذلك ، له رحلة الى سجلماسة صغيرة مطبوعة بفاس ، وله تقريظ على رحلة الامام أبى سالم العياشي المطبوعة بفاس عام 1316 .

توفي رحمه الله فى تاسع عشر قعدة عام 1326 ستة وعشرين وثلاثمئة وألف وأقر ولده الطالب والسيد عبد السلام على الامامة والوعظ بمسجد بوعقدة بفاس .

---

1) أصلح هذا الغلط فى الطبعة الجديدة **لجذوة الاقتباس** ص 193 ع 152 .

حــرف الدال

436) داوود بن ولال (1) الأيلاني ، من أهل أغمات ايلان ، وبها مات عام سبعة وستمئة ، وكان عبداً صالحاً . قال في (التشوف) أخبرني بعض الثقات قال أخبرني مخبر قال بات داوود الأيلاني ليلة عند أصحابه ، فجاءه سارق فنقب الجدار وسرق له بعض متاعه ، فجاء الى داوود فقال : سرقت الليلة ونقب السارق جدار داري ، فأخذ داوود بالتضرع والبكاء والدعاء ، وقال : وحقك يارب لا برحت من مكاني هذا حتى يرد لصاحبنا ما سرق له ، فما برح من مكانه حتى رمى الينا ما كان قد سرقه السارق بالدار (2) .

437) داوود بن سليمان ابن حوط الله الحارثي الأنصاري

داوود بن سليمان بن داوود بن عبد الرحمان بن سليمان بن عمر بن خلف بن عبد الله بن عبد الرؤوف ابن حوط الله الأنصاري الحارثي من أهل أندة عمل بلنسية وسكن مالقة ، يكنى أبا سليمان ، أخذ عن أبيه وأخيه عبد الله ، وتجول ببلاد الأندلس للسماع من علمائها والأخذ عن رواتها ، فلقي ببلنسية أبا عبد الله ابن نوح وغيره ، وبشاطبة أبا بكر ابن مغاور ، وبمرسية أبا القاسم ابن حبيش ، وأبا عبد الله بن حميد ، وأبا بكر بن أبي جمرة ، وأبا جعفر ابن عميرة ، وبقرطبة أبا القاسم ابن بشكوال . فأكثر عنه ولازمه نحواً من عامين ، قال في (التكملة) : سمعته يقول لم يتيسر لي من السماع على أحد ما تيسر لي عليه ، وسمع بها أبا عبد الله ابن عراف ، وأبا الحسن الشقوري ، وأبا الحسين بن ربيع ، وأبا عبيد البكرى ، وأبا القاسم الشراط وغيرهم ، ولقي باشبيلية أبا عبد الله ابن زرقون ، وأبا محمد ابن جمهور ، وأبا جعفر ابن مضا . وبمالقة أبا عبد الله ابن الفخار وعبد الرحمان السهيلي ، وعبد المنعم بن محمد الخزرجي في اجتيازه بها . وبالمنكب عبد الحق ابن بنونه وأبا القاسم ابن سمجون . وبغرناطة أبا عبد الله ابن عروس ، وأبا الحسن ابن كوثر ، وأبا بكر ابن أبي زمنين ، وأبا جعفر ابن حكم . ولقي بسبتة أبا محمد بن عبيد الله ، وغير هؤلاء جماعة سمع منهم وقيد الكثير عنهم ، وكتب

---

1) في النسخة المطبوعة من **التشوف** : ابن ومالال .

2) **التشوف** ص 428 ع 236 **والسعادة الأبدية** I : 69 .

اليه آخرون ، ومن المشرق كذلك من أعيانهم وأعلامهم أبو الطاهر ابن عوف ، وأبو عبد الله ابن الحضرمي ، وأخوه أبو الفضل ، وأبو الرضى أحمد ابن طارق ، وأبو الثناء الحراق ، وأبو الطاهر الخشوعي ، وأبو اليمن الكندي ، وأبو عبد الله بن أبي الصيف اليمني ، وكان لا يرى التحديث بالاجازة العامة عن السفلي ولا عن غيره ، وألف في أسماء شيوخه كتاباً قرأته عليه بعد ما كتبه من خطه ونقلت منه هنا ما نسبته إليه وهم يزيدون على مئتي رجل ، ذكر أن معظم ما أورده من حفظه وكان شديد العناية بالرواية وهي كانت أغلب عليه من الدراية ، فمال الى الجمع والاكثار ، وأخذ عن الكبار والصغار ، وهو وأخوه عبد الله كانا أوسع أهل الأندلس رواية في وقتهما لا ينازعان في ذلك ولا يدافعان مع الجلالة والعدالة ، وحدثت عن أبي عمرو ابن الجميل أنه كان يفضل داوود منهما في الورع والانقباض ، وولي قضاء الجزيرة الخضراء وغيرها ، ثم ولي قضاء بلنسية في آخر سنة 608 بعد عبد الله ابن أصبغ، وبها اختلفت إليه وسمعت منه وأجاز لي غير مرة الى أن صرف بأبي القاسم ابن نوح في سنة احدى عشرة مقدماً إلى قضاء مالقـة ، والغالب على أحواله التواضع وليـن الجانب وخفض الجناح وحسن السيرة والطريقة مع التحرى والنزاهة والعدل والاعـتـدال .

توفي بمالقة وهو على قضائها سحر ليلة السبت وقال ابن الطيلسان صبح يوم السبت زاد أبو عبد الرحمان ابن غالب اثر الصلاة وهو السادس من شهر ربيع الآخر سنة 521 ، ومولده بأندة سنة 442 هـ .

وسيأتي في ترجمة أخيه عبد الله أنه سمع بمدائن الأندلس وسبتة ومراكش وسلا من عالم عظيم مع أخيه الخ ، وقرأ المترجم داوود كتاب الصلة على مؤلفها أبي القاسـم ابن بشكوال سمع عليـه جميعها في ذى الحجـة سنة 476 .

438) **رحال الكوش** ، أبو العزم ، دفين أنماي من حوز مراكش، الرجل الأسود الشيخ كان من الأبدال ، فلهذا يقال له البدلي (1) كان مستجاب الدعاء، له منه سهام صائبة وكراماته شائعة ذائعة ، أخذ عن الشيخ عبد العزيز التباع

---

1) ينطق بها عوام المغرب اليوم البودالي بمد الباء والدال .

المراكشي ، قال فى (الدوحة) : أخبرني ولده أنه كان يعيش على نبات البرية ويدخر زريعة الخرذل لقوته لكونه تعود ذلك من سياحته ، وكانت له شهرة عظيمة فى الخلق ، وكان ظهر مع وجود سيدي عبد الله الغزواني وبعد صيته وكثرت أتباعه ، فحرك اليه سيدى عبد الله ، فلما أشرف عليه قال لهم : ارجعوا فان العبد قِدْرُه غليانة ، ثم حرك اليه ثانية فقضى فيه غرضه .

وقال المترجم عن نفسه : أنا ركاب العرائس ! مَن لم أركب عروسه لا تركب ! وأنا صاحب الاغاثة فى البر والبحر ، ويحكى أنه قصد زيارة سيدي محمد بن داوود الشاوي فلما بلغ نهر أم الربيع وجده حاملا لا يعبر ، فقال عليه كلاماً متغنياً به فانشقّ النهر الى نصفين وبينهما طريق بين ، فعبره هو وأصحابه فكوشف بمجيئه سيدي محمد بن داوود ، فجاء يتلقاه متغنياً بكلام آخر رضي الله عنهما ونفعنا ببركاتهما .

توفي فى آخر العشرة الخامسة من القرن العاشر ، ودفن بزاويته من أنماي .

وقد زرته بها فى عام خمسة وعشرين وثلاثمئة وألف ثم فى العام الذى بعده ، وعليه قبة هائلة ومزارة كبيرة ذات مرافق ، ويظل هنّاك أحفاده يتلقون الزوار ويأخذون منهم الزيارات .

ترجمه فى (الممتـع) و (الدوحة) ، وقال فى (المجـد الطارف والتالد) بعد ذكر الامام الجزولي ما نصه : ولا شك أن الشرف وشيخ العراقة فى سملالة من قديم ، لكونهم آووا الأدارسة والسليمانيين بعد اجلائهم وخلعهم شارةَ الشرف واختفائهم في القبائل ولبسهم عباءة البداوة واستوائهم مع العامة حتى نسوا نسبهم ، ثم ذكر أن مشاهيرهم بعد الجزولي القطب سيدي أحمد بن موسى وسيدى رحال البدلى ، وقال سيدي محمد بن العربي الأدوزي : سيدي رحال البدلّي . توفي آخر العشرة الخامسة من القرن العاشر ، ونسبه رحال بن أحمد بن الحسن بن القاضي عبد الواسع بن ابراهيم بن عبد السلام بن عبد الواسع بن ابراهيم بن عبد السلام بن محمد بن عبد الله بن سفيان بـن جابر بن علي بن سليمان بن عبد الله الكامل الخ النسب المشهور ، أصل أسلافه من تمدلت ، وهي مدينة قديمة عظيمة كان منها مُعظم قبائل جزولة .

وقال في (الممتع) في ترجمة سيدي عبد الله الغزواني : ثم ان سيدي رحال الكوش فيما يقال ظهر بمراكش ظهوراً يضاهي ظهور سيدي عبد الله الغزواني ، فقال له سيدي عبد الله إما أن تتركها لي أو أتركها لك ، وأما حنشان في غار فلا يجتمعان ، فقال له سيدي رحال أنا أخرج عنك وأتركها لك، فخرج إلى أنماي ، فذلك الذي أسكنه هناك إلى أن توفي رضي الله عنه .

وممن ترجمه أيضاً الوزير في شرح مقصورته والحظيكي في طبقاته .

ومن أولاد المترجم سيدي رحال : عبد العزيز شيخ سيدي أحمد بن عبد العزيز المصباحي المتوفى في خلافة السلطان الشيخ بن زيدان ، وظهرت له كرامات ، وولده أحمد بن عبد العزيز المذكور أخذ عنه سيدي محمد البهلول الشهواني دفين الشاوية ، وكأن من أهل الملامتة وظهرت له كرامات ، ذكر ذلك كله في صفحة 204 من (الصفوة) فيمَن لم يقف لـه على ترجمـة ، وذكرناهما أيضاً في ترجمة سيدي عبد العزيز فيمن اسمه عبد العزيز ، ومن تلامذة سيدي رحال الشيخ أحمد العروسي ، وكان صاحب حال وشهرة في الناس ، وله كلام على وزن كلام سيدي عبد الرحمان المجذوب يخبر فيه بالمغيبات يحفظ الناس منه ، ذكره في ص 100 من (الممتع) .

خـاتـمـة :

أذكر فيها أجوبة عن أسئلة سئلت عنها من بعض المستشرقين في ترجمة المترجم .

أولا نسبه : زعم محمد الأمين الصحراوي أنه من سملالة كما نقلناه عنه في كتابه (المجد الطارف والتالد) ، ومما نقلناه عن سيدي محمد بن العربي الأدوزي وهو مخالف في الأعداد للمتعارف من جعل ثلاثة لكل قرن واحد ، ولم يذكر من أين نقله .

ثانياً : الأبدال من المرتبة الثالثة من الولاية على سبيل الترقي ، لأن طبقات الأولياء سبعة ، منها الأولياء وعددهم ثلاثمئة ، والنجباء وعددهم سبعون، ثم الأبدال وعددهم أربعون ، ثم النقباء وعددهم عشرة ، ثم العرفاء وعددهم سبعة ، ثم المختارون وعددهم ثلاثة ، ثم واحد وهو الغوث .

ثالثاً : معرفة عمره تقريباً ، الظن أنه ولد في العشرة التاسعة من القرن التاسع ، لأن شيخه سيدي عبد العزيز توفي عام 914 وتركه متهيئاً للمشيخة .

رابعاً : في أي دولة كان في ذلك الوقت حتى توفي عام 950 فالملك الذى كان في ذلك الوقت على مراكش هو أحمد الأعرج إن بقي مملكاً الى عام 951 أو أخوه محمد المهدي الشيخ السعدي المتوفي سنة 964 ، وكان في أيام ملك أبي عبد الله البرتغالي الوطاسي الذى بويع بالملك سنة 910 المتوفى سنة 932، وابنه أحمد الملك بعده المتوفى بمراكش قرب الستين وتسعمئة مخلوعاً من الملك سنة 956 ، وفي أيام محمد القائم السعدي المتوفي سنة 923 وفي أيام ولده أحمد الأعرج الذى تولى الملك بعد وفاة والده عام 923 ، وخلع عام 946 أو عام 951 ، وتوفي عام 964 ، وفي أيام أخيه محمد المهدى الشيخ على القول بأنه خلع أخاه عام 946 لا على القول الثاني بأن الخلع وقع عام 951 ، المتوفى عام 964 .

الحاصل أنه كان في أواخر الدولة الوطاسية وأوائل الدولة السعدية التي ظهرت سنة 915 .

خامساً : اسم ولده : صاحبُ (الدوحة) المنقول عنه لم يسمه ، وسماه عبد العزيز في ص 204 من (الصفوة) .

سادساً : أحمد العروسي ترجمه في ص 100 من (ممتع الأسماع) .

سابعاً : أنماي هذا هو الذي كانت به المعركة بين الأحمدين الوطاسي والسعدي سنة 935، وهو المقرُ الذي توفي فيه وبعد سكناه به سمي بزاويته .

ثامناً : أبو العزم هي كنيته .

تاسعاً : وأما صائبة معناه هو كالسهم مصيبة .

عاشراً : وأما الخردل فهو مشهور عند العشابين وهو من التوابل التى توضع في موائد الافرنج أي طلبت الأكل .

حادي عشر : وأما حركته كان ذلك بعد وفاة شيخهما سيدي عبد العزيز التباع الواقعة عام 914 ، وقبل وفاة سيدى عبد الله الغزواني الواقعة عـام 935 .

ثاني عشر : أما ركاب العرائس ! المقصود بهذه العبارة أنه المتصرف في الولاية والعزل الخ .

439) **رضوان بن عبد الله الجنوي** ثم الفاسي داراً وولادة ومنشأ ووفاة ، أبو النعيم والرضى ، الشيخ الامام ، علم الأعلام ، حسنة الليالى والأيام ، حامل لواء المحبة والمراقبة والشهود والعيان ، القائم فى مقاماتها بميزان القسط على ما عرف من أكابر هذا الشأن ، سراج العارفين ، وشمس المريدين ، محيي رسوم طريقة الشاذلية بعد اندراس آثارها ، ومطلع شموسها وبدورها فى آفاق الحنيفية السمحة بعد خبو أنوارها ، القائم لله بحجته فى عباده وبلاده ، البالغ من النصح للشريعة المحمدية غير خائف فى الله لومة لائم أقصى مراده ، السيد الولي الصالح ، القدوة الحجة الناصح ، الورع الزاهد العالم العامل ، الوارث الكامل ، الموصل الواصل ، المحدث الصوفي المتفق على علمه وصلاحه ودينه ، المجمع على ورعه وزهده ويقينه ، أصله رحمه الله من جنوة مدينة من الروم بأقصى مشرق الأندلس مجاورة للبحر قدم منها والده فى حدود التسعين وثمانمئة أو ما يقرب منها ، وكان نصرانياً فأسلم وحسن إسلامه ، وكانت أمه أيضاً إسلامية من يهود جاءوا من بر النصارى فأسلمت وحسن إسلامها وتزوجها والده ، فولد له أولاد عدة ، منهم صاحب الترجمة ، فكان هذا يقول عن نفسه : خرجت من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ، ويقال إن أباه رأى فى نومه أنه بال ياقوتة فعبرت رؤياه بأنه يلد ولداً صالحاً ، فكان كذلك ، وكان الولد هو صاحب الترجمة ، وكانت ولادته بفاس سنة 912 وبها نشأ ولقي الشيخ عبد الله الغزواني فى صغره فرشَّه بغرفة من ماء وجده يتوضأ منه، وذلك بزاويته بباب القليعة(1)فزرعت فيه الخير وأنبتت فيه خصال

---

1) المراد بباب القليعة رأس القليعة قرب باب فتوح بفاس بينه وبين ضريح سيدى على بوغالب .

البر ، وله في هذه الرشيشة أمداح ، ثم إن الغزواني انتقل إلى مراكش ، فبقي صاحب الترجمة متشوفاً إلى رؤيته متطلعاً إلى صحبته متشوقاً إلى زيارته ، فلما كبر تهيأ له ذلك في رفقة من زواره ، فذهب إليه وانجمع بهمته عليه ، وكان لا يرى غيره ، ولا يؤمل إلا خيره ، خالي السر من كل شيء سواه ، مشغوفاً بمحبته وهواه ، وقدمه الشيخ للصلاة به وبقي معه على ذلك نحو الأربعة أشهر ، ثم قضى الشيخ نحبه (I) وبلغ أجله ، فبقي بعده بمراكش نحو العام يقرأ ويطلب العلم ، ثم عاد إلى فاس فوجد الشيخ سيدى محمد الطالب قد اجتمع عليه الفقراء بزاوية شيخه الغزواني برأس القليعة علـى مقربة من ضريح سيدى علي أبى غالب لشدة مجاهدته وخدمته ، ثم اشتغل بالقراءة وطلب العلم على شيخه عبد الرحمان سقين ، ولما رآه سقين يقصد زاوية سيدى محمد الطالب مع الفقراء قال له قد أفسدت نفسك وضيعت العلم ، فأجابه بقوله (والله يعلم المُفسد من المُصلح) ، وفي خلال هذه المدة زار الشيخ محمد بن علي الأندلسي البرجي الشهير بالشطيبي بموضعه بتازغدرة من بلاد بنى زروال ، وأخذ عنه ، وكان إذا ذكرهُ يعظم أمره ويجل قدره ، ويكتب فيه شيخنا وطلبه في النصيحة عند إرادة الانصراف عنه ، وقال له الله الله في الله ، والشطيبي هذا كان واسع العلم والمعرفة شهير الذكر ، فهو صاحب التآليف المشهورة ، أخذ عن زروق عن تلميذه الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي وكانت ولادته عـام اثنين وثمانين وثمانمئة ، وتوفي بموضعه المذكور في ربيع الثاني سنة ثلاث وستين وتسعمئة ، وأخذ أيضاً صاحب الترجمة عن الشيخ محمد بن علي الخروبي الطرابلسي شارح الصلاة المشيشية ونزيل الجزائر ودفين خارجها سنة ثلاث وستين وتسعمئة ، وكان يكاتبه بأسئلة في التصوف فيجيبه عنها ، وزار الشيخ محمد المعروف بالكبير بن الشيخ يحيى بن عبد الله بن محمد أبن بكار بموضعه بالجبل المسمى بجبل وبلان ، ثم انتهت إليه الرئاسة بعد ذلك في تربية السالكين وتهذيب المريدين ، وكشف مشكلاتهم وتفصيل أحوالهم ، وظهرت بركته وخيره على

I) يفسر العوام — وتبعهم في التفسير الخواص المغفلون — قول الله في القرآن (فمنهم من قضى نحبه) بمعنى مات ؛ والحقيقة أن قضاء النحب معناه أداء الواجب وليس الموت .

كثير ممّن صحبه وأخذ عنه ، وكان رحمه الله إمام أهل الزهد والورع والعلم والعمل على سنن السلف الصالح ، حافظاً للحديث راوية له فى وقته ، ولم يشتهر من أصحاب الشيخ الغزواني الفاسيين غيره ، وكان شديد الخشوع والخشية كثير البكاء حتى كان شيخه عبد الرحمان سقين يسميه برضوان البكاء ، وكانت تصدر منه فى بعض الأوقات إذا كان فى القراءة أو غيرها صيحة تكاد القلوب تنفطر من عظمها لغلبة الوجد عليه وصفتها آه ثم لا يرى بعدها تغير" في بشريته كأنه على حاله ، وكان إذا رأيته فى مجلسه قلت إنه شبه النائم مما هو فيه من السكينة والوقار والهيبة ، ومع ذلك لا ترقد منه شعرة ، حتى أنه لو غيَّر أحد من أصحابه حرفاً أو حركة تفطن له من حينه وتكلم عليه ، وكان شريف الأخلاق لطيف الصفات كامل الأدب جليل القدر وافر العقل دائم البشر مخفوض الجناح كثير التواضع شديد الحياء متيقظاً فى دينه ، ولا يغفل ولا يفتر ، مراعياً لأوقاته شديد الورع فى تصرفاته وأحواله، شديد الاتباع لأحكام الشرع وآداب السنة ، محافظاً على استعمال الأذكار والدعوات المختلفة باختلاف الأحوال ، معمور الأوقات بالذكر والصلاة والتلاوة والمطالعة ، ويقول أوقاتنا كلها عامرة لو قيل غداً تموت لم أجد مستزاداً ، وكان محباً لأهل الصلاة والفضل ، مكرماً لأهل العلم ، شديد التحرز من الغيبة ، لا يذكر غائباً ولا يذكر بحضرته إلا بما اقتضاه العلم ، بعيــداً من الرخص ، مقبلا على الجد ، مدبراً عن الدنيا وأهلها ، زاهداً فيما فيها ، منزوياً عنها غير متوسع فيها ، ظاهر الهداية ، مقبول الولاية ، بريئاً من الدعوى ، لا يترك أحداً يقبل يده ، ويقول ما يمدُّ يده للتقبيل إلا أحد ثلاثة : مأذون أو مجنون أو طرمون(I) ولست بواحد منهم، ويتبرأ من دعوى الشيخوخة ويقول لأصحابه إنما نتعاون على الدين فقط ولست لكم بشيخ ، ويقول ياأصحاب وياإخوان ، قال المرابي فى (التحفة) ولقد سمعته غير مرة يقول للفقراء إياكم أن يظن أحد في أنى صالح أو أني شيخ ، فلا والله ما أنا بصالح ولا بشيخ ، إنما أنا رجل مسلم ، قال المرابي ووالله إنه لشيخ ، ولكن المومن

I) الطرمون فى العامية المغربية المستهزىء بالناس ؛ وقد اشتقوا منه فعلا فهم يقولون فلان يتطرمن على فلان أى يستهزىء به .

يهضم نفسه ، ولعمري إن لم يكن هو شيخاً فمَن يكون الشيخ ؟ وكان رحمه الله صادقاً فى أحواله كلها ، إذا فعل فعلا أو قال قولا فلم يظهر لأصحابه وجهه سألوه فأخبرهم لعلمهم أنه لا يتحرك ولا يسكن إلا بوجه صحيح ، وكان يقول لو مثلت لي الشريعة بين يدي كأنها دار أو حصن وقيل لي اختر لنفسك يارضوان إما أن تهتك هذا الحصن وإما أن يُحزَّ عنقُك لقلت يحزّ عنقي ولا أسقط منه مقدار ذرة من التراب ، ووجد بخطه فى بعض مسوداته الله الله لا تنساه ، الناس الناس اهرب منهم ، وأجمع العلماء والصلحاء على تعظيمه وتوقيره وحسن الثناء عليه ، قال فى (الممتع) وصدق الشيخ محمد القصار رحمه الله حين قال : سيدى رضوان الرجل الصالح لو أدركه أبو نعيم لجعله صدر حليته أو قال مع أويس القرني ، وقال المرابي فى (التحفة) كان رضي الله عنه من القائمين بالليل ، الصائمين بالنهار ، القائمين بحدود الله، الناظرين للشريعة بنور الله الذين لا تأخذهم فى الله لومة لائم ، ولقد كان جُنَيدَ هذه الأمة ، وقد صدق الفقيه العالم صاحب الأخلاق المرضية ، والمكارم السنية ، محمد بن القاسم القصار حيث قال : سيدى رضوان الرجل الصالح لو أدركه أبو نعيم لجعله فى صدر حليته ، وقال فيها أيضاً فى محل آخر : وأما خاتمتهم يعنى خاتمة أصحاب الغزواني فشيخنا ووسيلتنا إلى ربنا أبو النعيم سيدى رضوان بن عبد الله الجنوي الذى يقول فيه بعض علماء العصر هو من الذين لم تر عيني مثله ، وصدق فى قوله رضي الله عنه ، فقد كان أعجوبة الزمان ، وخلاصة الحقائق والعرفان ، وفيها أيضاً فى محل آخر عن بعض علماء عصره أنه قال فى حقه : إنه ممن لم يسمح الزمان بمثله من عهد ابن عباد إلى وقتنا هذا، وقد صدق رضي الله عنه فيما قال ، فقد كان أعجوبة الزمان وخلاصة العلم والعرفان ، وفيها أيضاً ما نصه : ولقد وجدت بخط المولى الصالح الورع الزاهد سيدي أبي الحجاج بن يوسف الشريف المقيم بخندق الزيتون ما نصه : كنت مدة بفاس أقرأ فى المدرسة ، فاشتقت أنا وبعض الفقراء زيارة المولى الصالح سيدى يوسف الذى كان بالحارة من باب الجيسة ، فقصدناه والتقينا به ، فكان مما حصل عندنا من كلامه بعد أن قال كيف تزوروننا ولسنا أهلا لذلك ؟ لو تعلمون بالرجل الذى يظهر بعدنا لما كانت قلوبكم ، تطمئنّ إلا به . فسألناه عنه فقال اسمه رضوان ، لو أقسم على الله لأبره .

وللمرابي فى (التحفة) من قصيدة يمدحه بها :

أكرمْ به حاز المعـالي كلهـا — طوبى لعبد قد رآه بمقلتـه
قطب الزمـان وغوثـه وإمامُـه — كهفُ الأنـام وملجـأ لرعيتـه
أقسمت ما شافت عيوني نظيـره — فى الناس لا بل ما رأيت كطلعتـه
راقت محاسنه وعزَّ قرينـه — إن القلوب تُحبُّه من صبوتـه
في وصفه تعيى العقول فكلـه — نور على نور يرى فى جلستـه
شيخ التقى بحر الندى علم الهدى — بدر بدا يسبي العقول بخلقتـه

وبالجملة فمناقبه جمـة لا تحصى ، وأوصافه كثيرة لا تستقصى ، وشهرته فى العلم والصلاح تغنى عن التعريف به .

قال فى (المطمح) وقد وضع الناس فى مناقبه وكراماته وأحواله المجلدات ، وممن ألف فيه تلميذه الشيخ الصالـح الفقيه أحمد بن موسى المرابي الأندلسي المتوفى عام أربعة وثلاثين وألف وسماه بـ (تحفة الاخوان ، ومواهب الامتنان ، فى مناقب سيدى رضوان) ، وهو فى مجلدين ، وبمطالعته تتعرف أحواله ومناقبه رضي الله عنه .

وقد ترجمه فى (الجذوة) فقال : رضوان بن عبد الله الجنوي ، الشيخ الورع الصالح المحدث أورع أهل زمانه ، وواحد وقته وأوانه ، أخذ عن عبد الرحمان بن علي سقين عن القلقشندي عن ابن حجر العسقلاني الحافظ ، توفي بمدينة فاس سنة إحدى وتسعين وتسعمئة ، ودفن خارج باب الفتوح بمطرح الجنة ، وكانت جنازته مشهودة حضرها الجم الغفير من أهل فاس ، ومناقبه فى الورع والدين لا تحصى رحمة الله تعالى عليه (1) .

وترجمة أيضاً فى (درة الحجال) فقال : رضوان بن عبد الله الجنوي المولى الصالح المحدث المكثر الراوية رحلة أهل زمانه ووقته وأوانه ، آخر المحدثين الصالحين بمدينة فاس ، أخذ عن عبد الرحمان سقين عن زكرياء

1) جذوة الاقتباس ص 197 ع 157 .

والقلقشندي وعبد العزيز بن فهد السخاوي كلهم عن ابن حجر ، وأخذ عنه خلق كثير ، وألف كتاباً فى الفقه ، وله نظم وتقييدات لا يحصى عددها ، ثم ذكر ولادته ووفاته وشيئاً من نظمه فراجعه .

وقد كانت وفاته رحمه الله بمنزله من زنقة العنوز من عدوة الأندلس من فاس عند العشاء أو قربها من ليلة الخميس الثالث عشر أو الرابع عشر من ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وتسعمئة ، وصلي عليه من الغد بعد صلاة الظهر بجامع الأندلس ، صلى عليه الفقيه سيدى محمد المرابط بن الشيخ سيدى محمد ابن جلال التلمساني ، ودفن بجنان بأعلى مطرح الجنة عن يسار مصلى العيد أسفل منه ، وحضر جنازته أهل فاس البالي والجديد رجالا ونساء ، وأمير الوقت ، ولم يدفن إلا بعد صلاة العصر بعد مشقة عظيمة من الازدحام، ولم يرجع جل الناس من جنازته إلا بعد أن غاب القرص، وبني عليه بيت ، وجعل على قبره به مقبرية من حجر منقوش بجنبها اسمه ، وهو رضوان ، وعلى قبره هيبة ، والدعاء عنده مستجاب ، وقد جدد لهذا العهد بناءه بعد خرابه السلطان الأمجد ، والهمام الأصعد الأنجد ، مولانا الحسن بن مولانا محمد بن مولانا عبد الرحمان العلوي ، جدد الله عليه سحائب الرحمات ، وعند تجديده له أزيلت المقبرية المذكورة من قبره رضي الله عنه ونفعنا به ، ثم بعد دفنه بالجنان المذكور اتخذ مقبرة لدفن الأموات ، ودفن معه فيه بعده بعض أصحابه .

وقد قال المرابي فى (التحفة) وقفت يوماً على قبره فقلت :

هذا الذى كان في الدنيا على حذر — هذا الذى نومَه قد باع بالسهر
هذا الذى طاع مولاه وقام على — ساق التهجُد في الظلماء والسحر
هذا الذى كان ذا زهد وذا ورع — وذا انقباض وذا خوف وذا حذر
هذا الذى فاق أهل العصر قاطبة — علماً وحالا وحلى القلب بالفكر
هذا التقيُ أبو الخيرات سيدنا — رضوان قدوتُنا مَن فاز بالظفر
الله يرحمه الله يكرمه — الله يسكنه مع خيرة البشر
صلى عليه إلاه العَرْش ما هطلت — سحب وما غنت الأطيارُ فى الشجر

ولم يخلف رضى الله عنه ولداً ذكراً إلا ابنة لها عقب بفاس يعرفون بأولاد ابن مبارك، وكان له فى حياته وبعد وفاته أتباع ولم يتخذ هو زاوية يجتمع معه فيها أصحابه ، بل كانوا يجتمعون معه في غير زاوية ، ثم اشترى بعد وفاته أصحابه موضعاً اتخذوه زاوية يتلون فيه أوراده ، وهي التى بزنقة الجياد من حومة البليدة بفاس القرويين ، وقد أشار لها صاحب (النشر) فى ترجمة الشيخ القصار أحد تلاميذ صاحب الترجمة فقال : وأما الزاوية التى تنسب له يعني سيدي رضوان اليوم بجوار حمام الجياد من حومة البليدة وفندق اليهودي من عدوة فاس القرويين فالذى سمعته من بعض أشياخنا الثقات أنها اشتريت بُقعتُها وجعلت زاوية بعد موت سيدي رضوان ، لأنه رضي الله عنه لم يترك من متخلفه بعد تجهيزه الا الحصيرة التى كان يصلى عليها ، والخيط الذى كان يشمر به أكمامه للوضوء لشدة زهده وورعه ، فبيع ذلك بثمن غال يزيد على السبعين مثقالا ونحو ذلك ، فدفع ذلك لابنة ترْكها ولم يترك عاصباً معها ، فامتنعت من قبضه ، وقالت ان الحصيرة والخيط لا يبلغان هذا السوم ، فاشتريت به البقعة المذكورة وجعلت زواية وبنيت كما هي الآن .

قال في (النشر) ولتلميذ سيدي رضوان أحمد المرابي كتاب سماه (تحفة الاخوان ، ومواهب الامتنان ، فى مناقب سيدي رضوان) هو الآن موجود بتلك الزاوية بخط مؤلفه المذكور ، وقد انقرض أصحابه فى هذه الأزمان ، وتهدمت الزاوية المذكورة وهي خراب الآن ، والبقاء لله وحده .

وممـن ترجمه صاحب (الممتـع) و (الابتهاج) و (الصفـوة) و (الروض) وغيره ، رضي الله عنه ونفعنا به وحشرنا في زمرته ءامين .

ومن تلامذته رضي الله عنه سيدي محمد ابن السائح المتوفى أواخر القرن العاشر أو أوائل الحادى ، وألف فيه مؤلفاً ، وهو دفين قرب روضة أبي عبد الله التاودي .

و (تحفة الاخوان) المذكورة تحتوي على أحد عشر باباً ، الباب الأول في التعريف به ومولده وطريقته وعمن أخذ هـذا الشأن من مشيخة ، وذكر

مَن لقي من الأكابر وأيام حياته ، الباب الثاني في بدايته ومجاهدته ، الباب الثالث في خوفه وزهده وورعه ، الباب الرابع في كراماته ومكاشفاته وما اتفق لبعض أصحابه معه ، الباب الخامس في سيرته وآدابه ومكاتباته وحسن معاملته مع إخوانه وأهل مودته ، الباب السادس في كلامه وحكمه وبعض نظمه يستشهد بها على علو همته وقدره ومجادته وفخره ، الباب السابع في ترتيب أوراده وأذكاره ، الباب الثامن في أدعيته التي أجراها الله على لسانه وكان يدعو بها في أوقاته وأحيانه كما هي عادته الكريمة في اجرائها على قلوب أهل عرفانه ، الباب التاسع فيما قيل فيه من الشعر في أيام حياته وفضل مجلسه وأوقاته ، الباب العاشر في وفاته وبيع تركته وما رثاه به أحبابه من أهل مودته ، الباب الحادي عشر فيما رآه من المرائي في حياته وبعد مماته ، وسمَّى كتابه (تحفة الاخوان ، ومواهب الامتنان ، في مناقب سيدي رضوان) وللمرابي تأليف ختم به (التحفة) سماه (المسك المختوم ، فيما للشيخ أبي النعيم من المنظوم) ، وله تأليف في ذم الغيبة ذكر فيه كلاماً وجده في تآليف العلماء فيها ، ذكر هذا عند ذكر ورع الشيخ .

وقال السلطان المؤيد في (تقويم البلدان) ما نصه : قال ابن سعيد : وجنوة على غربي جون عظيم من البحر ، أعني بحر الروم ، والبحر فيما بينها وبين الأندلس يدخل في الشمال ، وبالقرب من جنوة جبل الأنبردية وبلاد جنوة غربي بلاد اليازية ، قال الشريف الادريسي : وجنوة لها جنات وأودية وبها مرسى جيد مأمون ، ومدخله من الغرب ، وعن بعض أهلها أن جنوة في ذيل جبل عظيم وهي على حافة البحر ، ولها ميناء عليه سور ، وهي مدينة كبيرة الى الغاية ، وبها بساتين فيها أنواع الفاكهة ، ودور أهلها عظيمة ، كل دار بمنزلة قلعة ، ولذلك اغتنوا عن عمل سور على جنوة ، ولها عيون ماء منها شربهم وسقي بساتينهم .

وممن ذكره صاحب (زهر البستان) ، ومن تلامذته السلطان أحمد المنصور كما في (المنتقى المقصور) ، وممن ذكره صاحب (مطلع الأشراف) والمسنـــاوي .

ومن شعره رضي الله عنه :

فنحن كلاب الدار طبعاً ولم نــزل ... نحب مواليها ونحرس بابهـــا
نسبنا لهم إذ كانوا أهل عنايـــة ... فان كزام العرب تحمي كلابهـــا
إذا طردت يوماً كلاب قبيلـــــة ... فقومي كرام لا تهين كلابهــــا

ذكرها فى أوائل (تحفة الاخوان) ، وفيه قلت رضي الله عنه فى تراجم رواة البخاري :

وهو يرويه عن الولــــــــيّ ... رضوان مَن عُرف بالجنـــوي
أبو النعيم ذو المقام العالــــي ... حسنة الأيام والليالـــــــي
كان إمام الزهد راوي الخبــــر ... فى العلم والعمل سعيه بهـــر
وصاحب الحلية لو أدركــــه ... كان به مبتدئاً فلكـــــه
أو بالامام القرنيّ قرنـــــا ... فهو جنيد وقته بلا عنـــــا
خلاصة العرفان والحقائــــق ... شرب مشرباً روياً رائـــق
مولى القصور رشّه برشـــــه ... كانت على مدى الظهور نعشـــه
شهرته في العلم والصـــــلاح ... تغني عن التعريف بالافصــــاح
بتحفة الاخوان طالع تطّلـــع ... على مناقب الامام المطلـــــع
قد احتوت على مجلديـــــن ... لدى فضائل كنوز العيــــــن
بقبره الدعاء يستجــــاب ... به عليّ أنعم الوهـــــــاب

وذكر فى (أزهار البستان) بيتين للمترجم هما :

ما للنوازل والخطوب ننبهـــوا ... إلا الزعيم ومن يعرف ... ا
فالق العنان لبابه مستشفعــــاً ... وأت البيوت أخي من أبوابهـــا

وممن ترجمه الحضيكي في طبقاته ، وصاحب السلوة (1) .

ومما ينسب له :

---

1) سلوة الأنفاس 2 : 257 .

لا تركَنَنَّ إلى أهل الامارة في … أمر تحاول دونه أمــلا
وإن أرادوك يوماً منّا على عمـل … كُلِ التراب ولا تعمل لهم عمـلا

وسيجري ذكره في ترجمة تلميذه سيدي محمد بن قاسم القصار .

وأنشد ابن عبد ربه في (العقد الفريد) ص 385 من الجزء الأخير :

لا تصحبنَّ ذوي السلطان في عمل … تصبحْ على وجل تمسى على وجـل
كُلِ التراب ولا تعمل لهم عمـلا … فالشرُّ أجمعُه في ذلك العمـل

440) الرشيد بن الشريف العلوي (السلطان مولاي)

الرشيد بن الشريف بن علي السجلماسي العلوي أمير المومنين ، قال في (خلاصة الأثر) ما نصه: مولاي الرشيد بن الشريف بن علي الملك المؤيد الشريف الحسني ملك المغرب السلطان العظيم القدر السعيد الحركات المظفر الكامل ، كان من أمره أنه تسلطن أولا في بلاد فيلالة ، ثم وثب على مولاي محمد الحاج بن محمد بن أبي بكر سلطان فاس ومكناس والقصر وما والاها من أرض الدلاء وسلا وغيرها من أرض المغرب ، وكان له في الملك أربعون سنة ، فانتزعه منه وحبسه إلى أن مات مسجوناً وخرب مدينتهم المعروفة بالزاوية ، سميت بذلك لأن والد محمد الحاج وهو محمد بن أبي بكر بنى بها زاوية عظيمة ، وكانت مأوى لمن يفد ، يطعم بها الطعام للفقراء والمساكين ، ورحل شيعة الحاج خوفاً منه الى تلمسان ، وهي كما تقدم من بلاد العثامنة سلاطين بلادنا أعزهم الله ونصرهم ، ثم قويت شوكة مولاي الرشيد ورغب الناس في خدمته وكثر جمعه وعظمت دولته وساس الرعيه سياسه لم يروها في عهد سلطان من سلاطينهم ، وما زال يتملك بلداً بعد بلد حتى دخل السودان وتملك منها جانباً عظيماً ولم يبق بجميع أقطار المغرب من البحر المحيط الى أطراف تلمسان الا ما هو في طاعته ، وداخلٌ في ولايته ، الى غير ذلك ، وتقدم في ترجمة مولاي احمد المنصور أنه كان قسَّم الولايات بين بنيه ، وكان قد بقي الأمر على ذلك حتى ظهر مولاي الرشيد فجعلها ملكاً واحداً ، وكان ملكاً معتدلا هاشمياً محسناً محباً للعلماء ، واستقام في السلطنة سبع سنوات وتوفي سنة

اثنين وثمانين وألف، وأخبرني بعض المغاربة في سبب موته أنه أصابه فيما يلي أذنه عود من شجرة في بستان له كان يركض جواده فيه، فنفذ العود ووقع المولى الرشيد ميتاً رحمه الله تعالى .

وقال العلامة سيدي عبد العزيز بن عبد الله الغريسي رحمه الله وهو من أجل تلامذة الشيخ الحسن اليوسي ما نصه : وفي أول عشر من المحرم سنة تسع وسبعين ظهر أمر الله وقضاؤه بالزاوية البكرية فخربت وأحرقت بالنار ، وأخرج منها أهلها الى فاس أخرجهم الامام المنصور في وقته رشيد بن الشريف بن علي الحسني بعد أن توجه اليهم من دار سكناه بفاس بجيوش عظيمة لا تكاد تحصى ، أخبرني قاضي المحلة سيدي عبد الملك بن محمد السجلماسي أن عدد خيله ثمانية عشر ألفاً وما من واحد منهم الا بخراجه عنده ومرتبه يأخذه كل شهر من السلطان ، وأما الرماة فأكثر من أن تحصى كل واحد أيضاً بخراجه ، واجتمع بالبكريين بقرب الزاوية عند سيدي محمد بن زيد ببلدة آيت هود بعد أن جمع البكريون قبائلهم مجاطة وغيرهم من أهل ملوية وتوجهوا اليهم بأموالهم كلهـا وأولادهم وبنفسه لقيهم هنالك وهـزم البكريون ووقعت مقتلة عظيمة ، وتولى السلطان أموالهم كلها ومواشيهم وذلك يوم الأحد الثامن من محرم فاتح سنة ما ذكر (1079 هـ) وبالغد دخل الزاوية البكرية من غير قتال بعد أن خرج اليه العلماء والصلحاء من الناس طلبوا العفو فعفا عفـو قادر عن الرقاب وأمـوال المساكين وأخذ أموال سيدي محمـد الحاج وأولاده وهي لا تحصى كثرة تقرب من سبعمئة قنطار من ذهب وفضة على ما أخبرني به العدول وما انضم الى ذلك من أثاث وحرير وحوائج الملوك الـــخ .

قال في (نشر المثاني) لدى ترجمة أحمد المنصور ما نصه : وأما قنطرة سبو فقد تهدم بعد ذلك نحو نصفها وجدده السلطان الأفخم ، الشجاع البطل الأعظم ، الجواد المفضال الأكرم ، المولى الرشيد الشريف السجلماسي الحسني وهو رحمه الله من عجائب السلاطين وستأتي ترجمته ان شاء الله .

وقال لدى حوادث عام 1069 تسع وستين وألف،وفي ثالث عشر رمضان خرج السلطان المظفر المولى الرشيد من فيلالة بعد موت والده ، وفي ثاني وعشرين من شوال وصل الى تدغة ثم الى دمنات ثم الى الزاوية البكرية ثم الى أزرو ثم الى دار ابن مشعل هكذا وجدت مقيداً عن الحافظ الفاسي وسياتي أن وصوله دار ابن مشعل كان عام خمسة وسبعين وموت أخيه المولى مَحمد ، وأن استيلاءه على فاس الجديد والقديم كان في عام ستة وسبعين وألف ، وأن كتب البيعة له بفاس عام سبعة وسبعين وألف ، وفي عام تسعة وسبعين أخذ الزاوية البكرية ، وفي عام ثمانين أخذ في حفر أساس قنطرة سبو ، وفي العام الذي بعده استولى على رودانة وسائر البلاد السوسية ، وفي العام الذي بعده وهو اثنان وثمانون توفي ، وكل ذلك ذكرنا منه ما وقفنا عليه فيما ياتي ، فحاصل أمره من موت والده عام تسعة وستين الى موته عام اثنين وثمانين .

وحدثني بعض الفقهاء الثقات عن والده وأعرفه من الثقات وقد أدرك هذا الزمن أن مولاي الرشيد لما نزل بالزاوية الدلائية على سبيل الوفادة وبقي مقيماً بها أقسم عليه بعض أهل الزاوية أن لا يقيم بها وأن يسرع بالخروج ، وأخبره أن مما هو شائع عندهم أن مولاي الرشيد هو الذي يخلي زايتهم تلك ، وأنهم استفادوا ذلك عن بعض الأخباريين عن كشف أو غيره مخافة أن يهجم عليه أحد من رؤسائهم بسبب ذلك ، وقد كانت لأهل الدلاء زيادة محبة في أهل البيت عن غيرهم من أهل وقتهم ، فخرج المولى الرشيد من الزاوية فصادف قافلة خارجه منها فطلبوا منه أن يحميهم الى محلهم الذى يريدونه ، لأن الوقت وقت النهب ، ففعل وتعرض لهم بعض أهل البوادي يريدون نهبهم ، فأخبرهم المولى الرشيد بأنهم في حمايته ليحترموهم بحرمته، اذ تلك كانت عادة أسلافه في حماية القوافل وغيرها ، فلم يعبأوا به ، فتجرد لقتالهم مع خلق كبير،له اثنان فقط من رقيق السودان وبيد كل واحد منهما مكحلة، فاخذ المكحلة من يد أحدهما وحمل بفرسه على القوم فأصاب واحداً منهم برصاصة ، ورد المكحلة للملوك وأخذ المكحلة الأخرى من يد الآخر فحمل

كذلك فأصاب رجلا آخر ، وما رد المكحلة حتى وجد المملوك الآخر عمر له المكحلة الأخرى فأصاب منهم آخر أيضاً ، وبقي كلما حمل عليهم أصاب واحداً منهم مع حفظ الله اياه منهم ، فما أمكن القوم الا الفرار منه مع كثرتهم ، فكان مقدمة لما قدر في سابق العلم من توليه إمارة الغرب ، فما رجع عنهم حتى أعطوه ثلاثة عشر فرساً التى أصاب فوارسها برميه ، فحمل على كل فرس رجلا ممن اختار لمتابعته ورجع فى الحين واستقبل فاس العليا ونزل أمامها فرآه رئيسها الدريدي من بعض بروج سورها فسأل من هو فأخبر به ، فأرسل اليه فى الحين دراهم نحو خمسة مثاقيل مع وسق من الشعير ، وقال لرسوله اليه قل له هذه عشاؤه يعني الدراهم ، وهذا علف دوابه يعني الشعير ، فليرتحل ولا يقيم عندنا سقطاً ، فرحل مسرعاً فوفد على رئيس يدعا الشيخ اللواتي ، وكان يتفقر ويعظم نسبة الشرف ، فبالغ فى اكرامه ، فبينما هو مقيم عنده إذ رأى رجلا بهيأة من خدم وأتباع ومماليك وهو يصطاد كهيأة الملوك ، فسأل مَن هو ؟ فقيل ابن مشعل من يهود تازة ، فتنحى سريعاً وجعل السكين فى فمه واستقبل الشيخ اللواتي ، فلما رآه بادر اليه لبيك ياسيدي لبيك ، لا أعز فيك رقبة ولا مالا ، لأن ذلك عندهم علامة على تأكيد الاستعطاف فـي أخذ الثأر لمن ظلم أو شبه ذلك ، واقترح عليه أن يهيىء خمسمئة أو نحوها من اخوانه الأبطال ليفتك باليهودى غيرة منه جزاه الله خيراً على دين الله ، فقال لا يتخلف عنك واحد منهم أينما توجهت ، فتواعد معهم أن يمروا خفية متفرقين ويلحقوا بـه لدار اليهودي ابن مشعل وهي على نصف مرحلة مـن تازة شرقاً في البيداء أو أزيد من ذلك ، ثم تقدمهم اليها واستضاف اليهودى فأضافه وتبعه الأبطال فأحاطوا بالدار بعد أن أظلم الليل بحيث لم يشعر بهم أحد وبحيث يتصل بهم ان احتاجهم ، واحتال حتى اتصل باليهودي فى خلوته ، فبطش به وقتله ، وأدخل الرجال باحتيال صادف به مرامه ، فاستولى على دار اليهودي وأخرج منها أموالا كثيرة وذخائر نفيسة ، فنال ما قدر الله له من موعوده ، وسطعت فى فلك السعادة منازل سعوده ، وألقت اليه المملكة زمامها ، ففض بعد تمنعها فى خذرها ختامها ، ولاح به للمغرب السعـادة

والبشائر ، وانتعش به بعد الأشراف على الموت كل حيوان من ناطق وصاهل وطائر ، وكل خير من ربنا الملك الوهاب ، ولكل أجل كتاب .

وذكر لي بعضهم مما هو شائع عند بني يزناسن بالزاي أن اليهودي المذكور كان بدار له محصناً بجبالهم وهم محزبون عليه ، فما زال المولى الرشيد يلاطفهم فى أمره حتى فهم اليهودي أنهم قد أسلموه ، فنزل اليه بهدية فقبض عليه وقتله ودخل داره واستخرج ما فيها من الأموال ، فالله أعلم أي ذلك كان وكيف كان .

ثم قال فى حوادث عام 1075 خمس وسبعين وألف ما نصه : فانتهض رؤساء فاس لأمر أهلها بشراء الخيل والمكاحل ، واجتمع أهل فاس والحياينة وصفرو والبهاليل وغيرهم خارج باب الفتوح للميز وتأكيداً لعدم الدخول فى طاعة مولاي الرشيد ، فأغني عنهم مولاي الرشيد وحاصر أهل فيلالة تسعة أشهر ، ثم نزل بتازة فخرج أهل فاس مع الحياينة الى الغارة عليه فى خامس عشر شوال فرجعوا فارين . فتبعهم الى قنطرة سبو ورجع ، فبعثوا اليه بصلح ، فلم يكمل بينهم وبينه حتى أكمل الله مراده وملكه أمر المغرب فأنقذه به من أهل العناد ، وأحيى الله به البلاد والعباد ، وكانت أيامه مباركة على كثير من المسلمين ، واتفق لهم فيها ما لم يتفق لغيره فى كثير من السنين ، وياتى ذلك ان شاء الله فى ترجمة عام اثنين وثمانين .

ثم قال لدى عام 1076 ستة وسبعين وألف ما نصه : ومن حوادث هذا العام نزول السلطان مولاي الرشيد الشريف السجلماسي الحسني على فاس فقال ثلاثة أيام وجرح برصاصة فى أذنه ، فرجع سالماً والحمد لله ، ثم عاد مرة أخرى فى ثالث ربيع الأول ، فأوقع فيهم القتل والجرح ما يقرب من سبعين رقبة ، ورجع لأنه لم يكن قد أتى مستعداً ، ثم سار الى الريف فحاصر أعراص وأخذه فى رمضان بعد منازلات ، وفى ضحوة الثلاثاء ثامن وعشرين من ذى القعدة نزل مولاي الرشيد أيضاً على فاس فحاصرها الى الخميس وبقي جيشه مقاتلا الى يوم الاثنين ثالث الحجة ، فأصبح بفاس الجديد وقد دخل من أعلا السور ليلا من جهة الملاح ، وفرّ رئيسهم الدريدي ، ثم نزل عشية فاس ،

ففرّ ابن الصغير رئيس اللمطيين ليلا الى بستيون (1) باب الجيسة ، وفر أحمد بن صالح رئيس الأندلس صبيحة غده ، وطلع أهل فاس فبايعوا مولانا الرشيد ونصروه وقبض ابن صالح قبل الزوال بحوز البلد وقتل جماعة من أصحابه وسجن بباب دار ابن شقراء بفاس الجديد ، وولى القضاء سيدي حمدون المزوار يوم الخميس سادس الحجة ، وفي يوم الخميس الذى بعده قتل ابن صالح وابن الصغير، ثم خرج مولاي رشيد لحركة الغرب، فانهزم منه الرئيس الخضر غيلان ومن معه ، فتبعهم فدخل القصر وخرج الى أصيلة ورجع مولاي الرشيد من القصر ثم عاد لحصاره ، وكانت زلزلة ليلا ، ومن المحكي أن ابن صالح والدريدي وأشياعهم لما أحسوا من الناس الضجر وكثُر ذكر مولاي رشيد على الألسنة والتشوق اليه لما اشتدّ بهم الحال من الحصار والفتن وكان أعقب ذلك بشرفاء فـاس أظهروا مشاحنة بينهم على سبيـل المكيدة ، فاختصم الدريدى مع ابن صالح ، وأظهروا المقاطعة بينهما ، فجاء أشياعهم لكل من يعرفونهم من الشرفاء والفقهاء بحب مولاي رشيد وطلبوا منهم أن يصلحوا بين الرئيسين مدلين بأن هذا وظيف الشرفاء والفقهاء ، ومن جملة من كان فيهم العلامة سيدي حمدون المزوار وسيدى محمد أبو عنان الشريف وآخر من أقاربه ، فامتنعوا أولا كراهية الدخول فى أمر الولاة ، فاعتلّ أهل فاس أن لا ملجأ فى مثل هذا الا لهم وحتّموا عليهم ومن تغيب من الأشراف وغيرهم عما عزموا عليه تبعوه حتى حضر ، ومن تمارض كلفوه المشقة ، والبغص من الشرفاء اختفى من ذلك كل الاختفاء لكونه أخبر بالمكيدة من بعض أصدقائه حتى جمعوا جميع من قدروا عليه ممن يظنون به الميل الى

---

1) البستيون كلمة لاتينية معناها البرج والحصن ؛ وهى مما دخل الى العامية المغربية من اللغة الاسبانية ؛ وبفاس برجان أو بستيونان متقابلان يتحكمان فى المدينة وضواحيها ؛ أحدهما شمالى كان يعرف قبل بنائه فى عهد السلطان احمد المنصور السعدى على يد اساراه البرتغاليين ببرج الكوكب ؛ وكان به مصلى عيد (شريعة) أهل عدوة القرويين وهو يواكب مدفن سيدى على المزالى ثم عرف بعد بنائه ببستيون باب الجيسة ؛ ودعاه الفرنسيون أيام احتلالهم ببرج النورد أى البرج الشمالى ؛ فصار من كان يخالطهم من العوام والمتحذلقين يدعوه برج النور ؛ ظنا منه أن النور يعنى الضياء ؛ وهو يعنى الشمال فى الفرنسية (نورد) ؛ أما البرج الثانى أو البستيون الآخر فيسمى بستيون باب فتوح ؛ وهو قريب من مصلى عيد (شريعة) أهـل عدوة الأندلس ؛ وكان الفرنسيون يسمونـه برج سود أى البرج الجنوبى ؛ ولا يـزال بعض الذين تأثروا بثقافتهم وادارتهم يدعونه كذلك حتى هذه الساعة .

السلطان ووجهوه الى الدريدى لفاس الجديد على حالة الشفعاء فى أن يصطلح مع ابن صالح ، فلما أقبلوا عليه أظهر لهم الترحيب وأدخلهم مصرية وأنزل لهم مائدة من طعام ملون يعرف بطبخ الدار ، وقال لهم عشاؤكم من أسبوع بنية تزيدت لي ، وخروجكم من هذه المصرية يوم خروجكم لزفافها فعلموا أنهم مسجونون وأنه توعدهم بتطويل سجنهم جداً وأن توجيههم له انما هو مكيدة واحتيال من أصله ، وأنهم لو سجنوهم جهاراً لما أمنوا من انتصار بعض العامة لهم أو شبه ذلك ، فلما وقع جميعهم فى ذلك أسفوا وبقي الطعام بينهم لم يتناول أحد منهم منه شيئاً ، فقدر الله تعالى ظهور مولاي رشيد ودخوله فاس الجديد في تلك الليلة والمائدة ما زالت بموضعها وهم يسمعون الاعلان والصياح بنصر المولى رشيد فى كل جهة ، ففرج الله عنهم :

ربما تجزع النفوس لأمـــــــــر ولـه فرجة كحل العقـــــــال

فمنهم من لم يخرج الا بعد أن أكل من تلك المائدة زيادة فى الفرح ، ومنهم من حمل معه من ذلك الطعام وخرج مسرعاً ، ومنهم من بقي ثمه ، ثم دخل عليه السلطان مولاي رشيد ، ومنهم البوعنانيون المذكورون ، فسُر بهم وبقي يرعاهم ، وممن كان حاضراً فى هذه القضية سيدي محمد بن أحمد الشريف العراقي الحسيني ، سمعت هذه الحكاية من بعض أحفاده وهي شائعة عنه وعن غيره ويذكرونها بزيادات لم أذكرها لأن هذا هو الذى حققت منها ، لله الأمر من قبل ومن بعد .

وقال في حوادث عام 1078 ثمانية وسبعين وألف : ومن حوادث هذه السنة خروج مولاي رشيد لحركة الزاوية الدلائية ضحوة الخميس الثاني عشر من ذي الحجة ، وولى بفاس العلامة سيدى محمد بن أحمد الفاسي زوال يوم السبت من ربيع الثاني .

وقال فى حوادث عام 1079 تسع وسبعين وألف ومن حوادث هذا العام أن أخذت الزاوية الدلائية ، قال الشيخ الحسن اليوسي فى محاضرته : كان الرئيس محمد الحاج بن أبي بكر قد ملك المغرب سنين عديدة واتسع

هو وأولاده واخوته وبنو عمه في الدنيا ، فلما قام الشريف السلطان الرشيد بن الشريف ولقي جيوشهم ببطن الرمان فهزمهم وذلك أوائل محرم فاتح سنة تسع وسبعين وألف (يونيو سنة 1668 م) فدخلنا عليه وكان لم يحضر في المعركة لعجزه من كبر سنه فاذا بالفُلٍّ يدخلون ، فدخل عليه أولاده واخوته وأظهروا جزعاً شديداً عظيما ، فلما رأى منهم ذلك قال لهم ما هذا ؟ ان قال لكم حسبكم فحسبكم ! يريد الله تعالى ، وهذا كلام عجيب واليه يساق الحديث ، والمعنى ان قال تعالى لكم حسبكم من الدنيا فكفُّوا راضين مسلمين ، انتهى المراد من كلام الشيخ اليوسي .

فكان أخذ الزاوية يوم الاثنين ثامن المحرم (18 يونيو 1668 م) ومن لطف الله بأهل الزاوية فيما سبق لهم في علمه ببركة جدهم ومحبته في أهل البيت أن جعل خلاء زاويتهم على يد مولانا الرشيد الذى حلم عليهم الحلم المعهود لأمثاله من صرحاء أهل البيت ، فما أسال من دمائهم قطرة ، ولا كشف لهم عورة ، وربما مدَّ بعض الظلمة يده فانتقم منه أشد الانتقام ، ثم بعد أن فرغ مولانا الرشيد من إخلاء الزاوية في الثاني والعشرين من صفر (1 غشت سنة 1668 م) قصد مراكش وأخذها وقتل رئيسها عبد الكريم المدعو كروم الحاج الشباني مع جماعة من حزبه وقرابته ، وبعد موته بشهر رجع مولاي رشيد من حركته تلك يوم الجمعة سابع وعشرين من ربيع الثانى (الخميس 4 أكتوبر سنة 1668 م) ، وخرج صاحب فيلالة ابن أخيه مولاي محمد بن محمد بن الشريف مع أتباعه وخلى سبيل البلد ، وكذلك الخضر غيلان ذهب في البحر الى الجزائر وخلى سبيل أصيلة وعـزل القاضي المزوار والمفتي سيـدي محمد بن أحمد الفاسي زوال يوم الأربعاء تاسع وعشرين من جمادى الثانية (5 دجنبر سنة 1668 م) وولى سيدى محمد بن الحسن المجاصي القضاء يوم الجمعة بعد عزل المزوار المتقدم ، والفقيه سيدى محمد البوعناني خطبـة القرويين بعد عزل سيدي محمد بن أحمد الفاسي ، ثم خرج المولى الرشيد للشاوية عصر يوم السبت سابع عشر رجب ورجع سابع رمضان (الجمعة 8 يبراير سنة 1669 م) فأمر باخراج أهل الزاوية الدلائية من فاس ، ثم سمح للبعض منهم وبقي البعض بضريح سيدي علي ابن حرزهم الى آخر العام ،

ثم سمح فردهم جميعاً ، ثم خرج لحركة آيت عياش ظهر يوم السبت سابع عشر ذى الحجة (18 ماي سنة 1669 م) وأحدثت السكة الرشيدية ثاني وعشرين من الحجة (23 ماي) ، وأقرض التجار من فاس وغيرها اثنين وخمسين قنطاراً مدة من سنة حتى ردوها وبها بنى قنطرة سبو ، وفي يوم السبت رابع عشر ذى القعدة أخذ فى أهبة بنائها .

قلت دخلت الزاوية الدلائية فى جمادى عام ستة وعشرين وثلاثمئة والف فرأيتها قاعاً صفصفاً ليس بها أثر الا أطلال دامسة وأثر صومعة وهي فى ربوة ، والبقاء لله وحده .

ثم قال فى (النشر) فى حوادث عام واحد وثمانين وألف ما نصه :
ومن حوادث هذا العام استولى مولاى الرشيد على رودانة وهي مدينة فى أقصى سوس ، بها أنهار جارية ، وبساتين مشتبكة ، وفواكه مختلفة ، وأسعار رخيصة ، والطريق منها الى أغمات وريكة فى أسفل جبل ليس فى الأرض مثله الا القليل في العلوّ وطول المسافة واتصال العمارة وكثرة الأنهار والفواكه ، وبأعلا هذا الجبل أكثر من عشرين حصناً وقلعة ، منها حصن منيع وهو عمارة محمد بن تومرت ملك المغرب ، اذ أراد أربعة من الناس أن يحفظوه من أهل الدنيا حفظوه لمنعته ، فوقع فتح المدينة رابع صفر (الاثنين 23 يونيو 1670 م) واستولى على هشتوكة يوم الأحد ثامن عشر صفر وقتل منهم نحو الألف ونصف فيما قيل ، واستولى على أهل الساحل ومات منهم أزيد من أربعة آلاف على ما قيل يوم الأحد خامس عشر صفر ، وفى مهل ربيع الأول (السبت 19 يوليوز سنة 1670 م) أخذ أهل إيليغ دار ملك علي أبي حسون ، ومات منهم بسفح الجبل نحو ألفين على ما قيل ، وفى سابع ربيع الأول قتل بفاس خليفة السلطان نحو ستين من أولاد جامع وعلقوا بالبرج الجديد لأجل قطع الطريق ، وفى جمادى الأخيرة خرجت سكة الفلوس الجديدة المدورة وجعل أربعة وعشرون منها فى الموزونة الرشيدية بعد أن كان لكل موزونة ثمانية وأربعون ، وبطلت الفلوس الاشقوبية المربعة ، وفى يوم الاثنين ثالث رجب (الأحد 16 نونبر سنة 1670 م) رجع مولاي الرشيد من حركة سوس ، وفى أوائل شعبان ابتدأ بناء

المدرسة التى بالشراطين من فاس المنسوبة لمولانا الرشيد بموضع دار عزوز ، وفى أواسط شعبان أمر المولى الرشيد ببناء قصبة بعرصة ابن صالح وديار لمتون والدكاكين ، وأعطي ألف مثقال لبناء سورها وأمر قواده ببناء الدور فيها ، وأمر شراقة ببناء قصبة الخميس وأعطى ألف دينار لبناء سورها ، وخرج لزيارة سيدى أبي يعزى نفعنا الله به رابع رمضان (الخميس 15 يناير سنة 1671 م) ثم إلى سلا ورجع لفاس ثامن وعشرين من رمضان (الأحد 8 يبراير سنة 1671 م)

ثم قال فى عام 1082 اثنين وثمانين وألف : فمنهم السلطان الجليل ، الماجد الأصيل ، محيي رسوم الدين ، وقاطع دابر المفسدين ، مفضال أهل البيت النبوي ، ومظهر الفخر الطاهر العلوي ، ليث الاقدام ، وبدر الظلام ، وشمس الأنام ، وظل الله للخاص والعام ، ورحمته للمسكين والضعيف ، مولانا الرشيد بن الشريف ، تقدم بعض ما يتعلق بعلي نسبهم الباهر ، وزكي فرعهم الطاهر ، فى ترجمة والده وأخيه ، كان سيدنا صاحب الترجمة من أهل المكارم التى لا تحصى ، والفضائل التى لا تعد ولا تستقصى ، ثم قال بعد إيراده كلام جده فى (الدر السني) فيه ما نصه : ولما مرَّ صاحب الترجمة بالموضع المسمى بالشط من الظهراء أمر بحفر آبار شتى وهي تدعى الآن بآبار السلطان، فهي مضافة له يسقى منها ركب الحجيج في مروره وإيابه ، فهي من مآثره تقبل الله منه، وكان على يديه هذا الفتح العظيم لِضَعَفَةِ المسلمين بل لجميعهم فى هذه المدة اليسيرة لما جُبل عليه من حسن السيرة ، إذ كان من السراة الغطارف ، ومن الأعجوبات فى الاقدام بين المراهف ، أحيى الله به رسوم الدين بعد دروسها ، وأنعم المساكين بعد شدة بؤسها ، وخاض أمواج الأهوال حتى أهمدها ، وقام فى نيران الفتن حتى أخمدها ، فيالَها من نهضة لله ما أحمدها تدارك الله به المغرب بما فيه من قوى وضعيف ، وأغنى به الوضيع والشريف ، وما زال بسيرته المباركة كريماً فاضلا زكي الأخلاق كاملا يتنازل على مقامه الرفيع ، فيجبر ظاهر المنخفض الوضيع ، ومن شيمه الجليلة ، ومنحه الجزيلة ، مجالسة العلماء وإكرامهم ، ومباسطتهم بين الملأ وإعظامهم ، ومع تحمله النهوض بأمر الخلافة حتى ألقت إليه زمامها فى مدة قليلة ، أبدى

مآثر في مصالح المسلمين جليلة ، كبناء المدرسة التى بحومة الشراطين من فاس ، وأتى على بنائها من الأساس ، فبالغ في إتقان صنعها ، وبذل المجهود في احسانها ، وتجديد ما اندثر من القنطرة البديعة المعتبرة التى لا يعرف في المغرب مثلها ، وقلما اتفق في معمور الأرض شكلها ، وهو أربعة قسي منها ؟ وهي على نهر سبو على نحو فرسخ من فاس ، وذكر الحافظ المقري في (نفح الطيب) أن عدد قسي نهر قرطبة سبعة عشر قوساً ، سعة كل قوس خمسون شبراً ، وبين كل قوس والقريب منه خمسون شبراً ، قلت وعدد قسي قنطرة سبو ثمانية وواحد صغير ، والكبيرمن أقواسها تماثل سعته الواحد من قسي قنطرة قرطبة أو أقل أو أزيد بتقريب ، ولما أكمل السلطان الرشيد قنطرة سبو بالبناء نقشت فيها أبيات من نظم العلامةالقاضي محمد المجاصي ومنها :

صاغ الخليفة ذا المجـــــاز ملـك الحقيقـة لا المجـــــاز

فوقع الاعتراض عليه بأن ملك الحقيقة هو الله تعالى لا غيره ، فكيف يطلقه على غيره ؟ وأجيب بأجوبة ، فمنها أن الحقيقة تنقسم إلى عقلية وشرعية ولغوية وعرفية ، فمعنى العقلية لا يكون إلا لله وفى غيره مستحيل ، فيحمل على إحدى الحقائق الباقية ، والأقرب منه حمله على الحقيقة العرفية ، بمعنى أنه لا يقال في العرف ملك حقيقة إلا له ، أما باعتبار الحاضرين في زمانه فلا إشكال ، وأما باعتبار مَن مضى فهي على طريق المبالغة وذلك سائغ في باب المدح ، والله الموفق .

ومن مزاياه العظيمة وعطاياه الفخيمة وفطره السليمة أنه كان حيثما دخل بلداً تعاهد مساجده ومدارسه وسأل عن مجالس إقراء العلماء به وعمن يحضرها وربما حضر مجلساً لبعض الكبراء ، فرأينا في بعض التقاييد أنه حضر مجلس الشيخ اليوسي ، وكان يدخل للمساجد بنفسه ودخل فاساً مرة على حين غفلة من أهلها فدخل للقرويين ، وتلك كانت عادته في دخولها ، ثم دخل المدرسة المصباحية فتعرض له الامام سيدى الحسن اليوسي مع فقيه آخر ، فأعطى لكل منهما مئة مثقال ، وما اجتمع مع علماء وقته إلا وحض في مجلس اجتماعه معهم على نشر العلم وإتقانه وتحقيقه وتعظيم طلبه ، وقد صادف ذلك

كل مرام، وأحيى الله نعم الغرب بعد الانعدام، لطلوع شموسه، على حين تغير من وجه الدهر وعبوسه ، فجاء المغرب على فترة من ملكه ، وأنقذه الله به من هلكه ، فأقبل الناس على التعلم والتعليم ، وعمرت أسواق للعلم قد عفت منذ قديم .

ولد رحمة الله عليه عام أربعين وألف ، وتوفي رحمه الله فى ليلة السبت الحادي‌عشر لذى الحجة سنة اثنثين وثمانين وألف (9 أبريل سنة 1672 م) قرب الفجر بمراكش ، ووصل خبر موته لفاس ليلة الأربعاء خامس عشر منه ، ولوفاته رحمه الله أشار سيدنا الجد رحمه الله بقوله :

وأما الرشيد بن الشريف إمامهـم   فشبّ له نصر بملك مكمــــــل

ووافت البيعة لأخيه السلطان المظفر مولاي إسماعيل يوم الأربعاء المذكور ، فوجه الجيوش من الغد للأقطار .

ولما احتضر السلطان صاحب الترجمة مولاي الرشيد سمعه بعض الأشراف من أقاربه يقول سبحانك يامَن لا يزول ملكه ، عبدك الرشيد زال ملكه ، ثم قال للبعض المذكور والله ما بقي فى خاطري إلا مسألة ، وهي أن بعضاً اخذت ماله ولا لي عليه شيء ، وآخر أعطيته إياه ولا له عليَّ شيء ، فذكره سعةَ رحمه الله وعفوه فقضى من حينه .

وكان سبب موته أن أصابتْه شجرة فى ركوبه ، فكان فى ذلك أجله ، فسبحان مَن له الانفراد بالدوام الذى جعل للناس أبلغ موعظة فى حوادث الأيام ، وهدى مَن شاء بالتوفيق والالهام .

وقال فى ترجمة الرئيس محمد الحاج الدلائي وحكي لنا أن المولى الرشيد لما قدم الزاوية بقصد الاستيلاء عليها لقيه صاحب الترجمة فقال له ما تريد ؟ فقال له الملك ! فقال له هو الآن فى محله ، فبايعه ودفع له مالا وأخرجه عنها المولى الرشيد بأهله وحشمه لتلمسان ، فتوفي بها رابع المحرم عشية يوم الخميس يعني من هذه السنة ، ودفن من الغد قريباً من ضريح الشيخ الامام السنوسي .

ثم قال ومن حوادث هذا العام أن بعث السلطان المولى الرشيد خيلا للجهاد نحو طنجة أول صفر ، وبعث خيلا لسوس وقائدها عبد الله أعراص وذلك يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الأولى ، وسافر لتافراطة للصيد يوم الاثنين قرب الزوال ، فسمع قيام ابن أخيه فدخل فاسا يوم السبت حادي عشر رمضان ضحوة ، وخرج من يومه عصراً فلقيه محبوساً بيد خدامه عند فنزارة فبعثه إلى فيلالة وسار إلى مراكش ، وبعث قائده زيدان لفاس يوم الأربعاء تاسع ذي القعدة ليأتي بالجيش ، فأتاه أهل سوس وغيرهم طائعين ، ولم يبق للحركة موقع بعد أن خرجت الأخبية لوادي فاس ، ثم توفي مولانا الرشيد وبويع أخوه مولانا إسماعيل كما تقدم .

ذكره فى (النشر) فى ترجمة مولاي الرشيد فى مواضع مفرقاً .

وقال في (المقصد الأحمد) وكذلك لما قدم السلطان مولاي الرشيد بن الشريف الحسني رحمه الله إلى فاس محاصراً لها حصاره الأول وذلك في محرم سنة ست وسبعين وألف صاح يعني الشيخ سيدى أحمد بن عبد الله معْن وهو جالس أمام شيخه يعنى سيدى قاسم بن الحاج قاسم الخصاصى بالزاوية أنه إذا جاء يضرب ، وضرب بيده إلى الأرض مجموعة ، فضرب كما قال برصاصة إزاء أذنه وحجر في صدره عند روضة سيدي الحسن الدراوي خارج باب الفتوح ، وولى عن فاس منكسر الشوكة ، ولما قدم ثانياً وذلك فى ذى القعدة من سنة ست وسبعين أيضاً قال وشيخه حاضر : إني لا ألقاه ، وإنّ رجليّ هذه المرة فاشلتان يريد أنه يغلب ، فكان له الظفر والغلبة ، ودخل فاس الجديد متسوراً عليها ليلا فما شعر أهلها إلا وهو بها مع جيشه واستولى على ملك فاس ثم على ملك المغرب بعدها ، ثم قال ومنها أن بعض الأشراف بفاس ممن لهم ظهور وقع بينه وبين السلطان مولاي الرشيد بن الشريف رحمه الله منافرة شديدة وعداوة وبغضاء لسبب يطول ذكره ، فذكر يوماً عنده فغضب غضباً مفرطاً ، وأقسم بالله ليقتلنه ، وكان شديد الشكيمة ماضي العزيمة إذا قال فعل ، كأنما القدر يجري على لسانه ، فسمع بحلفه الشريف ففزع فزعاً عظيماً ، وخاف خوفاً شديداً ، لما يعلم من بطشه وفتكه وبغضه إيــاه

وضاقت عليه الأرض بما رحبت فلجأ من فوره إلى سيدنا أحمد رضي الله عنه وجاءه مستغيثاً ، فلما أشرف عليه تلقاه ورحب به وسأله الخ .

ذكر المترجم في (النزهة) و (الدر السني) و (السر الظاهر) و (الروضة السليمانية) و (التقاط الدرر) و (نشر المثاني) و (الاشراف) و (رياض الورد) و (نصرة العترة الطاهرة) وغيرها .

441) الرشيد بن عبد السلام الغالبي الادريسي

الرشيد بن العلامة الأصولي سيدى عبد السلام بن الطايع بن حمو بن السعيد بن حمو الادريسي الغالبي ، أبو غالب ، الفقيه المحدث الواعظ ، كان رحمه الله وقوراً مهيباً صموتاً خيراً صالحاً من أهل العلم والفضل والديانة والحفظ ، كان يحفظ (نفح الطيب) للمقري ، و (الاحاطة) لابن الخطيب ، عدلا بسماط القرويين مورقاً به ومدرساً ، ووقعت بينه وبين نظار القرويين منازعة في بعض المنفذات له ، فتوجه لمراكش عام أربعة وثلاثمئة وألف بقصد الشكاية بهم للسلطان ، فكانت فيها منيته وبها أقبر في السنة المذكورة ، وهو والد الشاعر المجذوب مولاي محمد رحمهما الله .

442) الرشيد بن أمير المومنين مولانا عبد الرحمان العلوي ، كان رحمه الله جليل القدر عظيم الخطر منشرح الصدر نافذ الأمر ، عالماً عاملا فاضلا تقياً نقياً مهذباً أديبا حسن الأخلاق .

أخذ بمراكش عن مؤدبيه واخوته ، منهم العلامة السيد علي المسفيوي، والفقيه ابن عزوز ، ومولاي أحمد بوغربال ، والفقيه السيد أحمد بن مبارك وغيرهم ، واستوطن رباط الفتح وبها توفي في العشرة الأولى من هذه المئة (الرابعة عشرة) .

حـرف الزاى

443) **زمور بن يعلى الهزوجي** من جيرون بتناسا ، كان عبداً صالحاً نهاية فى الفضل ، أصله من كساطت من بلد هزرْجة ، وأقام مدة برباط تانورت انطبير من دكالة ، ثم قدم الى مراكش واستقر أخيراً بكساطت وبها مات سنة خمس وخمسين وخمسمئة ، ولما مات همت القبائل بالتفاني عليه ، فكل قبيلة قالت انما ندفنه عندنا لننال بركته .

وحدثوا عنه أنه كان بدكالة فحضر صلاة العيد بالمصلى ، فلما أرادوا أن يصلوا اختلفوا فى القبلة اختلافاً كثيراً ، فقام مغلوباً من بينهم وقال ياهؤلاء العميان هذه القبلة ، أما تشاهدون الكعبة فى هذه الجهة هاهي تتلاعب الرياح بأستارها فتساقط عليه الناس واحتفوا به فغاب من بينهم وعاد الى بلده :

سرى من ربا نجد شذا عرف رياها ... فأحيا قلوب العاشقين وحياهـا
وذكّرها تلك العهود التى مضت ... على أنها محفوظة ليس تنساهـا
وروح أرواح المحبين روحهـا ... فتاهت بهم وجداً ووجداً بهم تاها
وهاموا فهامت عند ذاك رحالهـم ... ترى علمتْ ما فى حشاهم حشاياها
فيا سائقَ الأظعان مهلا فانهـا ... بها من عظيم الشوق ما عند أغناها
تراءت لهم من جانب الطور نـاره ... فطارت فلم يدر السرى أين مسراها
حنيناً الى تلك الديار لأنهـا ... متيمة تهوى الديار وتهواهـا
ألم ترها مدت اليك رقابَهـا ... وتدمى أماقيها وتذرف عيناهـا
طواها السرى طيَّ السِّجِلِّ كتابه ... فعادت حروفاً تقرىء الغير معناها

ترجمه في (التشوف) .

444) **زهر بن عبد الملك ابن زهر الأيادي**

زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر الأيادي ، أبو العلاء ، كان طبيباً ماهراً يكفيه النظر إلى قارورة البول ولمس النبض ليعرف الداء الذى يشكو منه المريض ، وكان طبيب يوسف بن تاشفين ، وقبله كان طبيب

المعتمد ابن عباد ، ذكر في (المعجب) أنه طببه بعد مرضه بأغمات ، ثم لما مات يوسف بقي طبيباً لولده علي واستوزره فطعن فيه عنده كاتبه الفتح بن خاقان كما في (نفح الطيب) ، ثم توفي سنة 525 ودفن باشبيلية ، كان شاعراً ذا قريحة ولسان طلق ، وألف لولده أبي مروان تأليفاً سماه بـ (التذكرة) ، جمع فيه النكت الطيبة التي عثر عليها ليعلم الأدوية والأمراض الموجودة بمراكش ، وبين أن ركود الماء بمنابع المدينة هو سبب مرض الزحار ، وأن الهواء الجاف بمراكش يورث السعال ، ووجع الكبد يُرى فيها كثيراً يعقبه داء اليرقان ، وكذلك داء الحصى موجود بكثرة بمراكش ، وبعد موته طلب علي بن يوسف الملاحظات الطيبة التي وضعها المترجم فجمعت وسميت بـ (المجربات) ، توجد منها نسخة في خزانة الاسكوريال تحت عدد 844 .

وكتب في أمراض الكلي كتاباً طبعت ترجمته باللاتينية سنة 1497 م ، وله كتاب في الخواص يوجد في پاريس ونقل منه ابن البيطار (1) .

أما والده عبد الملك فقال فيه في (الذيل والتكملة) ما لفظه : عبد الملك بن محمد بن مروان ابن زهر الأيادي إشبيلي ثم داني، أبو مروان، وقد تقدم رفع نسبه في رسم ابنه زهر، روى بالأندلس عن طائفة من أهلها، ورحل وحج ودخل القيروان ومصر، وأقام في رحلته طويلا ثم قفل الى الأندلس فاستوطن دانية، روى عنه ابنه أبو العلاء، وكان فقيهاً حافظاً . . . ذاكراً متفنناً في معارف ماهراً في الطب تعلمه في رحلته عند رؤساء أهله حتى برع فيه وشهر به وأورثه عقبه ، متقدماً في التعاليم ، وجلب من المشرق دواوين من فنون العلم على تفاريقها . . . فهو أول من أدخله الأندلس ، وتوفي بدانية ودفن بازاء الجامع القديم مع قبر أبي الوليد .

وستاتي ترجمة حفيده سميه عبد الملك بن زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان ابن زهر .

---

1) كتب المؤلف بعد هذا هذه العبارة : يكتب تمام ترجمته من ص 1739 من دائرة المعارف العدد 3 وراجع ص 74 ج 4 من الشذرات ؛ وراجع ص 131 من شجرة النور الزكية ؛ وراجع ص 166 من ج 1 من نفح الطيب ؛ وراجع ص 259 منه .

445) زهراء بنت الولي الصالح سيدي عبد الله بن مسعود الكوش ، السيدة الفاضلة ، كانت من أهل القدم الراسخ في العرفان ، ومن أهل الولاية الظاهرة ، أخذت عن أبيها المذكور ، ولم تتزوج قط ، وذكر جمالها للسلطان زيدان بن أحمد المنصور الذهبي فهمّ بها فظهر له من بركتها ما صرفه عنها والحكاية بذلك شهيرة .

توفيت رحمة الله عليها بعد العشرين والألف ، وضريحها بحومة الكتبيين .

ذكرها في الصفوة وطبقات الحضيكي .

وحدثني من وقع له ما يذكر معها رضي الله تعالى عنه أنه لما كانت النساء مجتمعات في موسمها الذى يعملنه في زاويتها بحومة الكتبيين ولِصَبَا الحاكي إذ ذاك أراد أن ينظر إلى النسوة المذكورة ولم يجد سبيلا إلى ذلك إلا بأن التحف لحفة النساء ودخل الزاوية المذكورة ، فلما دخل عمي وصار لا يرى شيئاً ، فرجع ناكصاً على عقبه في الحال ، وتاب من ذلك ورجع له بصره واعتقد كمالها ، وقد كان من سكان الحومة المذكورة وهو يناهز الستين عفا الله تعالى عنا وعنه ، وذكر في باب الاخلاص من (الاحياء) ما نصه : وقيل كان رجل يخرج في زيّ النساء ويحضر كل موضع يجتمع فيه النساء من عرس أو مأتم ، فاتفق أن حضر يوماً موضعاً فيه مجمع النساء فسرقت درة فصاحوا أن غلقوا الباب حتى تفتش النساء ، فكانوا يفتشون واحدة حتى بلغت النوبة الى الرجل والى امرأة معه ، فدعا الله تعالى بالاخلاص وقال ان نجوت من هذه الفضيحة أعود الى مثل هذا ، فوجدت الدرة مع تلك المرأة فصاحوا أن أطلقوا الحرة فقد وجدت الدرة .

446) زهراء السوسية ، نزيلة مراكش الشابة الجميلة ، ولدت في مراكش في العشرة الأولى من هذه المئة ، وأخبرت بمغيبات ، وصدرت منها اشارات بان صدقها كما يبين الصبح لذي عينين ، منها أنه لما سافر المولى حسن عام 1311 من مراكش السفر الذي مات فيه صارت تغلق أبواب أسواق

مراكش وتنادى جهاراً بموته وتفتل في التراب كأنها تفتل الكسكسون وتقول لهم ان ذاك عزاؤه ، فبعد ذلك ورد الخبر على مراكش بنعيه رحمه الله أواخر سنة 1311 ، فلما ظهر أمرها خفيت ولم يعثر لها على خبر بعد ، لقيتها مرات نفعنا الله بأهل خصوصيته ، ثم أخبرت أنها توفيت بعد ذلك بقريب نفع الله بها .

447) **زيدان بن أحمد المنصور الذهبي السعدي** ، لما توفي والده المنصور وفرغ الناس من دفنه اجتمع أهل الحل والعقد من أعيان فاس وكبرائها وجمهور من جيش المنصور على بيعة ولده زيدان ، وقالوا ان المنصور استخلفه في حياته ومات في حجره، وكان ممن تصدى لذلك القاضيان قاضي الجماعة بفاس أبو القاسم بن أبي النعيم والقاضي علي بن عمران السلاسي ، والأستاذ محمد الشاوي والشيخ النظار محمد بن قاسم القصار وغيرهم ، ويحكى أن القاضي ابن أبي النعيم قام في الناس خطيباً وقال : أما بعد السلام عليكم ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات اجتمع الناس على أبي بكر رضي الله عنه ، ونحن قد مات مولانا أحمد ، وهذا ولده مولانا زيدان أولى بالملك من اخوته ، فبايعه الحاضرون يوم الاثنين السادس عشر من ربيع الأول سنة اثنتي عشرة وألف (25 غشت سنة 1603 م) ، قالوا وكان زيدان لما توفي والده كتم موته وبعث جماعة للقبض على أخيه الشيخ المسجون بمكناسة ، فمنعهم من ذلك الباشا جؤذر كبير جيش الأندلس ، وحمل الشيخ موثقاً الى مراكش حتى دفعه الى أخيه أبي فارس وكان شقيقاً له ،فلم يزل مسجوناً عنده إلى أن كان من أمره ما سيأتي في ترجمته في المحمدين والله تعالى أعلم .

ثم ان أهل مراكش انحرفوا عن طاعة زيدان وبايعوا أبا فارس ، فنهض السلطان زيدان لحربه وانهزم بأم الربيع وفر الى تلمسان فأقام بها مدة ، وكان قد بعث الى ترك الجزائر يستمدهم ويستعديهم على أخويه فأبطأوا عليه وطال عليه انتظارهم ، فلما يئس منهم توجه الى سجلماسة فدخلها من غير قتال ولا محاربة ، ثم انتقل عنها الى درعة ومنها السوس ، فكتب اليه أهل مراكش وقد ندموا على ما فرطوا فيه من أمره والدخول في طاعته ،

فكتبوا اليه أن يأتيهم ولو وحده ، فتوجه اليهم ودخل عليهم ليلا فلم يفجأ عبد الله بن الشيخ الا نداء أهل مراكش بنصر السلطان زيدان وتحزبوا معه وتقدموا إلى قائدهم عبد الله أعراص الذى ولاه عليهم الشيخ فقتلوه ، وخرج عبد الله فاراً بجموعه من أهل فاس والغرب ، فحاصرهم أهل مراكش بين الأسواق والجنات وقتلوا من أصحاب عبد الله بموضع يعرف بجنان بكار نحو الخمسة آلاف وخمسمئة ، وأمر زيدان بقتل كل من تخلف عن عبد الله من جيشه ، فأتى القتل على كل من وجد بمراكش من جيش أهل فاس ، وذلك فى أواخر سنة خمس عشرة وألف ، وفر عبد الله بن الشيخ ناجياً بنفسه حتى قدم على أبيه بفاس فى أسوإ الحالات مفلول العساكر مهزوم الجموع ، معتاضاً من جيش النصر بجيش الدموع ، ثم عاد عبد الله بن الشيخ الى مراكش واستولى عليها وطرد زيدان منها سنة 1016 ، ثم استولى السلطان زيدان على فاس وفر الشيخ ابن أحمد المنصور عنها الى العرائش ، ثم الى طاغية الاصبنيول ، ثم عاد عبد الله بن الشيخ الى فاس واستولى عليها وقتل مصطفى باشا رحمه الله سنة 1018 ، ثم عاد السلطان زيدان الى فاس واستولى عليها ثم أعرض عنها سائر أيامه ، ثم ان أحمد بن أبى مَحَلّي نهض إلى سجلماسة ودرعة واستولى عليهما ثم استولى على مراكش بعدهما سنة (1022) ؟ استصرخ زيدان إلى مراكش .

قال في (الاستقصا) : قد ذكر المؤرخ لوزير البرتغالي فى كتابه الموضوع فى أخبار الجديدة شيئاً من أخبار السلطان زيدان رحمه الله فقال : كان السلطان زيدان صاحب مراكش مسالماً لنا كافا عن حربنا ، وكانت القبائل تفتات عليه فى غزونا فكانت غاراتهم لا تنقطع عنا ، وكان هو أيضا معهم فى شدة ومكابدة من أجل اعوجاجهم عليه ، ثم ذكر أن من جملة مَن غزاهم فى دولته السيد سعيد الدكالي قلت وأظنه والد السيد اسماعيل صاحب الزاوية المشهورة ببلاد دكالة ، قال فنهض سعيد بحال غيرة وامتعاض للاسلام وسار إلى الجبل الأخضر وغيره فجمع من الجموع نحو اثني عشر ألفاً وزحف بهم الى الجديدة ووافقه على ذلك قائد أزمور وبعض أشياخ الشاوية

وكانوا فى نحو مئتين وخمسين من الخيل ، وارتاع النصارى منه وخافوا خوفاً شديدا ، وأمرهم قائدهم بالجد فى حراسة الأسوار والانقاب وأن يشدوا باب الجديدة ولا يفتحوا منه الا خوخته (I) . وحاصرهم المسلمون ثلاثاً ثم قضي الله بوفاة السيد سعيد فافترق ذلك الجمع ، قال لويز مات أسفاً على ما فاتـه من الفتك بالنصارى كما يجب .

وفى سنة أربع وثلاثين وألف خرج السلطان زيدان من مراكش وقصد ناحية أزمور ، ولما انتهى الى موضع معروف بأم غرس من بلاد دكالة حمل اليه نصارى الجديدة هدية نفيسة ، ثم قدم ثغر أزمور في نحو أربعين ألفاً من الخيل على ما زعم لويز ، ودخل البلد وأخرج أهل أزمور عدة مدافع من البارود فرحاً به ، ولما سمع نصارى الجديدة بذلك أخرجوا مدافعهم أيضاً فرحـاً بالسلطان وأدباً معه .

وفى سنة ست وثلاثين وألف ثار على السلطان زيدان الفقير ابراهيم كانوت هكذا سماه لويز ، ولم أدر من هو ، قال وفي خامس عشر دجنبر من السنة تواقف جيش الثائر المذكور مع جيش السلطان للحرب ببلاد دكالة ، كانوت هكذا سماه لويز ، ولم أدر من هو ، قال وفي خامس عشر دجنبر من عبد الملك ، فانهزم ابراهيم وقتل جماعة كثيرة من أصحابه ، وقبض على ولده ، فبعثه السلطان مع عدد وافر من رؤوس أصحابه الى مراكش ، وأخرج نصارى الجديدة مدافع أيضاً فرحاً بهذا الخبر ، فبعث اليهم السلطان زيدان بفرس أحمر لقائدهم اكراما له ، وكتب اليهم بكتاب تاريخه سادس رمضان سنة ست وثلاثين وألف مكافأة لهم على أدبهم معه .

انتهى كـلام لويـز .

وقال اليفرني رحمه الله : كان السلطان زيدان من لدن مات أبوه أحمد المنصور وبويع بفاس فى محاربة مع اخوته وأبنائهم ومقاتلة مع القائمين عليه من الثوار الذين تقدم ذكر بعضهم ، ولم يخل قط فى سنة من سني دولته

I) الخوخة باب صغير وسط باب كبير ؛ وهي من العامي الفصيح .

من هزيمة عليه أو وقيعة بأصحابه ، ووقعت بينه وبين اخوته معارك يشيب لها الوليد ، وكان ذلك سبب خلاء المغرب وخصوصاً مدينة مراكش ، ومما عُدَّ من نحس زيدان واستدل به على فشل ريحه أنه بعث فى بعض الوقائع كاتبه عبد العزيز، ومحمد التغلبي بعشرة قناطير من الذهب الى صاحب القسطنطينية العظمى ، وطلب منه أن يمده ببعض أجناده كما فعل مع عمه عبد الملك الغازي، فجهز له السلطان العثماني اثني عشر ألفاً من جيش الترك وركبوا البحر ، فلما توسطوه غرقوا جميعاً ولم ينج منهم الا غراب واحد فيه شرذمة قليلة .

وقال منويل : إن قراصين الاصبنيول غنمت في بعض الأيام مركباً للسلطان زيدان فيه أثاث نفيس من جملتها ثلاثون ألف سفر من كتب الدين والأدب والفلسفة وغير ذلك (1) .

قال اليفرني وكان زيدان غير متوقف فى الدماء ، ولا يبالي بالعظائم ، قلت وهو مخالف لما ذكره زيدان فى رسالته التى خاطب بها أبا زكرياء الآتية ترجمته فى حرف الياء من أنه ما سعى فى قتل أحد الا بفتوى أهل العلم ، والظن بزيدان أنه ما قال ذلك الا عن صدق ، والا فمن البعيد أن يفخر على خصمه ويدلي بشيء هو متصف بضده ، وكان زيدان فقيهاً مشاركا فــي العلوم ، وله تفسير على القرءان العظيم أعتمد فيه على ابن عطية والزمخشري، قال اليفرني وكان كثير المراء والجدال، كما وقع له مع الشيخ أحمد الصومعي (2) .

قلت الذى وقع له مع الصومعي هو أنه لما ألف كتابه الموضوع فى مناقب الشيخ أبى يعزى رضي الله عنه وسماه المعزى بضم الميم وفتح الزاي بصيغة اسم المفعول من الرباعي عارضه زيدان وهو يومئذ بتادلة والياً عليها من قبل أبيه بأنه لم يسمع الرباعي من هذه المادة ، وإنما قالت العرب عزاه يعزوه ثلاثياً ، فأصر الصومعي رحمه الله على رأيه الى أن لطمه زيدان على رجهه بالنعل ،

---

1) هذه الكتب هى أصل مكتبة الاسكوريال الموجودة قرب مدريد .

2) انظر الحكاية فى ترجمة أحمد بن أبى القاسم الشعبى الهروى الزمرانى الصومعى فى 2 : 280 ع 219 من هذا الكتاب .

فشكاه الى أبيه أحمد المنصور ، فقال له لو لطمك وهو المخطيء لعاقبته ، أما اذا كان الصواب معه فلا ، قلت كان زيدان يومئذ فى عنفوان الشبيبة فصدر منه ما صدر :

فان يكن عامر قد قال جهـــلا فان مظنة الجهل الشبـــاب

ومع ذلك ما كان من حقه أن يفعل ، وأظن أن انتكاس رايته سائر أيامه إنما هو من آثار تلك اللطمة ، فان لله تعالى غيرة على المنتسبين إلى جنابه العظيم وان كانوا مقصرين فنسأله سبحانه أن يجنبنا موارد الشقاء ، ويسلك بنا مسالك الرفق فى القضاء .

وللسلطان زيدان شعر لا بأس به منه قوله :

فتنتنا سوالف وخـــدود وعيون مدعجات رقـــود
ووجوه تبارك الله فيهـــا وشعور على المناكب ســود
أهلكتنا الملاح وهي ظبـــاء وخضعنا لها ونحن أســود

وقوله عفا الله عنه :

مررت بقبر هامد وسط روضـــة عليه من النوار مثل النمـــارق
فقلت لمن هذا ؟ فقالوا بذلـــة ترحم عليه إنه قبر عاشـــق !

وكانت وفاته رحمه الله فى محرم فاتح سنة سبع وثلاثين وألف ، ودفن بجانب قبر أبيه من قبور الأشراف قبلي جامع المنصور من قصبة مراكش، ومما نقش على رخامة قبره قول القائل :

هذا ضريح من بـــه تفتخـــر المفـــاخـــر
زيدان سبط أحمـــد مبتكر المآثـــر
حامي حمى الدين بكـــل ذابل وباتـــر
أجل من خاض الوغـــا وللأعادي قاهـــر
لا زال صوب رحمة اللـــه عليه ماطـــر

ومن شذا رضوانـــــــه	نفحة كل عاطـــــــر
أرخ وفاةَ مَن غـــــدا!	جاراً لرب غافـــــر
بمقعد الصدق عـــــلا	أبو المعالى الناصـــــر

ووزراؤه الباشا محمود ، ويحيى أجانا الوريكي وغيرهما ، وكتابه عبد العزيز الفشتالي كاتب أبيه ، ومحمد بن عبد العزيز التغلبي وغيرهما ، وقضاته محمد الركراكي وغيره ، وترك عدة أولاد ، منهم عبد المالك والوليد ومحمد الشيخ ، وهؤلاء ولوا الأمر بعده ، وأحمد وغيرهم ، رحم الله الجميع ، وفيه ألف قاسم ابن القاضي أنوار الزمان ، فى قدوم مولانا زيدان (1) .

448) **زيدان بن مولاي إسماعيل العلوي** ، بعثه والده سنة 1013 إلى فاس ، ولما ثار المولى مَحمد أخوه ببلاد سوس ودعا لنفسه وزحف إلى مراكش فحاصرها فى رمضان من السنة المذكورة وفى العشرين من شوال اقتحمها عنوة بالسيف فقتل ونهب ، ولما اتصل خبره بالسلطان بعث ولده المولى زيدان فى العساكر لقتاله ، فقدم مراكش ، فصادف المولى محمد قد خرج عنها وعاد إلى رودانة ، ولما احتل المولى زيدان بمراكش عاثت عساكره فيها ثم تبع أخاه المولى محمد العالم إلى السوس فنزل على رودانة واتصلت الحرب بينهما ، وفى الحادي والعشرين من صفر سنة ست عشرة ومئة وألف ورد الخبر باستيلاء المولى زيدان على رودانة وقبضه على أخيه المولى محمد العالم بعد محاربته ثلاث سنين هلك فيها أمم وقواد ورؤساء وأعيان يطول ذكرهم ، ولما دخلها المولى زيدان عنوة قتل جميع مَن بها حتى النساء والصبيان ، هكـذا فى (البستـان) .

ولما دخلت سنة سبع عشرة ومئة وألف ورد الخبر بموت المولى زيدان برودانة وحمل فى تابوت إلى مكناسة فدفن ليلا بجنب أخيه مولاي محمد العالم ، وهذا خطأ فانه واخى بينه وبين أخيه مولاي أحمد الذهبي أبوهمـا السلطان مولاي إسماعيل سنة سبع وثلاثين فى منتصف رمضان ، وعقـد المحالفة والمواخاة يوجد بالمكتبة الزيدانية .

---

1) **الاستقصا** 6 : 3 طبع الدار البيضاء .

449) **زين العابدين بن المولى إسماعيل العلوي الحسني**، أمير المومنين، كان ابتداء أمر السلطان المولى زين العابدين أنه قدم مكناسة في أيام أخيه المستضيء، فلما سمع به أمر بسجنه قبل أن يجتمع به ، فسجن مدة ثم أمر يوماً باخراجه وضربه ، فضُرب وهو في قيده ضرباً وجيعاً أشرف منه على الموت ، ومع ذلك فلم ينطق بكلمة ، ثم رده إلى السجن ، ثم أمر ببعثه مقيداً إلى سجلماسة كي يسجن بها مع بعض الأشراف المسجونين هناك ، فلما سمع بذلك قواد رؤسهم (I) من العبيد بعثوا مَن رده من صفرو إلى فاس ، وهناك بعثوا به إلى القائد أحمد الكعيدي ببني يازغة وأمروه أن يحتفظ به مكرماً مبجلا ، ثم لما فرّ المولى المستضيء عن مكناسة وراجع العبيد طاعة السلطان المولى عبد الله دخل المولى زين العابدين مدينة فاس فاطمأنّ بها وسُرّ بولاية المولى عبد الله وخلع المولى المستضيء ، ثم ذهب إلى مكناسة فأقام بها مدة ثم سار إلى طنجة فقدم على صاحبها الباشا أحمد بن علي الريفي فأكرم وفادته وأحسن مثواه ، واستمرّ مقيماً عنده إلى أن كاتب عبيد الديوان في شأنه ووافقوه في بيعته ، فبايعه الباشا أحمد وبايعه أهل طنجة وتطاوين والفحص والجبال وخطبوا به على منابرهم ، ثم هيأ له الباشا أحمد كتيبة من الخيل من عبيد الديوان وغيرهم وبعثهم معه إلى مكناسة فدخلها في ربيع سنة أربع وخمسين ومئة وألف ، وبويع بها البيعة العامة ، وقدمت عليه وفود القبائل والأنصار فقابلهم بما يجب وتم أمره ، ففر السلطان المولى عبد الله من رأس الماء ودخل بلاد البربر ، ولم يقدم على المولى زين العابدين أحد من الودايا ولا من أهل فاس ، وكان فيه أناة وحلم لم يظهر منه عسف ولا امتدت يده إلى مال أحد ، إلا أنه لقلة ذات يده نقص العبيد من راتبهم فكان ذلك سبب انحرافهم عنه كما سياتي .

ولما استقر السلطان المولى زين العابدين بحضرة مكناسة وتم أمره أقام نحو العشرين يوماً ثم تهيأ لغزو الودايا وأهل فاس الذين تخلفوا عن بيعته ، فقبض عليهم في جيش العبيد منتصف جمادى الأولى سنة أربع وخمسين ومئة

I) عبارة عامية معناها الضباط أو المتصرفون الاداريون الذين يتولون الوظائف استقلالا ويباشرون الأعمال استبداداً من غير رجوع الى سلطة عليا شرعية ؛ مفرده قائد راسو .

وألف ، ولما بات جيشهم بسيدى عميرة بقصد حصار فاس اختلفت كلمة العبيد ، ومن الغد قوضوا أبنيتهم وارتحلوا إلى مكناسة وكفى الله الودايا وأهل فاس شرهم ، لأنهم حرقوا بيادر الزرع التى كانت للودايا بالخميس ، ولما وصلوا إلى مكناسة نهبوا ثمار جناتها وأفسدوا ما قدروا عليه منها ، وانصرف جمهورهم إلى مشرع الرملة ، والذين دخلوا مكناسة مع السلطان طالبوه فى الراتب وشددوا فى اقتضائه ، فلم يكن عنده ما يرضيهم به فشغبوا عليه ومرضوا فى طاعته ، هذا والسلطان المولى عبد الله مقيم في جبال البربر ومطل على الحضرة ومتحفز للوثبة ،فلما علم بما فيه المولى زين العابدين من الاضطراب نزل من الجبل وتقدم حتى دخل فاس الجديد وذلك فى سادس عشر جمادى الأخيرة من السنة ، فلقيه الودايا وأهل فاس واهتزوا لمقدمه وطاروا به سروراً ، ثم خرج من يومه إلى دار الدبيبغ فاحتلّ بها ، ولما اتصل خبره بأخيه المولى زين العابدين ضاق ذرعه وخشعت نفسه وأصبح غادياً من مكناسة إلى حيث يامن على نفسه معرضاً عن الملك وأسبابه ، وكان ذلك آخر العهد به إلى أن توفي رحمه الله (1) .

450) **زينب بنت الخليفة يوسف بن عبد المومن بن علي** ، تزوجها ابن عمها عبد الرحمان بن عمر بن عبد المومن ، أخذت عن أبي عبد الله بن ابراهيم علم الكلام وغير ذلك ، وكانت عالمة صائبة الرأي فاضلة .

ذكرها في (التكملة) .

حرف الطاء

451) **الطالب أحمد المصطفى ابن طوير الجنة الصحراوى التشيتي** ، رحل للحج سابع جمادى الأولى عام 1245 ، وتلاقى بمراكش بمولاي عبد الرحمان سلطان المغرب ، وتلاقى بسيدي التهامى الأوبيري وأنزله السلطان بجامع الولي القطب سيدي ميمون الصحراوي ، وزار رجال أغمات ، وأصله

---

1) الترجمة كلها منقولة بالحرف من **الاستقصا** 7 : 154 ومن غير تعديل مناسب .

منها ، لأن جده السابع قدم منها ، ولقي سيدي محمد الفران وأضافه باللبن والخبز والادام ! وكتب السلطان لقائده بالعرائش ليركبه من العرائش إلى الاسكندرية ، ومن تأليفه (فيض المنَّان ، فى الرد على مبتدعة هذا الزمان) ، وشيخه هو سيدي عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوي ، وزار فى الاسكندرية المرسي والبوصيري وابن الحاجب ، وسيدى عبد الله المغاوري ، وزار بمصر الشيخ خليل وشيخه سيدي عبد الله المنوفي وسيدي عبد الباقي الزرقانى وسيدى محمد الخرشي والامام الشافعي ، وسافر من سويس الى ينبع البحر بقصد تقديم الزيارة ومكث فى المدينة سبعة أيام ، ومنها سافر لمكة فوصلها سادس ذى الحجة ، وخرج من مكة فى الثانى أو الثالث والعشرين من حجة ، ورجع الى المدينة المنورة ، فمكث بها 17 يوماً ، ولما وصل الى طرابلس الغرب لقي من علمائها قاضيها البنغازي ، ومن طرابلس ركب البحر الى صفاقس ومر بجزيرة جربة وزار بصفاقس الامام اللخمي وبسوسة الامام عبد عبد الحميد الصائغ ، وزار رجال المنستير الامام المازري وابن يونس وابن السراج ، وزار أبا زمعة البلوي بالقيروان وابن أبي زيد ، ومكث فى تونس ستة أشهر ينتظر سفينة إلى جبل طارق أو طنجة ، ولم يرد أن يمر على الجزائر لكون الأعراب يقطعون الطريق ، وزار سيدى محرز بن خلف ابن خالة سيدي عبد الله بن أبي زيد ، ثم خرج من تونس آخر يوم من جمادى الأولى فى البحر قاصدا الجزائر، فردتهم الريح لبجاية ، وبها لقي الولي الصالح سيدي محمد بن عبد الوهاب الادريسي وأنشده شيخه العلوي :

من سارروه فأبدى السر مشتهراً ... لم يأمنوه على الأسرار ما عاشـــا
وباعدوه ولم يحظ بقربهـــــم ... وأبدلوه مكان الأنس إيحاشـــــا

ومن هناك أركبه الفرنسيس فى مركب حربي هو ومن معه بعد أن بقوا فى الكرنتينة (1) عشرة أيام ، وأركبوهم فى القامرة ومانوهم الى أن وصلوا جبل طارق فاستدعاهم الحاكم هناك وضافوهم ، ثم ذهبوا إلى طنجة ،

1) مدة الحجز الصحى للمصابين بالوباء أو من يظن أنهم مصابون به ؛ وكانت المدة فى الأصل أربعين يوماً كما يدل عليه اللفظ العجمي ؛ ويقلب المغاربة نونها لاماً : كرنتيلة .

وهناك نزلوا من المركب المذكور ، ثم ذهب إلى مراكش ثم فاس ، ونزل في مقصورة القرويين ، واشترى هناك نفائس من الكتب بواسطة السلطان مولاي عبد الرحمان ، ثم ان السلطان المذكور أدخله على أهله زوجاته وبناته وجواريه ليتبركن به ، ثم سافر للصويرة ، ومنها سافر هلال صفر عام 1250 ، ذكر أنه لازم شيخه العلوي اثنين وعشرين عاماً ، أخذ عنه علومه كلها التى أخذها بفاس عن شيخه الشيخ بناني والتاودى .

انتهى من كتابه رحلته المسماة (رحلة المنى والمنة ، لجامعها ومنشئها الطالب أحمد المصطفى بن طوير الجنة) ، وممن أخذ عن المترجم وأجازه المسند الشريف سيدى محمد التهامى بن المكي بن عبد السلام ابن رحمون ، وله السراج في الحذف في رسم القرءان ، وهذا غير أحمد الأخير المتوفي عام 1318 هـ .

452) **الطالب بن أحمد بن التاودي ابن سودة** الفقيه البركة المسن الأحفل المجتني من بحر العلوم أنفس المطالب ، قال فى (السلوة) : ربي رحمه الله فى حجر أبيه منظوراً إليه بعين الرعاية من جده ، لا يكاد يسلو عنه فى وقت من الأوقات ، وقرأ القرآن قراءة تجويد وإتقان ، ثم أخذ فى تعلم العلوم على أبيه وجده ، فقرأ على أبيه مقدمة ابن أجروم والألفية وغيرها من كتب الوسائل المتداولة ، وسمع عليه صحيح البخاري مرتين ، وقرأ عليه مختصر خليل مرتين أو ثلاثاً ، ورجز ابن عاصم ، وسمع على جده جملة من تفسير القرآن العزيز وصحيح البخاري مرتين أو ثلاثاً ، ومختصر خليل وغير ذلك ، وحصلت له رحمه الله ملكة التدريس ، لكنه حصل له من اليسار ما شغله عنه ولم يجلس إلا قليلا ولم يحصل به كثير النفع ، وكان بعيد الساحة من كل ما يُخل بالمروءة كثير الأذكار آناء الليل وأطراف النهار ، كريم المعاشرة، جميل المباشرة ، رفيع القدر ، سالم الصدر ، نزيهاً صيناً ليناً خيراً دينا ، لا يقف به علوُ الهمم فى مواقف التهم ، ظاهر الانصاف ، واسع الاسعاف ، نزيه النفس عما لا يعني ، كثير السعي لما يعني من أسباب الدنيا والآخرة ، بجوارحه الباطنة والظاهرة .

ترجمه صاحب (الروضة المقصودة) إلا أنه لم يذكر وفاته فيه لكونه تأخَّر بعده كثيراً ، وكانت وفاته سنة اثنتين وخمسين ومئتين وألف ، ودفن بزاوية جده المذكور قريباً من محرابها ، يتصل رأسه برجلي والده أحمد ، فقد رأيت أبياتاً مكتوبة قبالة وجه ضريحه من إنشاء ولده الفقيه الأديب البارع الخطيب سيدى جعفر رثاه بها ورمز فيها تاريخ وفاته نصها :

إن يوم الفراق يوم طويـــــل	فيه ذقنا كؤوس صاب وصبـــر
فتذرع إذا فقدتَ خليــــــلا	وتضرع لدى الرزايـــا بصبـــر
قد قضى نحبه وراح لــــروح	وحباه الالاه أجـزل صبـــــر
قد قضى نحبه وراح لــــروح	في نعيم يبقى وبشرى وبشـــر
فهو في روضة الجنان مقيـــم	مرتد برداء سندس خضـــر
في سرير السرور ضاجع حـوراً !	قصرت في قصور نظم ونثـــر
والسعادة أرخت في وفـــاة	لاح وراء الرضا وفاح بنشـــر
فسقى قبره سحائب رحمــــى	ما تباهت آيات سحر بشعـــر

وقد كان ولده المذكور شاعراً مجيداً خطيباً بليغاً يخطب بجامع الأندلس من فاس وأخذ عن أبيه وجده أحمد ، توفي بالطاعون ثاني عشر ذيالحجة سنة 1276 ودفن بالزاوية المذكورة بازاء الحائط الممتدّ من باب الصومعة إلى الصحن .

453) **الطاهر بناني الرباطي** ، قاضي الجماعة بمراكش، وأديب الوقت، ذكر المولى عبد السلام في (درة السلوك) أن والده أمير المومنين سيدى محمد بن عبد الله له مع السلطان مصطفى العثماني مهاداة ومراسلات ، أولها الهدية الأولى سافر لها من الحضرة قاضي الجماعة وأديب الوقت بمراكش السيد الطاهر بناني ، وكان بعْث القاضى المذكور آخر سنة 1175 خمس وسبعين ومئة وألف مع الأمين الحاج الخياط عديل ، ثم بعثه معه أيضاً سنة 1199 تسع وتسعين ومئة وألف مع الفقيه السيد الطاهر بن عبد السلام السلوي وأصحبهما هدية نفيسة فيها خيل عتاق بسروج مثقلة بالذهب مرصعة بالجوهر والياقوت ونفيس الأحجار ، وفيها أسياف محلاة بالذهب ومرصعة بالياقوت المختلف

الألوان ، وفيها حلي من عمل المغرب ، فقبل ذلك السلطان العثماني وابتهج به ، ثم كافأ عليه بمركب موسوق من آلة الحرب : مدافع ومهاريز وبارود وإقامة كثيرة للمراكب القرصانية من كل ما يحتاج إليه .

وقال فى (الأزهار الندية) ما نصه : ومنهم الفقيه العلامة النحوي النوازلي القاضي محمد المدعو طاهر بناني ، من أولاد بناني فاس الساكنين بمراكش ، ولما قدم لفاس أمير المومنين المجاهد في سبيل رب العالمين سيدى محمد بن عبد الله الحسني حيث توفي والده قدم معه لفاس ، فقرأ ألفية ابن مالك بفاس الجديد ، وبلغ فى تدريسه المكودي فقط ، ولما رجع السلطان إلى مراكش رجع معه لقضائه بمراكش ونواحيها ، وكان يرحل مع السلطان إلى أي بلد رحل ، ولما عزم السلطان على حصار مدن السواحل التى بأيدي الاصبنيول أهل قشتالة المتغلبين على بلاد الأندلس واحتاج إلى أن يعد الآلات العظمى التى ترمى بها المدن من البنب والمهاريس وأراد أن يصنع ذلك بالمغرب ويتعلمه أهل المغرب لأنه لم يسبق لهم فيه خبرة أرسل السيد طاهر هذا قاضي مراكش وكان فصيحاً متكلماً أديباً وجيهاً يحسن السياسة ومخاطبة الملوك ، ورفيقه شيخ الركب النبوي الحاج الخياط عديل وهو مثله في بعض الأوصاف ، فسارا إلى قسطنطينية العظمى ، فكلموا وزير السلطان . . . . العثماني التركي أن يأذن لمن يريد الخدمة أن يسير معهم ، فجاءوا بستة عشر رجلا من المعلمين ، منهم من يخدم المهاريس والبنب والنفط والكور ، ومنهم من يصنع الكُمَّن (1) والسفن ، فاكرمهم السلطان ورتب لهم الأجرة والنفقة ووكل من يدفع لهم الاقامة ، فكانوا يخدمون البنب بتطاون إلى أن تعلموا عليهم بعد مرورهم بفاس ، وصناع الكُمَّن والسفن ساروا إلى سلا ، فرتب بهم مثل إخوانهم ودخلوا دار الصنعة بالرباط مع المعلمين الذين كانوا

---

1) جمع كمنة ؛ حبال غليظة من القنب تشد بها السفن وترفع بها القلوع ؛ وهى أيضاً للخيام اطناب ؛ ما زالت الكلمة مستعملة فى حنطة الفرايكية بالقصور الملكية ؛ ولعلها كلمة تركية دخلت فى العامية المغربية .

بالمغرب ، فكان أهل اصطنبول أحكم صنعة من أهل المغرب ، وأهل المغرب أحكم تفصيلا في صناعة السفن ، فمكثوا السنين إلى أن أخذ ذلك عنهم فرجعوا إلى بلدهم مكرمين ، واستمرَّ صاحب الترجمة على خدمته إلى أن توفي بمراكش فى العشرة الثانية (1) والله أعلم ، وسار الخياط عديل إلى تونس فلحق بأخيه عبد القادر فهو بها الآن وكان رجوعهما من القسطنطينية في سنة إحدى وثمانين ومئة وألف .

454) **الطاهر بن محمد ابن جلون المراكشي** أخذ العلم رحمه الله أدباً وفقهاً وحديثاً على علماء مراكش كالفقيه مولاي أحمد بوغربال وابن وقاص وابن المدني وابن المعطي وابن الفاضل وصهره عبد الوهاب وجيمى والسباعى وأزنيط وأبى الحسن المسفيوي ، لازمهم نحواً من عشرين سنة وأجازوه ، كان رفيقه فى القراءة على شيوخه السيد الحبيب ابن كيران ، وكان المترجم فقيهاً كاتباً بارعاً تؤدة نبيلا شعلة فى الذكاء والحفظ حسن الوجه والخط والصوت ، استكتب بالبنيقة الكبرى، وكان خليفة الوزير السيد محمد الجامعي، شجى في حلق الفقه الكاتب السيد محمد الصنهاجي إذ ذاك إلى أن مات بفاس عام ثمانية وتسعين ومئتين وألف وعد فى (الحسام المشرفي) من السراد الذين يسردون صحيح البخاري فى الأشهر الفاضلة زمان خلافة السلطان سيدى محمد ــ ابن جلون ثم ولده بعد موته .

455) **الطاهر بن أحمد البلغيثي العلوي**

الطاهر بــن أحمد بن العربي بــن أحمد بن علي بن محمد بن الشريف بن عبد المومن بن محمد بن أبي الغيث بن يوسف بن مولانا علي الشريف السجلماسي العلوي البلغيثي ، الفقيه الأديب ، البارع النبيه الأريب ، الكوكب الزاهر، مَن سمح به الدهر ، وافتخر به العصر .

قال فى (الدرر البهية) بعد ذكره : طلع في سماء المعالي بدراً ساطعاً، وأشرق نور بهجته فى الآفاق نوراً لامعاً ، انتخب للانشاء والترسيــل فى

---

1) أى من القرن الثالث عشر الهجرى .

الحضرتين المولويتين الحسنية والعزيزية ، فامتاز دون سائر أبناء جنسه بكل مزية ، إن وشى بيراعه سجول الطروس ، نقش من ديباج الألفاظ ما تبتهج به النفوس ، وإن غاص فى بحر المعاني استخرج درراً فائقة ، ونظمها فى سلوك الأساليب الرائقة ، فتغنت بنغمات أوزانها على أدواح أغصانها أطيار القلوب الشائقة ، أو نثر فاخر جواهرها فى فسيح الأوراق ، عجز عن التقاطه فحولُ السباق ، وبالجملة فقد جزم مرفوع أفعال الأقران ، وانتصب لخفض من حاده من الأعيان ، وارتفع فى نصبه بين أبناء الزمان .

توفي رحمه الله سنة 1317 سبع عشرة وثلاثمئة وألف بمراكش فى نزهة بعرصة السيد علي المسفيوي عن نحو اثنين وأربعين عاماً ، لأنه ولد عام 1276 واستكتب بدار المخزن عام 1296 وتقدمت ترجمة والده (1) المتوفى عام 1307 بعد ان أصابه الفالج عام 1302 بسبب فرح مفرط حيث قدم عنده الوزير السيد محمد بن العربى الجامعي رحم الله الجميع .

وقال الأديب أبو الحسن السناني فى ديوانه : إنه استدعاه ليلة بقصد المسامرة ، وتعاطى كؤوس المذاكرة ، ولما أتى لبابه ، وقع التراخي في الاذن من بوابه ، فرجع فأمر بوابه بأن يأتي به فارتجل بيتين هما :

اِعذرْ حُفظت فما رجوعي عن قِـلا	لكن لسوء طبيعة البـوّاب
إني امرؤ ذو همـة عربيـة	تأبَى طباعي نخوةَ الحُجّـاب

وفي أثرها وجّه له المترجم مجيباً عن البيتين بما نصه :

اِصفح أخي عن هفوة البـوّاب	واقبلْ متابةَ خائـفٍ أوّاب
واسمح هديت فانه أبدى لنـا	عذراً أزاح بـه عـرى الأسباب
وأحال في فصل القضية عند مَن	ردت إليه أعنـةُ الآداب
انظر إلى المامون عند جوابـه	ولصنوه المحبوب فى الأركـاب
تجد الشواهد قد قضت في حكمها	بقبول عذر الواجـل المنتـاب

---

1) انظر 2 : 421 ع 300 من هذا الكتاب .

مع ذا وقد ألزمتُه من جنس مـــا قد حلَّ من ركب ومن إخبـــاب
متوجهاً في ظلمة من غير مـــــا ضوء يريــه مسالكَ الأبـــواب
إلا الجبين وخده الوضـــاح مـــع برق المباسم من سمـا الأشنـاب
متحصناً من تربه بلحاظـــــــه وبرمح قدٍّ كالمهـا الربـــراب
متشفعاً في جرمــــه بشمائـــل أغنت عن الأحساب والأنســاب
نعم الشفيع أتى بغير مشقـــــة فاهنـأ أخي بمزيـــــة الايـــاب

وجده مولاي العربي الفقيه من أشياخ الفقيه سيدى سعيد جيمى كما ياتى ذكره إجازته في ترجمته .

456) **الطاهر بن حمو الدكالي الصديقي** ، قاضي الجماعة بمراكش ، أخذ عن الفقيه سيدى محمد بن ابراهيم السباعي وطبقته ، وأجازه الأول إجازة عامة ، ودرس الألفية بجامع ابن يوسف ، وكان مجيداً لالقاء الدرس ، وجلس بسماط العدول مدة ثم أنابه القاضي العلامة سيدى أبو شعيب قريبه لمـا استقضي على مراكش ، ولما ارتقى للوزارة آخر عام ثلاثين وثلاثمئة وألف استقل المترجم بقضاء مقصورة المواسين ، وكان لا يمضي إلا ما أشير به عليه في القضايا الشرعية ، وبقي بها قاضياً إلى أن ذهب لوطنه لدكالة قرب مدينة مشنزاية الخربة ، وتوفي هناك عام 1336 ، رحمه الله .

457) **الطيب ابن أمير المومنين سيدي محمد بن عبد الله العلوي** ، قال الضعيف في تاريخه إن السلطان مولاي سليمان بعث لأخيه مولاي الطيب على أن ياتيه من مراكش لأنه أراد القيام بها ، واستمالت إليه قبائل الحوز وأرادوا بيعته الخ ، وسياتي في ترجمة مولاي سليمان أنه عقد لأخيه مولاي الطيب على بني حسن وبعثه لاعتراض الزعري لما بلغه خبر مسيره إلى رباط الفتح ، فتوافى الجيشان معاً في الـرباط ووقع الحرب فانهزم الزعـري وشيعته ، وقتل العباس مرينو محتسب الرباط وفر أبو عبد الله المكي بن العربي فـرج إلى الزاوية التهامية فاستجار بها ، وقبض المولى الطيب عـلى الزعري وجماعة من أصحابه ثم سرحه بأمر السلطان المولى سليمان، ثم عقد له ثانياً على عشرة آلاف من الخيل وعين معه جماعة من قواد الجيش وبعثهم

إلى قبائل الشاوية وذلك أواخر سنة سبع ومئتين وألف ، ولما قدم المولى الطيب بلاد الشاوية تنافس قواد الجيش الذين معه وتنازعوا الرياسة وصار كل واحد منهم يرى أنه صاحب الأمر، وكان من أعظمهم تهوراً القائد الغنيمي كان من قواد المولى يزيد رحمه الله فأبقاه سليمان على رياسته تأليفاً له، فاستبد على سائر القواد اذ كان رديف الخليفة المولى الطيب وصاحب مشورته، فلما كان وقت اللقاء تخاذلوا عنه وجروا عليه الهزيمة وتركو أخبيتهم وأثاثهم بيد العدو ورجعوا مفلولين إلى رباط الفتح وهم عشرة آلاف فارس كما مر ، ثم ولاه سنة 1208 على قبائل الجبل وفوض إليه أمر الثغور وأنزله بطنجة ، وبقي المولى الطيب يدبر أمر القبائل الجبلية من تطوان إلى طنجة إلى العرائش وكلما بدت له فرجة سدها أو فرصة انتهزها ، وحارب قبائل الفحص إلى أن استكانوا وانقادوا إلى الطاعة ، ثم حارب أهل حوز طنجة وأصيلة من بني يدر والأخماس من أصحاب زيطان إلى آخر ما بيناه هناك ، ثم وجهه إلى أنفا، ثم بعد ذلك عام 1211 استخلف أخاه المذكور نائباً عنه بمراكش ، وتوفي في الوباء عام 1212 بمراكش رحمه الله كما أشير إليه في ترجمة محمد ابن عثمان المكناسي (1) .

458) **الطيب بن عمير الشرقي**، ولد في حدود الخمسين ومئتين وألف، وأخذ العلم بفاس عن السيد الحاج المهدي ابن سودة قبل سفره للحج مع المولى علي بن عبد الرحمان الواقع عام أربعة وسبعين ومئتين وألف وعن طبقته ، وحصل ما كتب له من العلم ، ثم سافر لبلاده وولي خطة القضاء بها فيجهات ورغة أيام عمالة القائد محمد ولد أبا محمد ، ثم تشوش منه العامل وشكا به للسلطان سيدي محمد فاحترم بضريح سيدي أحمد الشاوي بفاس فخيره بين الذهاب لمراكش عند ولده وخليفته المولى الحسن أو يبقى بفاس مضيقاً عليه ، فاختار الذهاب لمراكش ، وورد لهابكتابه على خليفته المذكور ، ونفذ له مؤونته وأنزله عند قائد قصبتها إبراهيم بن سعيد الجراوي،وكان يوجهه للقضايا المهمة ، ونفذ له دار كاتبه ابن كبور بعد موت الجراوي وتتريكه ، واحترام ابن كبور بالمولى علي بن عبد الرحمان ثم نفذت له دار الفقيه ابن الطاهر بالقصور وبها بقي إلى أن سافر من مراكش عام1311 .

---

1) عنون المؤلف بعد هذا للطيب بن اليماني بوعشرين واشار الى أن ترجمته توجد مع المحمدين .

وكان فقيهاً ديناً خيراً محافظاً على ديانته ، أخذ الطريقة التجانية عن مقدمها ، وكان يزور الصالحين أحياء وأمواتاً ، ويخالف التجانيين في ذلك ، وكان يحب الصالحين ، كلفه السلطان المولى الحسن بخزانة كتبه ، ومباشرة النسخ والتسفير على يده ، وكانت له همة عالية لا يلتفت إلى كلام حاجب أو وزير ، وإنما كلامه مع مخدومه المذكور ، وكان يحترمه ويعظمه ويحسن إليه ويثق به فيما ينهيه إليه ، وكان يكتب البطائق في شأن ذلك للأماء بعلامته ، ثم ولي ذلك بعده صديقنا الثبت الخير الفقيه الكاتب البارع المنشيء العدل الواعية المؤرخ النبيه سيدي الحاج عبد السلام بن الفقيه السيد عبد الواحد اليعيشى .

كان المترجم يتعاطى الفتوى بمراكش ، وقفت على بعض الفتاوي في قضية وقع التداعي فيها عام 1286 ستة وثمانين ومئتين وألف ، وأفتي فيها سيدي محمد المطيع وسيدي سعيد جيمي وسيدي الحسن المزميزي ، والمترجم ، وسيدي عبد الوهاب وسيدي الحاج علي القرمودي وسيدي علي بن المختار ، وسيدي محمد بن المعطي ، وسيدي عمر بن عبد الواحد الدويري ، والسيد عبد الله الرجراجي وسيدي الحاج محمد أزنيط ، وسيدي أبو شعيب الدكالي ، وسيدي محمد بن عبد الهادي ، وحاصل فتاويهم إمضاء بيع الصفقة حيث اتحد المدخل ولا يتوهم ضم وقد ثبتت الحاجة وأمضى القاضي ، ثم في عام 1295 خمسة وتسعين ومئتين وألف حكم القضاة الثلاثة سيدي محمد ابن المدني وسيدي عبد الواحد ابن المواز ، وسيدي محمد ابن الهادي بما وقع به الافتاء لما انعقد الجمع بالأمر المولوي بحكومة المواسين ، ثم طلب أهل الشورى من المشترى أن يدفع للمنازعين جميع مئتي مثقال حسبة لله ويقطع بها مادة النزاع ففعل ذلك ، ثم سافر المترجم من مراكش عام 1311 لصلة الرحم والسكنى ببلاده باذن السلطان ، فبلغته وفاة السلطان بأزمور ثم وصل لفاس ثم انتقل لبلاده وتوفي عام اتنيعشر وثلاثمئة وألف .

وهؤلاء القضاة والمفتون كلهم مذكورون في هذا الكتاب عدى السيد علي ابن المختار .

459) الطيب بن الفقيه المحدث محمد ابن جلون المراكشي كان كاتباً بارعاً له رسائل ، موثقاً من عام ستة وستين ومئتين وألف ، كان له لسان حاد ومعرفة بالأسماع والأذكار وملازمة لها .

توفي في أواسط العشرة الثانية من القرن الرابع عشر .

حرف الكاف

460) الكبير بن عبد الكريم الشاوي المراكشي المعروف بابن حريرة ، قال في (السلوة) بعد أن ذكر أن جواب المرغيتى في رجال ركراكة ذكره بتمامه في كتاب (سلسلة الذهب المنقود) فليراجع ما نصه : صحيفة 238 من ج 3 وذكر فيه أيضا جواباً آخر فيهم الفقيه سيدي الكبير بن عبد الكريم الشاوي المراكشي المعروف بابن حريرة وفيه أن هؤلاء السادات هم المذكورون في هذا النظم ، هو قول القائل :

زيارة أهل الله من أعظم الذخر ... وكنز الفلاح في القيامة والحشر
وقوم بأقصى الغرب سبع أجلـّة ... لهم رتب عليا على أهل ذا القطر
بصحبة خير الخلق خصو وقدموا ... بمغربنا الأقصى على كل ذي قدر
فذاك ابن شماس ونجله صالح ... بوسمين عبد الله أدناس ذو السر
بوخافية عيسى ويعلى بن واطل ... سعيد بن يبقى فى الملا طيب الذكر
بهم فخرت رجراجة وهم الألى ... أتوا مصطفى الرحمان فى صحبه الغُر
فرد سلام القوم باللغة التي ... بها سلموا والسر منه لهم يسري
تأدب بتقديم الصحابة واغتنم ... زيارتهم تحظى بمأدبة الأجر
وأهدي صلاة للحبيب محمد ... تلاها سلام عرفه طيب النشر

قال فأما سيدى أبو بكر ابن شماس فمدفنه بساحل الشياظمة ببلاد آيت عيسى ويقال لهم أيضاً أولاد عيسى ، والموضع يعرف بأقرمود ، وولده سيدى صالح معه فى روضة واحدة ، وأما سيدى وسمين فمدفنه بجبل الحديد بمعظم بلاد الشياظمة ، وأما سيدى أبو عبد الله أدناس فمدفنه ببلاد الثوابت

أي وهي أيضاً من بلاد الشياظمة ، وأما سيدى يعلى ابن واطل فمدفنه برباط شاكر بالمعمورة ، وهو أبو سيدى شكر المنسوب إليه الرباط المذكور ، ومازال الناس بمراكش ورساتقها وأعمالها يقصدون هذا الرباط ليلة السابع والعشرين من رمضان يحضرون لختم القرآن بجم غفير من أخلاط الناس ، وبين الرباط المذكور ومراكش مسيرة يوم ، ثم سيدى سعيد ابن أبى يبقى مدفنه بطالعة الشياظمة ، ويقال لمحل دفنه تمازت ثم سيدى عيسى بوخابية مدفنه على طرف وادي تانسيفت بالقرب من سيدى عبد الله أدناس والله أعلم ، قال وهؤلاء السادات السبعة لهم فضل مشهور من قديم الزمان يقصدهم الناس بالزيارة من كل فج عميق فى كل فصل من فصول السنة ، ولاسيما فى فصل الربيع ، يكون الزوار فى غاية الكثرة ويتلقاهم أهل كل زاوية من زوايا ركراكة بالضيافة والاكرام ، وهكذا إلى الآن ، قال ونسبة الصحبة لهم نفعنا الله ببركاتهم شائعة ذائعة على ألسنة الناس خصوصاً عند أهل بلاد رجراجة وعموماً عند غيرهم ، كما شاع وذاع عند أهل سوس أن تلك الجبال الحائلة بين بلادهم وصحاري المغرب بقبلتها مدفن ثلاثة أنبياء ، أحدهم اسمه دانييل ببلاد تكمت وقبره معروف عندهم إلى الآن يستسقون عنده إذا نزل بهم قحط ، ويستشفون بترابه ويقصدونه فى قضاء حوائجهم ، وخرجت من عند رجلي القبر عين ماء غزيرة عم نفعها أهل تكمت كلهم ، وذكر أن بعض الظلمة تجاسر على قبره ببعض ما لا ينبغي فخرجت نار من القبر فأحرقته وأحرقت أناساً معه وما يزيد على ألف نخلة من نخل تلك البلاد والله أعلم ، والثاني اسمه سيدى ولكناس مدفنه على رأس جبل بين تزغت ووادي أسافن، قبره معروف عند أهل تلك البلاد معظم محترم يقصدونه للزيارة ويستشفون بترابه كذلك ولا يسكن أحد بالقرب منه إلا بعيداً ومن رام السكنى بقربه وسكن يظهر له ما يكره بالقرب عاجلا ، والثالث اسمه شناول مدفنه ببلاد تمدلت خارج الجبال المذكورة بناحية الصحراء ، وبقربة آثار مدينة عظيمة ، ويقال إن عمرانها كان قبل مدة لمتونة ، وبقربه أيضاً قبر مولاي عبد الله بن ادريس أي باني فاس ، وبينهما وبين وادي درعة قدر نصف مرحلة ، قيل وسبب دخول هؤلاء الأنبياء المغرب هو ان بخت نصر كان يقتل الأنبياء ، وفرّ هؤلاء بأنفسهم وركبوا البحر فلاح بهم الريح لرباط ماسة ، وخرجوا منها وتوجهوا ناحية القبلة ، قال وما يقال

من أن المغرب لم يدخله نبي إما أن يقال هذه القولة غير صحيحة ، وعلى صحتها يقال إن تلك الجبال ليست من حيز المغرب وانما هي من حيز الصحراء وما دون جبل دون هو المسمى بالمغرب ، ثم قال وينبغي أن لايستعبد شـيء من هذه الأخبار ، لا من نسبة الصحبة لهؤلاء السادات السبعة ولا من دفن الأنبياء المذكورين بالمحل المذكور ، بل يجب علينا التسليم في ذلك كله ، واعتقاد تعظيم القبور المذكورة بما يعد تعظيما وبكل ما يليق منالاحترام ، ولو على تقدير توهم الصحبة لاسيما مع ما انضم إلى ذلك من الشيوع وتواطىء الألسنة على ما ذكر خلفاً عن سلف ، ومع ما قيده الشيخ سيدى محمد بن سعد المذكور ناقلا عن شيخه مولاي عبد الله بن طاهر مما يقتضى صحَّة نسبة الصحبة لمن ذكر كما تضمنه النظم المذكور والله أعلم بحقيقة ذلك ، ويقال كيف وصل الصحابة إلى هذه البلاد ؟ لأنبلاد هؤلاء المذكورين هي البـلاد المذكورة ، وبعد مبعثه (ص) ذهبوا إليه بسبب ما حفظوا من أسلافهم ممن كان مع روح الله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وبشرهم بمبعثه (ص) على حسب ما يعتقده سائر مَن انتسب إليهم من قديم الزمان إلى الآن ، والله أعلم بذلك .

انتهى كلام ابن حريرة وقد راجعته في (سلسلة الذهب المنقود) .

وقال في (نشر المثانى) على ما فيبعض نسخه في ترجمة الشيخ العارف بالله القطب سيدى محمد بن عبد الله السوسي ما نصه : ولما أجمع صاحب الترجمة على الخروج من المغرب قال للشيخ ابن سعيد أيمحمد بن سعيـد المرغيتي إنى أرى من الأدب أن لا أخرج من المغرب حتى أودع الصحابـة الكائنين به ، وهم الرجال السبعة بحاحة الذين ذكر عن بعض العلماء أنهم قدموا على رسول الله (ص) في حياته وكلـَّمهم بلغتهم ، فمن أجل هذا كان الشيخ ابن سعيد يجزم بصحبتهم ويقول هذا الرجل نعرف أنه من كبراء أهل البصائر ، وما يقول أهل البصائر يجب الرجوع إليه ، لأن علمهم بنور إلاهي لا يعتريه غلط ، ولا يلفت إلى ما يقوله بعض أهل الظاهر من العلماء وهو أن العادة تبعد صحبتهم ، لأن ذلك مما تتوفر الدواعي على نقله لو كان ، فلو وقع لشاع من أهل الأرض ، انتهى .

وانظر (مباحث الأنوار) لأبي العباس الدكالي في الكلام على القطب المذكور والله سبحانه وتعالى أعلم به .

وراجع الفصل الثاني من مقدمه (إظهار الكمال) في التنبيه الأول صحيفة 21 من ج 1 مطبعة فاس عام 1326 وراجع ما سياتي في ترجمة شيخه سيدى محمد بن سعيد المرغيتي ، وفى ترجمة سيدى محمد بن عبد الله السوسي المذكور ، وسياتي ذلك في ترجمة سيدي يوسف بن علي أحد الرجال السبعة .

وقال الشيخ اليوسي عند ذكر مواضع في بلاد الغرب اشتهرت بمئاثر الصالحين ووقع التغالي فيها ما نصه : ومنها رباط شاكر بدكالة وهو مشهور ، وكان مجمعاً للصالحين من قديم ، وفي (التشوف) أن شاكر ذكر أنه من أصحاب عقبة ، إنما هي زاوية بنيت لقراءة حزب القرآن أمر ببنائها السلطان المستعين بالله إبراهيم بن علي (أبى الحسن) المريني ، وكان انتهاء بنائها في أواخر رمضان عام 762 اثنين وستين وسبعمئة ورتب فيهاطلبة يقرأون القرآن ويختمونه بطول سبعة أيام وأجرى لهم جرايات في كل شهر ينتفعون بها ، وقد غيروا اليوم ذلك الختم بما هم عليه اليوم ، فهذه حقيقة أمرها والله أعلم ، انتهى .

وسياتي خبر تردد الشيخ أبي عبد الله الهزميزي إليه في ترجمته ، وقد زرت رباط شاكر ، فاذا أردت الذهاب من مراكش فاقصد طريق الصويرة إلى أن تصل من المزوضية عند عدد56 كلم فترجع إلى اليمين فتصله بعد قطع 29 كلم ، المجموع من مراكش إليه 85 كلم ، وبين مراكش وأغمات وريكة نحو 48 المجموع 133 فأين قول البكري المتقدم (1) من وريكة إلى نفيس خمسة وثلاثون ميلا ، إن كان قصد به محل رباط شاكر وقوله من نفيس إلى شفشاون ثلاثون ميلا إلخ ، فأعلم أن بين رباط شاكر وشيشاوة نحو 45 كلم وهو قريب من ثلاثين ميلا .

---

1) الأعلام 1 : 101 طبع الرباط .

حرف اللام

461) **لب بن عبد الوارث اليحصبي** ، أبو عيسى قال في (المغرب) من أهل المئة السابعة ، نظر في الفقه ثم مال إلى العربية فبلغ منها إلى غاية نبيهة ، قرأ عليه أبناء الأعيان بمراكش ، وله :

بدا ألف التعريف في طرس خده	فيا هل تراه بعد ذلك ينكر !
وهل كان كافوراً فهل أنا تارك	له بعدما حياه مسك وعنبر
وما خير روض لا يرف نباته	وهل أحسن الأثواب إلا المشهر

انتهى من بغية الوعاة .

462) **لقمان السايوري** (1) الفقيه ، أصله من هسكورة ، وكان أسود فقيهاً جليل القدر من الأكابر ، حدثوا عنه أنه أمَّ الناس بجامع واطاس بأغمات وريكة نحواً من أربعين سنة أو خمسين ما سها قط فى صلاة من الصلوات إلا يوماً واحداً ، صلى الظهر بالناس ، فلما سلم سجد سجدتي السهو ، فعجب الناس منه وسألوه عن ذلك ، فقال لهم اشتغل خاطري فى الصلاة بقتل أخي ، فلذلك سجدت ، فجاءهم خبر قتل أخيه بعد أيام ، وأنه قتل بدكالة في الساعة التي مر بخاطر لقمان قتله :

صدق بأحوال الرجا	ل وما تلقوا من فوائد
وإذا هويت شفوفهم	فاسلك سبيلهم وجاهد
فوراء ذلك لذة	يغتابها مَن لم يشاهد
صحَّت كرامات الرجا	ل بنقل أرباب المسانـد
ما نائم ملأ الجفو	ن كقائم لله ساجد

1) فى بعض نسخ التشوف الصابرى واليابورى والعيايورى .

هل يستوى هـــــذا وذا ما ناقص حالا كزائـــــد
ياراقداً في ليلـــــه وإذا تنبه فهو راقـــــد
أتركت جمهـــــور الأثـــمة واقتديت بقول واحـــد ؟
نظـر لعمـرك فـاسـد يقضي بأن القلب فـاسـد
بوقوع ما هو ممكـــن للقوم من خرق العوائـــد
شهـد الثقـات لهـم بهـا فدع الخلافَ ولا تعانـــد

ترجمه في التشوف (1) .

وقال في نظم رجاله :

ولقمـان لم يسجدْ سنين لسهوه وكان لأمر في صلاة من الظهـــر

463) **لقوط بن يوسف بن علي المغراوي** ، لما فتح المرابطون ماسة وورودانة وأغمات سنة تسع وأربعين وأربعمئة فرّ أميرها لقوط المذكور إلى تادلة سنة إحدى وخمسين وانضاف إلى بني يفرن ملوكها،فقتل أبو بكر اللمتونى لقوط صاحب أغمات وقتل الأمير محمد واستلحم بني يفرن ، وكان لقوط آخر أمراء أغمات من مغراوة ، وتزوج امرأته زينب بنت اسحاق النفزاوية ، وكانت مشهورة بالجمال والرياسة ، وكانت قبل لقوط عند يوسف بن علي بـن عبد الرحمان بـن وطاس ، وكـان شيخاً عـلى وريكة وهزرجة بزمـن هيلانة في دولة إمغارن من بلاد المصامدة وهم الشيوخ ، وتغلب بنو يفرن على وريكة وملكوا أغمات ، فتزوج لقوط زينب هذه ، ثم تزوجها بعده أبـو بكر بن عمر كما كما ذكرنا ، ثم تخلى أبو بكر عنها سنة 453 ليوسف بـن تـاشفيـن .

ذكره ابن خلدون (2) .

---

1) **التشوف** ص 92 ع 15 .
2) **كتاب العبر** 6 : 376 .

حرف الميم

464) ماجد بن محفوظ ابن سيف البكري .

ماجد بن محفوظ بن مرعى بن طرخان ابن سيف ، الشريف الطلحي البكري ، من ولد طلحة بن عبد الله بَن عبد الرحمان بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، من بلنسية ، يكنى أبا المعالي وأبا الشرف ، سمع من أبي عبد الله ، بن نوح ، وأبي جعفر ابن عبد الغفور ، وغيرهما ،ولقي باشبيلية أبا عمران الميرتلي ، وأخذ عنه بعض شعره الزهدي ، وكان أديباً ماهراً شاعراً مجيداً من أبرع الناس خطاً وأكرمهم عشرة وأحسنهم سمتاً وأشهرهم تصاوناً ، له معرفة بالشروط ، وقد قعد لعقدها .

وتوفي بمراكش معتبطاً سنة ثلاث أو أربع وستمئة .

أكثره عن ابن سالم ، قاله في التكملة (1) .

465) مالك بن يحيى ابن وهيب الأزدي

مالك بن يحيى بن وهيب بن أحمد بن عامر بن أيمن بن سعد الأزدي ، من أهل إشبيلية ، أحد رجال الكمال والارتسام بمعرفة العلوم على تفاريعها وأنواعها ، إلا أنه كان أضنَّ الناس بها ، وكانت له رواية يسيرة عن أبى القاسم الحسن بن عمر الهوزنى ، وأبى عبد الله أحمد بن محمد الخولاني وغيرهما ، وأجاز له حاتم بن محمد جميع روايته ، وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية .

قال ابن بشكوال : ولقد لقيته بقرطبة وماشيته ، وتوفي بمراكش فى سنة 525 وكان مولده باشبيلية سنة 453 واصله من لورة ، انتهى (2) .

وقال فى (بغية الملتمس) فى ترجمته فقيه حافظ مشهور حسن الخط ، اختصر كتاب (التمهيد) لأبى عمر ابن عبد البر اختصاراً أجاد فيه ، وسمي مختصره كتاب (التبصير) ، وجعله على التراجم ، وهو كتاب كثير الفـائدة (3) .

---

1) **التكملـة** 2 : 741 ع 1845 .

2) **الصلة** 2 : 621 ع 1365 .

3) **بغية الملتمس** ص 464 ع 1352 .

وفي (نفح الطيب) قال مالك ابن وهيب :

أراميتي بالسحـر من لحظاتهـا نعيذك كيف الرمي من دون أسهم؟
ألا فاعلمي أن قد أصبت ، فواصلي سهامك أو كُفّي فلست بمسلـم
فانسان عين‌الدهر أصميت فاحذري مطالبة بالقلب واليد والفـم
أما هو في غيل غدا غابُه القنـا تحفُّ به آسادٌ كل ملثـم
ولو أن لي ركناً شديداً بنجـوة أويت له من بأس لحظكِ فارحمـي

وهو إشبيلي ، كان من أهل الفلسفة كما فى (المسهب) ، قال وهو فيلسوف المغرب ، ظاهر الزهد والورع ، استدعاه من إشبيلية أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين إلى حضرة مراكش ، وصيره جليسه وأنيسه ، وفيه يقول بعض أعدائه :

دولةٌ لابن تاشفينَ علـيٌّ طُهرت بالكمال من كل عيـب
غير أن الشيطان دسَّ إليهـا من خباياه مالك ابن وهيـب

وأمره عليٌّ بمناظرة محمد بن تومرت الملقب بالمهدي الذى أنشأ دولة عبد المومن (1) .

وقال في (المعجب) : مالك بن وهيب كان قد شارك فى جميع العلوم ، إلا أنه كان لا يظهر إلا ما ينفق فى ذلك الزمان ، وكانت لديه فنون من العلم ، رأيت له كتاباً سماه (قراضة الذهب ، في ذكر لئام العرب) ضمنه لئام العرب في الجاهلية والاسلام ، وضم إلى ذلك ما يتعلق به من الآداب ، فجاء الكتاب لا نظير له فى فنه ، رأيته فى خزانة بنى عبد المومن ، ولمالك ابن وهيب هذا تحقق بكثير من أجزاء الفلسفة ، رأيت بخطه كتاب (الثمرة) لبطليموس في الأحكام وكتاب المجسطي في علم الهيأة وعليه حواشي بتقييده أيام قراءته إياه على رجل من أهل قرطبة اسمه أحمد الذهبي .

انتهى المقصود (2) .

---

1) **نفح الطيب** 3 : 479 .
2) **المعجب** ص 111 طبع سلا .

466) **مالك بن مروان اللجوسي** الضرير ، من أهل تيفنكط من بلد ايلان ، مات بتاصرداخت في بلد صودة عام أحد وثمانين وخمسمئة ، قــدم مراكش وأخذ عن يوسف بن موسى الكلبي الضرير والامام أبى بكر بن العربي ، وكان عبداً صالحاً عالماً عاملا .

قال في (التشوف) أخبرنى بعض تلامذته مكاتبة قال قعد الفقيه مالك اللجوسي يوماً فى المسجد فدخل عليه رجل ، فقال له مالك : ياهذا تدخل المسجد وأنت جنُب ؟ فاستحيى الرجل وخرج من المسجد (1) .

467) **مالك بن تماجورت الهزميري** ، من بلد نفيس ، مات بمراكش عام اثني عشر وستمئة ، وحمل إلى بلده فدفن به ، وشيخه عبد الخالق بن ياسين ، وكان عبداً صالحاً من كبار المشايخ ، وكان الشيخ أبو يعزى يقدمه للصلاة به ، مات مالك وقد زاد على المئة .

قال فى (التشوف) زرته ببلده ، فلما دخلت عليه رفع صوته وقال : الناس سكارى من حب الدنيا فلا يصحون من سكرها إلا فى يوم القيامة .

سمعت محمد بن أحمد الزناتي يقول : سمعت مالك بن تماجورت يقول : توجهت من المغرب إلى مكة ، وكنت أواصل يومين وليلتين فضللت بصحراء عيذاب عن الركب ، فأقمت طاوياً يومين وليلتين وأنا مع ذلك أسير سيراً ضعيفاً من الجوع ، فاشتدَّ ضعفي فى اليوم الثالث ، فأقمت كذلك يومين وليلتين ، فسقطت قواي وبقيت بالصحراء طريحاً لا أبصر من شدة الجوع ، ويئست من الحياة ، فجالت يدي فوقعت على طعام دافيء ، فعالجت يدي إلى أن قربتها من فمي فلعقت أصابعي وجعلت ذلك مرة ثانية وثالثة ، فقويت وفتحت عيني فأبصرت ، ثم قعدت لأنظر الصحفة التى تناولت منها الطعام فلم أر شيئاً ، فقمت ومشيت ، فاذا بى قد سبقت الركب ، فلما أدركونى سرت معهــم .

---

1) التشوف ص 257 ع 113 .

وحدثت أن مالك قال حججت أربعين حجة ما فيها حجة يعرفها الناس إلا الحجة التى مشيت فيها على قدمي .

وترجم له فى (المعزى) كما فى (التشوف) ، وزاد أن المترجم كان كثير الزيارة لسيدى عبد الله الصنهاجي صاحب رباط تيط عين بالبحر المراد أنها بساحل البحر المحيط ، وهي مدينة قريبة خربت وبقيت أطراف أبراجها إلى الآن ، ومنها تعرف مساحتها (1) .

468) **المامون بن المولى إسماعيل العلوي** ، أبو اليمن ، لما أراد والده غزو فازاز بعث إلى مراكش ولده المذكور وأظنه صاحب المامونية بمراكش (2) .

469) **مبارك السكتاني** الفقيه المالكي ، توفي بمراكش المحروسة سنة ثمان وثمانين وتسعمئة ، أخذ عن أحمد المنجور وغيره ، وأخذ الفرائض عن أبى راشد اليدري ، قاله فى (درة الحجال) واختصره فى لقط الفرائد (3) .

470) **مبارك ابن تعلوت المراكشي** ، قال في (الممتع) ما نصه : وممن هو من الطائفة الجزولية التباعية على ما حكي لي ولا أعرف الآن اتصال سنده : سيدى مبارك ابن تعلوت المراكشي دفين داخل باب الشريعة بمراكش مع شيخه ، وكان صاحب الترجمة على ما ذكر لي قوياً مرتسماً فى الشريعة متسبباً فى الحياكة ، وكان له أصحاب يجتمعون إليه فى محل حياكته ، وأخذ عن سيدى الناصر اليحياوي ضجيعه ولم يسم لي باقي السند ، وذكر لي أن سيدى أحمد ربوح المدفون معهما شيخ أحدهما وأنه انما بين الناصر والشيخ التباع شيخ واحد والله أعلم (4) .

---

1) **التشوف** ص 439 ع 248 .
وبعد هذه الترجمة عنون المؤلف للمامون بن أحمد المنصور السعدى وقال سياتى فى المحمدين .

2) طبعت المطبعة الملكية سنة 1967 رسائل موجهة من السلطان مولاى اسماعيل الى ولده المامون .

3) **درة الحجال** 3 : 19 ع 914 طبع تونس .

4) **ممتع الأسماع** ص 187 .

وقال الزروالي في تأليف مناقب شيخه سيدى أبى عمرو المراكشي ما نصه : حدثني العارف الأكبر والولي الأشهر ، سيدى مبارك بن تعلوت رضي الله عنه قال : كنت سائحاً فى بلد المغرب وزرت العارف السائح ذا العجائب والغرائب ، سيدى أحمد بن موسى السوسي ، وذلك فى حياة الشيخ رضي الله عنه ، فجرت بين الثقة المذكور والعارف سيدى أحمد المذكور رحمة الله عليه مذاكرة حتى أتوا على قوله إن من الأولياء مَن يحضر مع الملائكة حين تطلع الشمس باذن الله تعالى على أيديهم أو كلاماً معناه ذلك ، حتى قال سيدي أحمد رضي الله عنه فى زماننا هذا سيدى أبو عمرو المراكشي رضي الله عنه ، ثم إن سيدى مبارك المذكور ذهبت به المقادير إلى حضرة مراكش حرسها الله فحضر مجلس إمامنا أبى عمرو رضي الله عنه جرى فيه ذكر الأولياء الذين تطلع الشمس على أيديهم مع الملائكة عليهم السلام ثم لا أدرى هل السيد مبارك سأله أم غيره أم تبرع بذلك وأظنه والله أعلم السائل ، فأجابه وسيلتنا رضي الله عنه بأن قال والسيد مبارك يسمع حين سئل عن شأنهم سيدى أحمد بن موسى السوسي يعرفهم ، هكذا جرى له حتى تمسك بحبله ووصله لربه من حينه .

وقال في (الصفوة) : ومنهم الشيخ سيدى مبارك بن تعلوت المراكشى دفين حومة الكتبيين من مراكش من أهل الخصوصية العظمى والولاية المشهورة ، وكان يحترف بصنعة الحياكة ، فيقال إنه كان إذا ذكر الله تعالى يسبح معه منواله ، وكان إذا أراد أن يخرج يقول لأصحابه كيف أخرج ؟ فيقولون له لا ندري ، فيقول أخرج اليوم سلطاناً فيخرج فلا يبقى أحد يمرُّ به إلا قام له وقبل يده حتى يرجع لمكانه ، وتارة يقول لهم اليوم أخرج مسكيناً فلا يسلم عليه أحد ولا يبالي به .

ومن كراماته أنه مرَّ برجلين يختصمان أحدهما يطلب الآخر بدين له عليه ، فكلمه الشيخ أن ينظره إلى ميسرة ، فأغلظ ربُّ الدين ولم يكترث بالشيخ ، فأدخل الشيخ يده فى طاقة بحائط الطريق وأخرج منها ذلك العدد من الدراهم كأنه كان معداً لذلك ، أخذ عن شيخه سيدى ناصر اليحيوي ضجيعه فى القبر .

توفي صاحب الترجمة فى حدود الأربعين والألف ، وممن ترجمه الحضيكي فى طبقاته (1) .

وقلت فيه من قصيدة مع غيره من أولياء مراكش :

وكالولي إمـام الجلـة النحـــب   مَن كان منوالـه مسبحاً معــــه
ان حاك في ذكره مستعمل الأدب   مبــارك عظمت أحــواله خــرقــت

471) **مبارك بن الشيخ المختار السباعي الدميسي** ، الشيخ البركة الصالح ، كان ابتلي بالجذام في الصحراء وهو سيد قومه فيها وصبر عليه وانتقل لمراكش فعلم به السلطان وأجلّه ، وكان يبعث إليه ويجالسه وهو أول مَن ابتدأ الجمعة فى الحارة وبنى صومعتها ، وكان ينفق على تلميذه سيدى عبد المعطى السباعي لما كان يقرأ بمراكش .

توفي رحمه الله عام أربعة وثمانين ومئتين وألف بمراكش ، ودفن فى الروضة التى تحت الحارة المواجهة لباب دكالة فى البيت الذى فى وسط الروضة ، ويزوره من الصبيان أهل العلة المعروفة بالعواية أو الشهاقــة فيشفيهم الله .

472) **مجاهد بن محمد ابن مجاهد**، يكنى أبا الجيش، الأندلسي من حوز جيان ، سكن مراكش وحظي عند أمرائها هو وعقبه ، روى عن أبى علــي الصدفي ، وأبى محمد ابن عتاب ، وأبى جعفر ابن غزلون ونظرائهم ، حدث عنه يعيش ابن القديم ، وقال لقيته بمراكش ، وبها توفي في ذي القعدة سنة خمس وثمانين وخمسمئة .

وقال فى (المعجم) : وحدثنى عن ابن القديم أحمد بن يوسف بن أحمد السلمي المعروف بابن فرتون الفاسي مكاتبة من سبتة في آخرين من أصحابنا ، ومجاهد هذا من آخر مَن حدث عن أبى علي ، وجعل أبو القاسم الملاحي آخر المحدثين عنه عبد الحق ابن بونة وهو الصحيح ، لأن أبا بكر ابن

1) **طبقات الحضيكي** 2 : 123 .

مغاور سمع منه ، وتوفي سنة تسع وثمانين في صفر ، وكانت وفاة عبد الحق في آخر هذه السنة (1) .

وترجمه في (التكملة) أيضاً مختصراً (2) .

473) **المحجوب بن عبد الرحمان الطالبي** أصلا المراكشي ، وقفت على الربع الأخير من شرحه على مختصر خليل في مجلد ، كتب على ظهره ولده ما نصه : وكان تمامه بزمان الطاعون ، ومات وهو مشتغل بهذا الكتاب المبارك ، قاله عبد ربه أحمد وفاه الله شحّ نفسه .

474) **محرز الصفاقسي**، نزل مع أخويه أبي الطيب ومحمد أغمات وريكة بالموضع المعروف بايغيل ، وكانوا علماء فضلاء فأخفوا أنفسهم ، وكانوا علماء يحضرون مجالس العلم فيستمعون ولا يتكلمون إلى أن وصلت كتب من صفاقس إلى أهل اغمات ينبهونهم على قدرهم فأخذوا عنهم ونفع الله بهم ، وكان محمد أصغرهم سناً ، وكان يخدم أخويه ، وكان أبو الطيب أعلمهم .

قال في (التشوف) حدثني علي بن عيسى بن ناصر عن مخبر أخبره أن محرزاً مرّ مع أخيه محمد بأغمات على جزار من معارفه ، فقال محمد لمحرز إن هذا الجزار من أمره كيت وكيت وأثنى عليه ، فقال له محرز بارك الله له ، فمكث ثلاثة أيام يبيع من لحم ثور كان في حانوته ، فرمى الجزار يوماً بالسكين من يده وقال والله لا يتمّ هذا الثور أبداً ولو حدثتكم بما بعت منه لقلتم ان هذا أحمق .

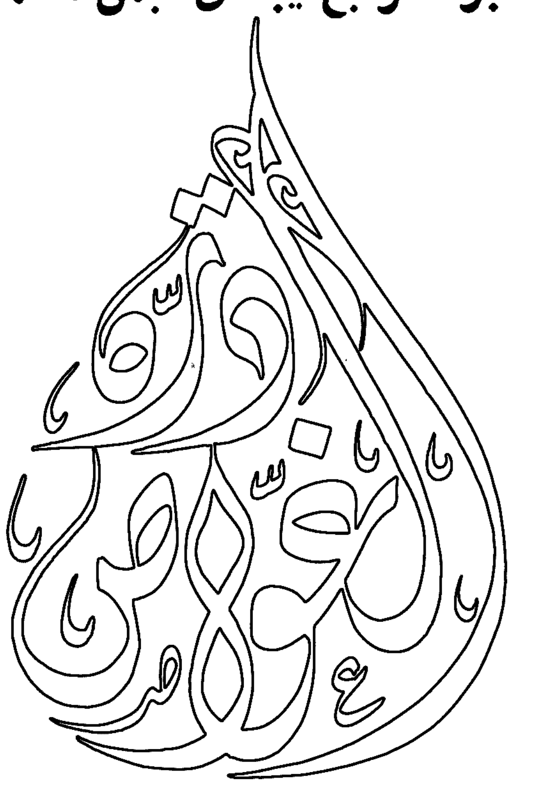
وحدثني الشيخ الصالح أبو بكر بن إبراهيم عن أبي عمران النعال عن أبي وكيل ميمون بن تيكرت قال حضرت مجلس الفقيه محرز مع جماعة من تلامذته فصاح علينا وقال : كيف تدخلون المسجد جنباً من معصية ؟ قوموا عني ! فقاموا وأردت أن أقوم فقال لي اجلس أنت ياميمون ، ما على المحسنين من سبيل (3) .

---

1) **معجم اصحاب الصدفي** ص 206 ع 179 .
2) **التكملة** 2 : 739 ع 1842 .
3) **التشوف** ص 140 ع 45 .

انتهى الجزء الثالث

ويليه الجزء الرابع يبتدئ بمن اسمه محمد





فهرس

تراجم الجزء الثالث من الاعلام

بقية حرف الألف

صحيفة

حـرف الباء

حـرف التاء

حــرف الجيم

حــرف الحاء

صحيفة

حــرف الخاء

حــرف الدال

حـرف الراء

حـرف الزاى

حرف الطاء

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

تحت الطبع

انبعـاث أمّـة

الجزء الثاني والأربعون

* * *

أعلامُ المغرب العربي

الجزء السادس

* * *

مع صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني في فاس وتازة ووجدة وتلمسان

(الطبعة الثانية)

رقم الإيداع القانوني : 964 / 1997
ردمك : 8 - 03 - 905 - 9981 (المجـموعــة)
ردمك : 9 - 08 - 905 - 9981 (الجزء الثالث)

